التمثال المرمري

(فيروز)

obeikandl.com

obeikandl.com

التمثال المرمري

-١-

فيروز

تأليف

راضي عبد الحليم

الناشر
شركة نوابغ الفكر

obeikandl.com

الطبعة الاولى
1436هـ - 2014
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
شركة نوابغ الفكر
هاتف:25936402 ،فاكس: 27865553
E-mail: nawabgh_elfekr@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عبد الحليم ،راضى
التمثال المرمرى / تاليف: راضى عبد الحليم
- ط 1 – القاهرة : شركة نوابغ الفكر ، 2014
مج 1، 24سم
تدمك :978-977-6415-27-0
1- القصص العربية
أ- العنوان

ديوى :813

رقم الايداع: 2014-20671

الفصل الأول

جاء الرجل الشاب الذي ما تعدى عمره العقد الرابع بعد وهو يحمل على كتفه صرة من قماش أصفر اللون مهلهلة كان لونها أبيض من قبل لكن طول عمرها وتنقلها في الشمس والطل مع صاحبها حول لونها إلى حالها.

مع أن الرجل يظهر عليه قوة الشباب وبازي الهيئة، فإنه كان يميل حين طلعته نحو ناظرة للفتور من الحياة وإدبار عن الراحة وكأنها يمكنون صدره لمحة ذل تعتلي جبهته وتعكسها عينه، كأنه ما نام منذ أن جاء للدنيا وما عرف طعم الطمأنينة ليوم واحد، تقدم في خطوات متعبة من طول المسير على قدميه نحو جمع من الفلاحين يجمعون القطن وقد انتشروا حلزونيًا — في الزراعة — تقريبًا.

توجه لرئيس العمال ومنهم السابق والمتأخر والواقف على الشجيرات والمنحني وقد أخفته، ومنهم قد جلست تلك العاملة التي يغازلها هذا الرئيس صاحب الشارب الطويل، لم

يهتم أحد من العمال طالما لم ينتبه إليهم وهم يعرفون خصاله، إنما هم مشغولون بالأحاديث كما هو مشغول عن منع أيٍّ منهم من الحديث والتركيز في العمل وحسب، وقد عرف رجلنا بما يظهر عليه من الفطنة كل هذا التداخل والذي مر عليه كثيرًا في حياته المليئة بأمثال هذا في حله وترحاله، فهو حتى لا يعرف أين ولد ولا من أبيه أو أمه، إلا أنه لما وعي على الحياة كان الناس ينادونه بمندور، ولما يقف العمل بمكان ينصحه أحدهم بالذهاب لهذه القرية أو تلك؛ ففيها زرع أو حصاد أو رعي مواشي أو غير ذلك عند هذا أو ذاك، حتى لما كان العمال ينادونه لتناول طعام الغذاء عند أول طريق لقرية ذات مرة تحت عدد من الشجر قد سمعتهم امرأة عجوز، فنظرت إليه وهي تتمعن فيه وهم ينادونه بمندور، فنادت عليه وكان عمره سبع سنوات.

قالت العجوز: أنت مندور بن ثابت الصياد، صح.

قال الطفل: لا أعرف يا جدتي، صدقيني.

قالت العجوز: ابن هنية يا بني بنت أبو عياط المنخلي.

قال الطفل: أقسم لك يا جدتي لا أعرف وأريدك أن تخبريني أنتي.

كانت العجوز قد أرادت الاطمئنان على بقرتها التي ترعى على جسر الطريق بين الأعشاب الطويلة التي نبتت عليه مخافة نزولها الحقل فتتلف زراعته وكان الصبي لا يكف عن جذبها من ملابسها لتكمل كلامها له وهو في حالة من الشغف والتمني واللهفة لعله يعرف أين والديه ليفعل معهما كما يرى أقرانه أمامه يوميًا يفعلون مع آبائهم وأمهاتهم، من يشعر به

أنحاء النفس البشرية وشتاتها من قارتها حتى القارات المحيطة وما علمته وما لم تزل تتعلمه خلال حياتها وتفاعلاتها مع الأشياء، وكالكتر الدفين وكإشارة للمباهج المادية والشيئية التي تجذب الأحياء في تفاعلاتها معهم والعكس، باختلاف نواياهم بعدها وحسب مقتضيات الظروف المحيطة والاقتناع بالصحيح ولو في خداع الخطأ لو انتهل صورة الصحيح حتى يتبين اتضاحه في ملامح التركيز ذاتها، قد تطول بين البطلمية الرئيسية الحوارات المركزة بدورها على الجوانب الخلافية بين

معنى الحق والباطل وأوجه النفع والضرر، مع بعد النظر وتكاشف السرائر في إطار من الانفعالات الإنسانية المناسبة والخبرات التي تختلف بالتجربة والممارسة مع وجود الإنسان في أغواره يريد من يساعده على الخروج منها، يرشد هو منقذه لكونه يعرف مسالك الأغوار وشراكها ولو بقدر أكبر من منقذه وليس بالإلمام بها تمامًا وبالأخص حينما يموت من حوله في هذه الظلمات ويتركوه وحيدًا مكبلًا أمام المخاطر التي تتخذ هذه الأغوار بيئة لها، فعلى الإنسان صاحب الفطرة السليمة التعامل معها حتى يتخلص منها بأية طريقة ممكنة، هذا ما يفعل تحت مفاهيم محاطة بأعمال لم تكن على دراية بها حتى صارت هي وريثة هذه الأعمال غير القانونية كالكتر الدفين الذي ورثت التعامل معه ومع الناهين له الناهبين لآثاره الثمينة القيمة والتقييم من الأشرار ومن لا يعدون في حساباتهم أشرارًا من محركي الأشرار، الحرب العالمية الأولى التي عاشتها ومثلما تغير الحروب تغير الثورات أيضًا لكن الثوابت مثل الذهب لا يتغير ولو غير بعد ذلك للأفضل أو

الأسوأ عند انتكاسات الثورات إن حدثت عن قرب أو بعد فترة بعيدة وبالتداخل إبان ثورة عظيمة أيضًا هي ثورة ١٩٥٢، تزامنت مع تحول لأجلها إلى ما مرت به أحداث الرواية حتى نهايتها بحفظ التمثال المرمري عن طريقه ولو كانت أسطر غير واضحة الأحرف ككلمات مطموسة تفهم بالفراسة وسطها.

والذي كان محاسبًا في وسية كصاحب مبادئ ومثل عليا عوده عليها والده شيخ الأزهر وفقيه القرية والمناطق المحيطة الذي كان على علم بهذا الكنز منذ والد فيروز وما كان يحكى له عنه وكم نفع به الناس، وأخذه من أجنبي، إلا أن الظروف التي أحاطته وخوفه من الملك وحاشيته ومن سرقته وعدم الانتفاع به في أوجه الخير أسكتته على مضض في ظروف تشير إلى الأقدار القهرية التي قد يجد فيها أصحاب أكبر مناهضي الفساد أمام فساد أكبر لا يقاس جانبه أي فساد بمسلك صابر لوالده، ولوالدها مع حسن النوايا ورفضها لجهل والدها وطمعه ولو كان جهله يعطيه بعض العذر في

كشف الأمر لغير الأمين عليه لتجد نفسها محاطة بالطامعين والعملاء في قلب الثورة لكن في الخفاء أيضًا.

كان عليهم الحفاظ على الكتر كما حافظ عليه القدماء في هذه الأرض لأصحاب هذه الأرض وليس لغيرهم، التمثال المرمري هو حلقة الوصل لذلك المغربي ثم عندما تتغير النوايا بثبات الفعل ولا يكفي عمرًا واحدًا حتى يتمه إنسان واحد وله امتداد عليه لإتمامه يتسلمه التالي حينها لابد وأن يتأثر محزونًا بالأخص عندما يأخذه أحدهم ليسأله عن إحساسه فلا يجيبه هادئًا.

فجأة ماتت العجوز على حافة الجسر وهي تحاول جذب بقرتها من حبلها، فما حزن الصبي الصغير على أحد في حياته حتى يومه هذا حزنه على تلك العجوز، لما لاحظ رئيس العمال وقوفه قبالته ناظرًا إليه لم يظن أنه بشارد، بل مأخوذ به لأنه يظن أن ما يفعله مع تلك العاملة الحسناء يلفت النظر إلى أنه الرجل الذي لا يترك بسهولة، وأنه أفضل من أظلته هذه السماء الآن من رجال، وملاحظته أن تلك المسكينة

كانت تجاري ذلك متصابرة لم يكن لدرجة أن يمنعه من ذلك هذا الشاب الواقف ينظر إليه، حتى كلمه وهو يدعي الضيق بنظره إليهما عله يخفف من شعوره بضيق الفتاة منه، وليس بضيق أي أحد آخر، رغم أنه كان يكذب ذلك الشعور أيضًا غرورًا ولكنه الشعور الذي يقبع حيث مكانه بلا شك، وشرد مندور.

قال رئيس العمال: ماذا تريد، وعلى ماذا تنظر؟

أفاق الشاب وهو مازال ينظر لرئيس العمال، فنظر للأرض ثم نظر أمامه مرة أخرى في ثوانٍ قليلة حتى يعفي نفسه من الكلام عما كان يفكر فيه مع هذا الزنيم وكأنه أحرج فعلاً أن دقق النظر فيه هو والفتاة، ورغم أن ما وراء السؤال لم يعد يحرجه فإن الرد كان سيكون مطولاً ومملاً كما جربه مرات كثيرة من قبل، فقوله من بلاد الله لخلق الله أجدر أن يقال، وياحبذا لو لم يكن بعده أسئلة واعتمد السائل على فراسته أو تنازل عن إلحاحه في مقابل احتياجه لذلك العامل من أجل إنجاز العمل بسرعة إلا بعد إنتهاء العمل آخر اليوم،

هذا لو جمعهما مجلس واحد، فكان مندور دائمًا مضطرًا لأن يسرد القصة غير واضحة الملامح أو الأحداث، إلا أنه أصبح يملها يومًا بعد يوم داعيًا الله أن يكف عنه الناس في هذا السياج المأفون المؤلم وما كان ليقطع الصلاة قط ولعل هذا ما حبب الناس فيه أكثر في أي مكان حل به، وتعدد لهجاته من الصعيدي للبحرواي وغيرها مما دل على تواجده لفترات غير قليلة في أغلب مناطق الوادي على اختلافها.

قال رئيس العمل: ألا تسمع يا هذا؟

قال مندور: نعم يا رئيس، أنا تحت أمرك.

قال الرئيس: تعال إلى هنا.

تقدم مندور إليه في خطوات سريعة وهو يتفادى أعواد القطن التي تم جمعها خلف العمال وهو يدور من خلفهم حتى لا يتعرض للإهانة بسبب إهداره القطن بين الأعواد أو التسبب في تشابك أعواده أمامهم بما يتسبب في تعطيلهم ولفت أنظارهم إليه أيضًا مما يزيد من تعطيلهم، فهو متمرس بلا شك، وعندما وصل إليه استقام أمامه.

قال مندور: أمرك يا رئيس.

قال الرئيس: ماذا تريد؟

قال مندور: أريد أن أعمل تحت يديك يا رئيس هذا الموسم، فأنا ماهر جدًا وسوف أعجبك، كما أنا معجب بك.

قال رئيس العمال: لكنك كبرت قليلاً على هذا العمل.

قال مندور: هناك من هو أكبر مني يا رئيس ولو قليل.

قال الرئيس: نعم نعم، تعال غدًا.

شكره مندور بشدة وهو يمضي إلى شجرة على بعد عدة أمتار خارج الأرض على الطريق المطل بالتوازي على الترعة التي يروي منها الأرض، فجلس مستندًا لجذعها وفرش طعامه الذي كان بصرته وتناول غداءه في صمت وهدوء ثم قام فتوضأ من ماء الترعة وصلى الظهر ثم توجه إلى ظل وارف قد تراءى له من بعيد وعندما وصل إليه كان حر الشمس قد زاد فإذا هي منطقة نحو الفدان كلها بور بها شجيرات هنا وهناك مختلفة الأحجام والأنواع والأشكال وبها بعض البرك من

الوحل المختلط بالملح الأبيض الناعم الذري ينضح به تراب هذه الأراضي غير الصالحة للزراعة، وعلى رأس هذا الفدان عدد من الشجر الذي رآه من بعيد حينما توجه لهذا المكان وهي عدد من شجر الكافور والتوت والجازورينا تمتد جذورها عبر الجسر المتسع لمترين تقريبًا لتصل إلى المصرف المائي المجاور لها قد نبت عليه النخيل في بقع متفرقة، قرر مندور أن يدخل داخل هذا الفدان الشبيه بالدغل الصغير مستطلعًا ما حوله قبل أن ينام رغم احتياجه الشديد لذلك، وجد مندور داخل الشجيرات التي علا بعضها عن قامته فحال بينه وبين رؤية ما يحيط به خارج هذا الفدان الذي حدد مساحته بخبرته ما يشبه البناء القديم من حجارة قديمة وقع بعضٌ منها جانب ذلك الجدار الذي لا يبلغ طوله النصف متر ارتفاعًا، لكن رغم دهشته التي زاد عليها تعبه فأجبره على الخروج للنوم تحت شجرة الجازورينا الكبيرة، نام على عبلها الذي افترش الأرض وغطى وجهه بالقماشة التي فرغ منها فتات الطعام وغط في نوم عميق.

ومن شدة التعب غلبه النوم حتى الساعات الأولى من الفجر حينما استيقظ على صوت يصيح بوضوح، استيقظ مندور وأخذ في الالتفات حوله وقد تأكد أن هذا صوت ديك لا محالة، لكن الصوت يدل على أن هذا الديك كبير، كبير لدرجة غير عادية، إنه ما سمع صوت لديك مثل عظم هذا الصوت من قبل وما سمع عن هذا إلا في حكايات ال.....، ضرب مندور جبهته بكف يده ليتأكد من أنه قد استيقظ مرة بعد مرة، نعم إنه مستيقظ لا شك وصوت الديك ما زال يصيح من داخل هذا الفدان، تذكر مندور هذا البناء القديم داخل هذا الفدان وارتباط هذا الديك بحكايات الكنوز القديمة، فصوت ديك البردي أو الحلفا والحجنة وغيرها من النباتات البرية ليس بهذا الصوت رغم أن هذا موعد متأخر قليلاً عن خروج هذه الطيور البرية، سكت الصوت وعاد مندور رغم إحساسه بالجوع لينام ساعة أخرى حتى يأتي موعد العمل صباحًا، استيقظ مندور مع أول شعاع للشمس وقد بدا الصباح له باهت مثل وجهه، نزل للماء

فتوضأ وصلى العصر والمغرب والعشاء والصباح ثم توجه لمكان جمع القطن الذي واعد عنده الرئيس أمس، وعندما وصل وجد بمكان غذائهم بعض لقيمات من الخبز اليابس أكلها الرجل دون تردد وكأنه قد جابه مثل هذا من قبل أكثر من مرة، حتى لا يتعرض لسؤال أحدهم عندما يأتي عن رغيف ليفطر به، كان من الواضح عليه رغم بؤسه عزة النفس مع أن حاله لا يخفى على أي أحد يراه من الوهلة الأولى، وكأن قسوة الحياة قد وارت عنه حدًا كبيرًا من ذلك لنشوئه فيها منذ نعومة أظافره على هذا النحو فتعاقدا هكذا، فقد نشأ على هذا النحو ينظر لنفسه قبل أن ينظر للآخرين عله يكون هو السبب في أي موقف كان له قرع في أي يوم من أيام حياته البائسة، حتى حين يكون السبب مفرحًا فما كان فرحه شخصيًا في أي مرة من المرات.

بل كان فرح غيره دائمًا يفرح له فقط ليشعر بالفرح كغيره من الناس المحيطة به والذين كان يرى الفرح في أعينهم وتصرفاتهم فيعمل على مجاراتهم لأقصى درجة ممكنة، أما ما

أخفت الحياة عنه حقيقته فهو غير مهتم بمعرفته كاهتمامه برزقه المقدر كما يؤمن بذلك، والذي عليه السعي وراءه حتى لا يموت جوعًا أو يسأل الناس كالشحاذين الذين كان ينظر إليهم بازدراء، فهو يعمل من أجل رزقه ولا يشحذ مثلهم، وكما قيل له من قبل كثيرًا مثل ذلك، إما ليزوجه أحدهم ابنته التي بارت أو ما يشابه ذلك أو لشدة فقر أحدهم مع عدم قدرته على السعي على رزقه وله عيال يراد أن يسعى عليهم صاحبنا، وهو كان مدركاً بالطبع لكن همته كانت تفتر عند مثل هذه الأمور لسبب لا يعرفه إما لاختلاف الضمائر المتنوعة في الطبقات المهلكة أو لتطلعه لأفضل من هذا، وذلك حينما يفكر مع نفسه في مثل هذه الأمور.

من بعيد رأى مندور عمال جمع القطن على الطريق وقد عرفهم، فجلس في انتظارهم حتى وفدوا عليه ومعهم رئيس العمال.

قال رئيس العمال: صباح الخير، هل نمت هنا يا ... ما اسمك؟

قال مندور: مندور يا رئيس.

أعاد الرجل السؤال.

قال مندور: لا، بل تحت الشجرة حتى الصباح.

قال الرئيس: في الفدان البور مع العفاريت.

قال مندور: وهل هناك عفاريت.

قال الرئيس: نعم، ألم يطلعوا لك الليلة.

قال مندور: عفريت واحد فقط.

قال الرئيس: وماذا فعلت معه؟

قال مندور: تركته ونمت بعد أن طلبت منه الأمان لأني غريب.

قال الرئيس: إنك لا تقول الحقيقة.

قال مندور: صدقني يا رئيس، إني أقول الحقيقة.

كان العمال ينظرون إليه في شغف يريدون أن يسمعوا ما حدث لهذا الغريب في الفدان البور المليء بالعفاريت كما اشتهر عن هذا المكان في هذه القرية في تلك الوسية المترامية

الأطراف، وقد لاحظ رئيسهم فعمل على أن يتزلوا للأرض للعمل، فأخذ يفرقهم على عملهم كلاً في خط من خطوط الأرض المزروعة بالقطن والذي على كل واحد منهم جمع ما به من قطن أمامه حتى آخر الأرض أولاً بأول، ثم توجه لمندور مرة أخرى:

قال مندور: سمعت أن اليومية هنا أعلى بنصف قرش، هل هذا صحيح؟

قال رئيس العمال: سأعطيك ما تريد لكن احك لي عما حدث معك أمس يا مندور ثم احك لي من أين أنت وما قصتك.

كانت الفتاة التي يعاكسها بالأمس تنظر لمندور وقد بدت معجبة به وهي تلمز له بعينها وهو ينظر إليها ويكاد يبتسم، ليس مغازلاً في الحقيقة بل اعتبارًا أن ما تفعله في هذه الظروف شيء مضحك بالنسبة له وهو مع رئيسها في العمل، ولعل ذلك لأنه شغله عنها.

قال رئيس العمال: تعال يا مندور في هذا الخط، فإنه على

مقربة من الجسر وهو يكاد يكون بلا أقطان على شجيراته وسوف أساعدك على أن تحكي لي عما حدث معك ليلة أمس.

قال مندور: عند الفجر جاءني مارد كبير طويل وقال لي: ما الذي جاء بك إلى هنا؟

فقلت له: إني نمت من الحر تحت هذه الشجرة وكنت متعب جدًا فنمت إلى هذا الوقت، فقال لي المارد: إني أعلم كل هذا ولكنك لا يبدو عليك الخوف يا مندور، فقلت له: كيف عرفت اسمي؟ فقال: إنه يعرف أي شئ يريد معرفته، ثم أخذ يحكي معي عن هذا المكان وأنه ملك لأهله منذ مئات وآلاف السنين وأنه قد ارتاح لي كثيرًا.

قال رئيس العمال: ارتاح لك !!

قال مندور: هو قال لي هذا يا رئيس وقال إنه يريد أن يصاحبني منذ الآن لأني أعجبته.

قال رئيس العمال: كيف أعجبته يا مندور؟

قال مندور: صدقني لا أعرف يا رئيس، لكنه قال لي إني

أسعى على رزقي بجد واجتهاد ولا أخاف من شيء ولا أحد.

وفي الحقيقة أن مندور قال هذا خوفًا من أن يقول له رئيس العمال كما سمع قبل ذلك كثيرًا، لماذا لم تطلب منه المال؟

وبالفعل كما توقع مندور.

قال رئيس العمال: لذلك لم تطلب منه المال؟

قال مندور: نعم يا رئيس، لكنه قد ينفعني في أشياء أخرى.

وطبعًا هذا ما أراده مندور بالضبط، فهو يريد أن يجعل من نفسه كما يفعل كل مرة يترل بها قرية جديدة بطلاً بأية طريقة حتى لا تزدريه الأعين أو تستقله النفوس والعقول.

لكن هذه المرة وحتى يخفي موضوع الكتر الذي أصبح وقد قرر رضوخه لتتأكد من كونه أسفل هذا المكان المعبق بالتاريخ بلا علامات أكيدة عله يأتي فيحفر ذات مرة في الفرصة المناسبة فيجده بالفعل وما ساعده على ذلك أيضًا حديث رئيس العمال إياه عن عفاريت في هذا المكان،

وببديهته الحاضرة أعاد تفسير هذه الحكاوي لوجود كتر وقد يكون تم قتل أحدهم عنده أو ما شابه ذلك مع جنه مما يصدر من مؤشرات وجوده كما سمع أكثر من مرة في جلسات شيقة الروايات، إنه منها سماع ديك ورؤية حية ضخمة وهو جني الكتر الحارس الذي يتشكل في هذه الصور في أعقل الروايات سرداً، ومنها هذا الديك الضخم العجيب وصياحه المميز عندما يخرج كل ليلة معلنًا عن وجود كتر هنا مكانه، لكن في الحقيقة معلوماته لم تكن تتعدى هذا الذي قد سمع به من قبل وخلال حياته التي لم يسمح لنفسه على مرها بالانحراف رغم معرفته بأصناف الناس التي تنوعت من الشرفاء لنقيضهم من اللصوص والأغنياء والفقراء والأفقر، إلا أولئك الشحاذون الذين عافت نفسه عن مصاحبتهم أو الحديث في أية حال كان لقائه بهم، وأثناء حديثه هو ورئيس العمال أخذ العمال في الإشارة لرئيسهم إلى خلفه فلما نظر وجد أن صاحب الوسية قد أتى من بعيد يمتطى جواده وهو يسرع به نحوهم ومنهم من كان غير عابئ بعمله فاجتهد به

وقد تكهرب رئيس العمال وأخذ في حث العمال على العمل وكان صاحب الوسية قد جاء معه رجل آخر على جواد آخر يحاول اللحاق به فيما شبه السباق وهو يشق غبار سابقه من خلفه.

وعندما وصلا إلى مكان العمل أخذا في الكلام بلغة أجنبية فيما بينهما وقد أصبح من الواضح أنهما في حديث عن القطن والعمل بشكل عام، ثم نظر الرجل الذي كان يسبق صاحبه إلى رئيس العمال وسأله عن مندور، فذهب إليه رئيس العمال مهرولاً وأمسك بلجام جواده وقال إنه رجل شجاع يا حضرة الخواجة، إنه نام الليلة في أرض العفاريت دون أن يحدث له شيء، وهو غريب وقد طلب رئيس العمال فسمحت له بالعمل معنا، لم يهتم الخواجة بحديث رئيس العمال كثيرًا إلا أنه قال لرئيس العمال أن يبلغ مندور أن يأتي للقصر بعد شهر من الآن وأن يجد له بيتًا في القرية، فأذعن رئيس العمال ومضى الرجل ومن معه من حيث أتيا ركضًا مرة أخرى.

قال رئيس العمال: أظن أنه يريدك أن تعمل مع الجنايني في جنينة القصر يا مندور، ابسط يا عم، فالرجل قد كبر سنه الآن.

قال مندور: وجهك خير يا رئيس.

قال رئيس العمال: أنت الذي حظك في رجليك.

قال مندور: لكن لماذا بعد شهر؟

قال رئيس العمال: لا أدري يا مندور، لكن هؤلاء الناس لهم أمور غريبة لا نعرفها نحن فلا تشغل بالك.

ظن مندور أنه ربما أراد ذلك الخواجة أن يتأكد من مندور قبل أن يدخل بوابة قصره الذي يراه من مكانه هذا على مرمى البصر والذي لا يظهر غيره من ارتفاعه.

بعد انتهاء اليوم قرب الغروب أخذ العمال في رفع عبوات القطن المعبئة في شلائت القطن الكبيرة ورفعها على عربات الكارو للذهاب بها للشونة كأي يوم من أيام الجمع، أما رئيس العمال فقد اهتم بمندور وأخذه معه وهو متأبط ذراعه وقد أيقن مندور أنه قد أصبح صديقًا لهذا الرجل وقد أخذ

في الكلام عن أشياء شتى ومندور قد وجد نفسه مضطرًا لمجاراته في كلامه حتى وصلوا جميعًا إلى مشارف القرية بعد نحو الساعة من المسير وهناك أصر رئيس العمال أن يبيت مندور عنده هذه الليلة، وعند تناولهما العشاء أكل مندور بنهم لفرط جوعه، وبعدها شربا الشاي وخرجا معًا حتى وصلا شيخ الخفر الذي حكى له رئيس العمال ظروف مندور وأن الخواجة قد رآه ووصى عليه وأمره أن يجد له منزلاً لأنه سيعمل في القصر بعد شهر من اليوم.

قال شيخ الخفر: لكن المنازل هنا على مقدار من يسكنها يا رئيس العمال.

قال مندور: لا تحرجا نفسيكما، سأبني لي حجرة على شاطئ هذه الترعة وأسقفها بالفروع والبوص إن شاء الله حتى يفرجها الله.

قال شيخ الخفر: هكذا قد حللت المشكلة.

وبعد أن شربا الشاي وحكى رئيس العمال عما رآه مندور في أرض العفاريت وتسامروا لبعض الوقت حتى

أعجب شيخ الخفر بمندور هو الآخر.

استمر على هذه الحال حتى انتهى الشهر وتوجه للقصر ومعه رئيس العمال وقد قابلا البواب والجنايني وأبلغا السائق الذي أبلغ حديثهما للخواجة الذي خرج واقفًا أمام باب القصر ونادى على مندور ثم أمره بالعمل مع الجنايني في القصر بعد أن تذكره وقفل داخلاً للقصر مرة أخرى.

كان مندور يذهب لصلاة العشاء يوميًا حتى تعرف على شيخ المسجد وهو الشيخ حامد حافظ القرآن وعالم الناحية خريج المعاهد الأزهرية، وقد تعرف عليه مندور، بل وعلى ولده الصغير حامد الذي كان يدرس في المدرسة الإبتدائية في البندر، وكثيرًا ما كان يعزمه الشيخ حامد على العشاء في مندرته في بيته المجاور للمسجد وقد أحبه مندور كثيرًا كما أحبه الشيخ حامد أيضًا وكان ائتمنه على سره الذي وجد له مأمنًا في قلب الشيخ حامد، فقد وجده بالفعل خير معين ومعاون في هذه الأيام التي تراكمت عليه وقد شعر بكبر سنه دون استقرار ودون مال أو أهل، وكان يذهب في بعض

الليالي ناحية الفدان البور ويبيت هناك بعض الليالي ليسمع صوت ذلك الديك حتى قرر أن يراه ويقطع الشك باليقين، وعندما سمعه ذات ليلة دخل إلى داخل الفدان البور قاطعًا الأرض تحت أقدامه في ثبات وهو يتفادى الشجيرات حتى رآه أمامه بالفعل، إنه يقترب من حجم الكبش الكبير لكنه لم يستطع التقدم رغمًا عنه بعد ذلك حتى فرغ الديك من صياحه حتى استدار ودخل في ذلك الجدار القصير الحجري، وعندما تقدم مندور وأخذ في الدوران حول الجدار لم يجد شيئاً أو مدخلاً أو مخرجاً غير ذلك الجدار وفقط مع أن الليلة كانت مقمرة يستطيع من خلال ضوء القمر أن يرى بما يقارب الوضوح إلا أنه لم يعد يراه مطلقًا بعد أن دخل إلى الجدار، كما أنه يتذكر ذلك الجدار جيدًا عندما رآه أول مرة.

فهو بلا مدخل ولا مخرج، أخذ يفكر في الأمر الواقع إلا أنه لم يجد سبيل إلا الحفر هنا في أقرب فرصة وبلا تردد حتى يتأكد، فلعله يحقق أحلامه وتخيلاته التي كثيرًا ما كانت

تعتريه اعتراءً بين الحين والحين في اليقظة والمنام منذ صحوه على صياح هذا الديك أول مرة وآخرها في الحقيقة إلا من أحلامه تلك، ولم يكف عن هذه الأحلام وهو يمارس حياته التي اعتاد عليها وبلا تغيير ليس له مبرر ولا بكلمة عابرة يتفوه بها مع نفسه حتى ينفذ أمر الله بالموت، هكذا كانت تحدثه نفسه حينما يتجرد لها وهو يعقد تصالحًا مع تطلعاته من نفسه، الموت بالنسبة له النهاية الحتمية لهذا الشقاء الذي لا يجد له استراحة ولا حتى من يواسيه من قريب أو حبيب فلا زوجة ولا ولد ولا أي شيء يميل إليه كباقي خلق الله من حوله إذا كبرت سنه وضعفت قوته، بعض المجازفة إذن قد تفيد إذا لم تضر، فهو يجد في نفسه الشجاعة وعدم المبالاة بالخرافات أو الخوف منها مثل باقي الناس من حوله، إذن عليه التجربة على قدر ما يستطيع حتى النهاية، فإما هذا لو فلح فيه أو ذاك إن لم يحالفه الحظ فيريح واعزه الذي يلح عليه.

في الليلة التالية أتى مندور وقد حمل معه فأسًا كبيرة وأخذ

في الحفر حتى وصل العمق إلى كتفيه إلا أنه تأخر في الحفر إلى الفجر لأنه لم يحضر معه ما يرفع به التراب غير ردائه الذي جعل منه مكتل يرفع به التراب، وفجأة انفجر شلالٌ من الماء من تحت قدميه مثل الأمواج الهادرة تارة وكالدوامة تارة أخرى مما اضطره للقفز خارج الحفرة بسرعة بعد أن رمى فأسه خارجًا بحركة لا إرداية.

لكن العجيب أنه لم يبتل، ولكن الماء ما زال يهدر ويموج في الحفرة مما جعله في حيرة شديدة، وأخذ يتساءل إن كان هذا الرصد الذي كانوا يحكون عنه أو نوع من أنواعه، كان الصباح قد أوشك على الطلوع فوارى فأسه وتوضأ كعادته وصلى الصبح ومضى لعمله في القصر على أن يأتي الليلة المقبلة لعله يكون قد وجد حلاً لهذه المياه، وقد اتسخت ملابسه وبدت عليه علامات الإرهاق الشديد والتعب المفرط فقرر أن يدور من حول القرية حتى يصل إلى القصر من طريق آخر حتى لا يقابله أحد، وعندما وصل إلى السور قفز من فوقه وهو يحاذر أن يراه أي شخص وساعده على ذلك

الوقت المبكر وعندما وصل لداخل القصر بدأ في مزاولة عمله بشكل طبيعي، ولكنه تذكر فجأة وهو يعمل أن الديك لم يظهر هذه الليلة، لكنه أحال ذلك السبب إلى كونه كان يعمل على حفر الكتر بالفعل، إذن لذلك لم يخرج الديك للآذان بموقع الكتر كما يقال، تكررت هذه الأفعال مع مندور كل ليلة حتى بدأ اليأس يجد له طريقًا إلى قلبه، إلى أن جاءت تلك الليلة الموعودة والتي جاءه فيها رجل في زي المغاربة بعمامتهم التي يتوسطها الطربوش الأحمر القصير وعباءتهم ذات الطراز المعروف وقد وجده مندور واقفًا وراءه مباشرة وقد فوجئ به إلا أنه قد تمالك نفسه وهو يسأله، من أنت؟ جني أنت أم إنسي؟

قال المغربي: أنا إنسي يا رجل.

قال مندور: وماذا تريد؟ وماذا أتى بك هنا؟

قال المغربي: أتى بي الذي أتى بك، لكنك على كل حال قد أعجبتني فأنت لا تمل من العمل أبداً، أليس كلما حضرت هنا جئت فوجدت هذا الحفر قد ردم مرة أخرى.

قال مندور: نعم، وكيف عرفت؟

قال المغربي: إنه عملي يا رجل.

قال مندور: أتعمل في الكنوز؟

قال المغربي: نعم.

قال مندور: لكنه كتري أنا.

قال المغربي: بدوني لا تستطيع فتحه أبداً ولا الاستفادة منه على الإطلاق، وستظل تحفر كل يوم ثم تأتي في اليوم التالي لتجد أن ما فعلته قد ذهب هباءً.

قال مندور: وهل تستطيع فتحه؟

قال المغربي: بكل تأكيد، إنه عملي.

قال مندور: إذن فأنا و أنت شركاء، هل توافق؟

قال المغربي: أنا موافق يا ..... ما اسمك؟

قال مندور: اسمي مندور، فما اسمك أنت؟

قال المغربي: اسمي المغربي فقط حتى لا تجادلني في الاسم.

صمت مندور لبرهة يفكر في هذا الرجل الغامض الذي

ظهر فجأة، لكنه قرر أنه لا مفر من مشاركته، فالواضح أنه خبير في مثل هذه الأمور. ومظهره بالفعل كما سمع عن هذا الصنف من الناس الذين يفتحون هذه الكنوز بكل سهولة كأنه عملهم فعلاً.

قال مندور: كيف وصلت لهذا المكان؟ وكيف علمت أن بهذا المكان بالأخص يوجد كنز؟

قال المغربي: عندي مصادري وخرائطي يا مندور.

قال مندور: ومن أين حصلت عليها؟

قال المغربي: من كنوز أخرى يا رجل ويكفي أسئلة، ألا تريد أن نبدأ العمل الآن.

قال مندور: طبعًا طبعًا وبسرعة.

قال المغربي: إذن عليك أن تسمع ما أقوله وتطيع.

قال مندور: اتفقنا.

أخرج المغربي من حقيبة جلدية من جلد النمر بعض الأعشاب وقام بإشعالها وجعلها تصدر فرقعة وهي ينبعث

منها دخان كثيف له رائحة زكية، وكلما خفت الفرقعة رمى عليها مادة تجعلها تزداد من جديد، كان يفعل ذلك وهو يهمهم بكلام غير مفهوم وكان يقرأ في كتاب بيده ويغمض عينيه ويفتحها حتى اختفى الماء الذي كان يظهر لمندور ووضحت الصخرة في ضوء النجوم، ثم انفرجت عن باب صغير يظهر تحته سلم يهبط أسفل، وعندما ظهر هذا السلم نظر الرجل لمندور وبدأ في محادثته.

قال المغربي: انزل بسرعة وخذ هذه الشعلة وهذا الكيس معك وضع فيه ما تستطيع من ذهب ونفائس، ولا تغيب في الداخل حتى لا ينفذ البخور وينغلق عليك الباب.

نفر مندور في أول الأمر ولكنه ما لبث أن أطاع الرجل وأخذ الشعلة ونزل على الدرج مسرعاً وأخذ في تعبئة بما قابله من ذهب وجواهر امتلأ عن آخره، وقد كان ذلك في سرعة وخفة أذهلت المغربي نفسه عندما خرج مندور وقد بقي في البخور نصفه تقريبًا.

وقد لاحظ مندور ذلك فأفرغ الكيس مسرعاً دون أن

يتكلم مع الرجل كلمة واحدة ونزل مرة أخرى إلا أنه هذه المرة لم يملأ إلا نصف الكيس القماش فقط وخرج مسرعًا.

قال المغربي: أنت ذكي ولماح يا مندور، انظر إنه ما زال بالبخور بعضه، لكن هذا يكفي على أية حال هذا اليوم.

قال مندور: هل ستأتي غدًا أيها المغربي؟

قال المغربي: أنا أقول بالأصالة عن نفسي يا مندور، لكن عليك أن تعرف أن لي شركاء في بلادي يقاسموني، كما أني أدفع لبعض الناس في نقاط عديدة، لا تشغل نفسك بهذه الأمور، كم تريد من هذه الأموال يا مندور؟

قال مندور: النصف كما اتفقنا.

قال المغربي: بل سأعطيك هذه الكومة التي جلبتها أول مرة، أما أنا سآخذ ما في هذا الكيس مع أنه نصفه فقط، و لا تنسى أنه كيسي أيضًا، ثم ضحك.

قال مندور: ومتى ستأتي مرة أخرى؟

قال المغربي: هذه أول مرة آتي لهذا المكان يا مندور، وقد

صادفتك وصادفتني، وعلى أية حال أنا كنت في احتياج لمن يترل للكتر وأن أقرأ عزائمي بالخارج، وبعد أن كنت أستطلع المكان وجدتك عنده وفتحت الكتر وكان هذا من حسن طالع هذا المكان وحسن حظك أيضًا.

لذلك ستكون حارساً على هذا الكتر في غيابي، فإن هناك مثلي يبحثون عن هذه الكنوز ومرة تصيب ومرة تخيب، يا مندور إن أردت أن تجدني هنا تعال نصف كل شهر عربي على أن تكون وحدك، اتفقنا.

قال مندور: اتفقنا.

قال المغربي: إذن سنكون أصحاب يا مندور، وعندما أسافر عن مصر إلى بلادي ستكون فترة طويلة، عندها سأبلغك على ألا تترك غيري يفتح الكتر كما اتفقنا، واللعنة على الخائن، هل أعزم عزائمي السحرية على ذلك يا مندور؟

قال مندور: وأنا موافق، افعل ذلك.

تلا المغربي عزائمه وهو يرمي ببعض التراب الملون على مندور، وعندما فرغ من تلاوة عزائمه قام وأخذ متعلقاته

وكيس الذهب وودع مندور على لقاء قريب قد وعده به نصف الشهر العربي القادم أو الذي يليه على الأكثر لأنه على ميعاد مع بعض الناس قد بعثوا في طلبه، وقد كان هذا الكتر في طريقه فأراد أن يتأكد من وجوده على خريطته، وقد كان مندور في شدة الفرح وسعادة لا تبلغها سعادة، إن ما يراه أمامه ذهب حقيقي، إنه ذهب كثير جداً لكن ما عليه أن يفعل بكل هذا الذهب وأين يبعيه ولمن؟ عليه أن ينتظر حتى يعود الرجل المغربي فيسأله فهو أدرى بمثل هذه الأمور لكن الذهب الذي رآه داخل الكتر أكثر بكثير جدًا جدًا.

إنه يذهب بالعقول بلا شك من جمع كل هذا الذهب ومتى وكيف؟ إن هذا الشيء مذهل ومخيف، إنه يكفي الدنيا كلها كما أختال.

هكذا أخذ يفكر مندور وهو يجمع الذهب في جلبابه وظل يسير به وهو في سعادته تلك والذي كان يظن من حين لآخر أنه يحلم بما حدث وليس حقيقة، إلا أنه يعود فيجلس ويقلب في الذهب بيديه ليسمع رنينه فيعود ويصدق أن ما حدث

كان حقيقة وليس بخيال، وعندما وصل إلى سور القصر عند مطلع الفجر قام بحفر حفرة بين شجرتين من الصفصاف ووضع الذهب فيها وهو في ثوبه ووارى عليه التراب وقفل راجعًا ثم قفز من على السور من الناحية الأخرى وقام بعمله في هدوء، لكن هذه المرة بات الحلم قريبًا من الحقيقة.

وفي المساء ذهب إلى عشته وتناول عشاءه ثم ذهب لصلاة العشاء وبعدها قرر أن يشرب الشاي عند شيخ الخفر وقد أخذ ما قام بادخاره في الأيام الماضية وأعطاه لشيخ الخفر ليفصل له جلباب جديد، فإن شيخ الخفر كان في حجمه بالضبط، هذا غير أنه يذهب للبندر كل عدة أيام في مصالح حكومية للعمدة، فما عاد لديه غير الجلباب الذي يرتديه بعد أن وضع الذهب في الآخر وردم عليه بجانب السور.

وكان يحلو له الحديث مع الشيخ حامد شيخ المسجد والناحية كلها والذي كان مقصد كل من أراد أن يحل مشكلة فقهية أو حتى أية مشكلة أخرى مما تنشب بين الناس وبعضها البعض من مشاجرات أو إشكالات مختلفة، حتى إن

الشيخ حامد بدأ يستشيره في بعض هذه المشاكل لما وجد فيه من عقل وبعد عن الحماقة والاستهتار كما هو موجود في كثير من الناس حوله، وكذلك كان بعيدًا عن المصلحة كأمثال شيخ الخفر وشيخ البلد والعمدة غير أن له راتبًا ثابت من عمله في قصر الخواجة مثل الشيخ حامد الذي كان له راتباً من الأزهر مع الفارق الكبير طبعاً، وقد كان يحب الاستماع للمذياع مع الشيخ حامد للوقوف معه على آخر الأحداث مما أعطى انطباعاً للشيخ حامد بنباهة مندور واتساع أفقه، وقد رفعت كل هذه الأشياء كثيرًا من الحواجز بين مندور والشيخ حامد يومًا بعد يوم حتى إن الشيخ حامد أصبح مهموماً بحياة مندور وهو لم يكف عن السؤال عن أحواله وأنه يريد أن يزوجه ويكمل له دينه ليرى أولاده تكبر أمامه ويعطون لحياته معنى مثل كل الناس، وكان مندور يقبل منه هذا الحديث دون غيره، وكان ذلك من داخله وليس مجاراة في الحديث وعدم شعور بالألم، وإن كان بقدر لكنه ليس بالمحسوس لديه عادة.

خرج الخواجة ذات يوم وهو في حالة غير طبيعية وقد شهد بهذا كل من كان في القصر وقد أمر السائق بإخراج السيارة وهو واقف في ممشى الجنينة وينظر في الساعة كل دقيقة أو أقل بالتقريب ثم أمره بالخروج والتوجه للقاهرة بأقصى سرعة، لم يرتاب أي إنسان أن هناك أمرًا غير طبيعي وأنه غير سار أيضًا كما هو واضح على ملامح الخواجة وتصرفاته، فور خروج السيارة من بوابة القصر مسرعة بدأ عمال القصر في أحاديثهم عما تراه يكون وراء ما حدث هذا، كانت الأحاديث الجانبية قد انتشرت حتى بين العاملين داخل حجر القصر وغرفه الداخلية، وتجمعوا خارج الباب في شبه تزاحم يرمقون الخواجة وهو يبتعد بسيارته التي تثير الغبار وراءها بشدة، وقد ذهب البواب مسرعًا نحو الباب الكبير للقصر وإغلاقه للبوابة الخارجية ليسأل أحد من يعملون داخل القصر عن سبب هذه العجلة وهذا الهرج وما الداعي فأجابه أنه سمع صوت الهاتف يدق ثم صوت الخواجة قد تزايد فأصبح عاليًا ثم خفت مرة أخرى حتى أصبح يهمس في

الهاتف وأغلق سماعة الهاتف في عنف بعد ذلك صعد ليغير ملابسه وخرج مسرعًا كما رأيت وغير هذا لا أعرف.

كان مندور قد استأذن من الجنايني الأقدم منه ليذهب للبندر لقضاء مصلحة على أن يعود مسرعاً، وفي الحقيقة كان مندور قد أخذ الذهب الذي جمعه مع المغربي على مدار ثلاث مرات على عربة كارو قد أخذها من عربات القصر وذهب بها إلى البندر كما واعده المغربي لإبداله بالمال فهو لا يعرف كيف يتصرف في هذا الذهب كما قال المغربي، وكان المغربي ينتظره في سيارة سوداء عند أول محطة القطار كما أخبر مندور قبل ذلك، وعندما وصل إليه مندور أمر المغربي بفتح حقيبة السيارة على الفور ووضع الذهب بها، كان معه رجل في المقعد الأمامي ببذلة إفرنجية وجهه أحمر وعيناه زرقاء اللون وشعره بني اللون وطويل كما يظهر أنه غير مصري ولا حتى شرقي من أصحاب البشرة الشقراء.

قال مندور: أكاد أجزم بأن هذا الرجل ليس مصري ولا حتى عربي.

قال المغربي: نعم يا مندور فهو يتبع أولئك الذين يشترون منك الذهب وإبداله بالمال لك أيضًا، وحدك وما أنا مضطر، أف لهم.

قال مندور: لكن هذا السائق مصري مثلي.

قال السائق: نعم يا عم مندور، أنا من القاهرة لكنه قدري مثلك، أليس كذلك؟

أعطى المغربي لمندور حقيبة جلدية أنيقة فرح بها مندور وعندما فتحها المغربي وجد مندور بها مبلغ كبير من المال فأراد رفعها فوجدها ثقيلة رغم رؤيته للأوراق المالية التي كانت من الفئة الكبيرة فاستعظم قدر هذا المال.

قال مندور: كم يبلغ هذا المال يا رجل؟

قال المغربي: هذا المال الذي تحمله يكفي لشراء الوسية التي تعمل فيها يا مندور وقد يفيض، إن لك عندي خبر أظنه سوف يسعدك ويسرك يا مندور، وقد وصلني أمس فقط.

قال مندور: قل يا وجه السعد.

قال المغربي: غالبًا سوف يبيع الخواجة الذي تعمل لديه الوسية لأي مشتر وفي أقرب فرصة ممكنة، فهل تشتريها يا مندور؟

قال مندور: أنا أشتري الوسية!

قال المغربي: نعم، والقصر والناس أيضًا.

قال مندور: كيف هذا؟ وماذا سأقول للناس والخواجة عن المال وهذا الغنى المفاجئ عندما أطلب منه شراءها؟ ثم لماذا سيبيع الخواجة؟

قال المغربي: ألا تسمع المذياع؟ ألم تسمع عن الحرب العالمية الثانية وأن هتلر الألمان قد توالت انتصاراته على الحلفاء واقترب من العلمين.

الفصل الثاني

كان الشيخ حامد يلقي بعض محاضراته بعد صلاة العشاء في المسجد وكان مندور من بين الحضور يستمع لموضوع الدرس في اهتمام بالغ، كان ذلك ليثير الإعجاب من قبل المغربي لو أنه رآه على هذا النحو، فقد أصبح ثري ومع ذلك لم تمنعه هذه القفزة الاجتماعية المالية من الاهتمام بالصلاة والتفقه في الدين، ناهيك عن أسلوب الغني هذا، أنهى الشيخ حامد موعظته وقام فقام الناس وراءه عجلى وتوجه مندور إلى الشيخ حامد وسلم عليه وقابله الشيخ حامد بترحاب كعادته وخرجا معًا من المسجد وتوجها إلى بيت الشيخ حامد وقد أكرمه كعادته واستأذن مندور في فتح المذياع فأذن له الشيخ حامد وأخذ مندور في إدارة المؤشر حتى وقف عند إذاعة أخبار الحرب التي ما كان يبدي لها اهتمامًا قبل ذلك مما أثار عجب الشيخ حامد فما كان للحرب أي اهتمام لدى مندور قبل ذلك بالفعل حتى عندما كان يحدثه الشيخ

حامد عنها كان يجده غاية في السطحية في مثل هذه الأمور.

قال الشيخ حامد: ما سر اهتمامك بالحرب العالمية يا مندور وقد كنت غير مهتم بهذه الأمور قبل ذلك؟

قال مندور: كنت في البندر وعندما عدت قالوا لي إن الخواجة خرج وهو متوتر في غاية القلق مما أثار شكوكي أن السبب وراء هذا هي هذه الحرب، فهو من اليونان وهم رعايا للحلفاء وأنت تعلم يا شيخنا أنت الترك واليونان كانت بينهم حروب وأن الترك كانوا مع الألمان من أجل هذا السبب.

ضحك الشيخ حامد وهو يضرب كفًا بكف ناظرًا إلى مندور في دهشة واضحة ثم قال الشيخ حامد هناك شيء لا أعرفه قد استجد عليك يا مندور، أنا متأكد من هذا القول.

قال مندور: ماذا تقصد يا شيخنا؟

قال الشيخ حامد: أقصد ما قلته لك يا مندور وإلا فأنت كنت عبقري في السياسة لذلك لم تهتم بكلامي عن السياسة عندما كنا نستمع معاً، فلماذا لم تصحح لي معلوماتي لو

كنت غير متكافيء معك في الحديث، وإلا فأنت كنت تهزأ بي يا مندور في مكنون صدرك.

قال مندور: لا أبداً يا شيخ حامد، أقسم لك على ذلك، أنت تعرف مقدارك عندي.

قالها مندور وهو متوتر من وقع كلام الشيخ حامد رغم أنه كان مبتسمًا ومتأثرًا بقدر حبه له فخافه أن يكون مسه ولو بعض الحنق من الشيخ فقد وجد فيه الحنو عليه والاهتمام الصادق به رغم تقارب سنهما مما جعله ينعطف إلى الحمق الذي كان بعيدًا عنه كل البعد بشهادة الشيخ حامد نفسه.

قال الشيخ حامد: أراك تخرج عن طباعك أمامي يا مندور، لكن على أية حال لا تجد النصيحة الخالصة إلا عندي يا رجل.

قال مندور: أنا متأكد من ذلك يا شيخنا، لكن لي عذري ولكل وقت أذانه.

قال الشيخ حامد: بل لكل أذان وقته، فالأذان واحد ولكن الأوقات تتباين يا مندور، وكذلك عدد ركعات الصلاة

فرضًا وسنة.

قال مندور: نعم يا شيخنا، الأوقات تتباين.

قالها مندور وهو يحرك رأسه لأعلى وأسفل مغمضًا عينيه ساحبًا شفتيه إلى داخل فمه وقد عض عليهما بأسنانه الأمامية.

لاحظ الشيخ حامد أن هناك سرًا يريد أن يبوح به له مندور لكنه لا يعرف من أين يبدأ الكلام، فهذا فقط ما يمنعه كما أحس بذلك الشيخ حامد، وإلا فالأمر مريب ويستدعي القلق والخوف، إذا لم يكن على مندور فقط، وعليه ومنه أيضًا إذا تعلق الأمر بالحلال والحرام وفي كل الحالات وجب على الشيخ حامد إرشاده وتوجيه النصح له ثم بعد ذلك عليه أن يختار طريقه، وهذا في كل الحالات والظروف وهذا ما استقر إليه الشيخ حامد في نهاية تفكيره في شأن مندور الغريب الذي طرأ عليه هذا.

قال الشيخ حامد: اسمع يا مندور، أي سبب وضعك في هذه الحيرة عليك ألا تكذب علي بشأنه، صدقني سوف

أرشدك لأفضل الطرق صلاحاً على قدر علمي فلا تشك في خوفي عليك حتى لا أضطر للخوف منك، اتفقنا.

قال مندور: طالما إتفقنا سأقول لك على الحقيقة كلها يا شيخنا وبلا كذب كما تعودت مني.

حكى مندور للشيخ حامد عن هذا الأمر كله من أوله لآخره بلا كذب أو مواربة فليس الشيخ حامد في رأي مندور ولا رأي أي أحد آخر حتى القلة المسيحية بالشخص الذي يستخدم معه أحدهم أسلوب الالتفاف والدوران وبالذات مندور، فالشيخ حامد قد أحبه لصراحته معه ولصراحته عما كذب فيه على أهل القرية حتى يهرب من أشياء يجدها غير مبررة في رأيه لمعرفة أسراره أو ما لا يجب أن يحكيه لهم أو يجب أن يعرفه عنه أحد منهم، وهكذا كان يبرر مندور بعض كذبه إذا اضطر لذلك، كان الشيخ حامد يعرف عنه كل هذا إلا هذا الموضوع المتعلق بالكتر بعد أن انتهى مندور من سرد قصته على مسامع الشيخ حامد وهو مهتم بسماعه إلى أبعد الحدود، لم يوقفه إلا عندما ذكر له ذلك الخواجة الذي كان

جالسًا في المقعد الأمامي من السيارة السوداء التي كان ينتظره فيها الرجل المغربي فأشار إليه بكفه وهو باسطه قبالة فم مندور رافعًا أصابعه وهي مضمومة لأعلى حتى يتكلم هو، فسكت مندور ليترك الفرصة للشيخ حامد حتى يقول ما يريد قوله.

قال الشيخ حامد: من أي البلاد هذا الرجل يا مندور؟

قال مندور: لا أعرف يا شيخ حامد، لكن ليس هذا المهم عندي الآن، المهم هو استبدال الذهب بالمال حتى أستطيع الاستفادة منه.

قال الشيخ حامد: من خواجة إلى خواجة يا مندور، هذا ما يطلقون عليه هم يبكي وهم يضحك.

قال مندور: وفيما الفرق يا شيخنا؟

قال الشيخ حامد: صدقت يا مندور، إن صاحب الوسية لو وجد الذهب الذي يعتبر أثر قومي ما تصرف فيه أفضل مما تصرفت وحتى لو وجده الملك نفسه، إما أن يخزنه لنفسه بعيدًا عن خزائن الدولة أو كان باعه بنفس هذه الطريقة أو

بأبغض منها.

إن البلوى عندما تعم تعمي، في الحقيقة يا مندور لا أعرف ماذا أقول لك، لكن ماذا أنت فاعل بهذا المال؟

قال مندور: سأشتري الوسية من الخواجة.

قال الشيخ: وهل سيبيعها؟

قال مندور: أظن ذلك، فهو كما قالوا متوتر جدًا بسبب الحرب وكذلك قال لي المغربي، لكني لا أعرف كيف عرف أنه يريد أن يبيعها بل وأوصاني بشرائها وعندما سألته كيف وأنا أعمل عنده؟ قال لي سأساعدك في ذلك الأمر فلا تقلق.

قال الشيخ: وكيف سيأبه بك الخواجة إلا عندما يرى المال بأم عينيه، إنه الإنسان في أي مكان وزمان يا مندور.

قال مندور: أعدك أني سأضع المال في أوجه الخير يا شيخ حامد وكما سترشدني إليه.

قال الشيخ: لعل ذلك يفيد يا مندور إن شاء الله.

قال مندور: أريد منك مساعدتي إذا قرر الخواجة بيع

الوسية بأي حيلة تنطلي عليه مع المغربي.

قال الشيخ: أرجوك أن تخرجني من هذا الموضوع يا مندور، لكن على أي حال هذا الرجل المغربي له طرق لا يثير غورها كأغواره، فلا تقلق من سوء مساعدة مثله لك، أنا على ثقة أنه سوف يرشدك للأفضل بأي الطرق التي يعرفها، أما أنا فهذا الأمر برمته بالنسبة لي شائك ومحرج ولو بيني وبين ربي، فالحق أني لم أصل فيه لجواب شافٍ أو شبه كافٍ حتى، فعليك بهذا الرجل المغربي فسوف يفيدك في هذا الشأن.

قال مندور: إذن قد عرفت كل شيء، وأنا أعجب كيف لا أقدر أن أخفي عنك أي شيء، لا أستطيع هذا أبدًا أبدًا.

قال الشيخ: كما قلت لك من قبل يا مندور، لا تخفي عني شيء أبدًا أبدًا كما قلت لي الآن، فإني إن لم أفدك يا مندور فإني لن أضرك، فكن على ثقة بكلامي هذا.

قال مندور: أنا أثق بك يا شيخنا أكثر من نفسي، عليك أن تصدقني، فهذا شعوري تجاهك.

ربت الشيخ حامد على كتف مندور في حنان وهو يتذكر

أنه قد اختلف الفقهاء السابقون في هذا الأمر وفي جدواه ونفعه من عامة وخاصة من عدمه، غير أن هذه الأيام خالط هذه الآراء القديمة الفتن الحديثة والظواهر المستجدة في هذه الأيام ذات الأوضاع الغريبة والتحكمات العجيبة بما يجعل الحليم السليم في مثلها غير ثابت ولا واثق ولا يتأكد رأيه وهو في الوقت نفسه لا يجد لغيره من أولي الرأي السديد آراءً يستنير بها ويستند إليها في أحكامه وسط هذا الفساد المتشابك، فكلهم في رأيه الشخصي لا حق له فيها، فمن صاحب الحق والرأي السديد الذي إذا وصل إليه استخدمه في مكانه في خضم هذا البحر من ضياع الحقوق الأصلية فما بال الحقوق التي لا أصحاب لها، كيف يتم توزيعها ومن يتحمل كمسئول مسئوليتها.

في الصباح كان مندور في جنينة القصر وعند الظهر رجع الخواجة من رحلته ووراء سيارته سيارة أخرى فيها رجل يظهر عليه الأبهة والعز كما قال العامة، وقف مندور بمقص الشجر جانب شجرة قريبة من مدخل القصر وعند الدرج

كان الرجل يتحدث إلى شابة بجواره عن سعر القصر والأرض التي تتبعه وكانت تحدثه وهي تتبعه بأبي فعرف أنه والدها، كانا يتحدثان باللغة العربية العادية وعندما يتحدثان للخواجة لا يتكلمون معه باللغة العربية بل بلغة أجنبية وكان يرد عليهم بها وليس كما كان يحدثهم بلهجته التي كانوا يفهمونها على مضض في الأغلب، وعلى بوابة القصر وقفت سيارة أخيرة سوداء وعندما شاهدها مندور عرف أنه المغربي، نزل السائق وكلم بواب القصر وقد إستدار البواب ينظر حوله حتى شاهد مندور فشاور إليه بيده فذهب مندور مسرعًا إليه، وعندما وصل شاهد المغربي داخل السيارة بالفعل وكان يلوح له بيده فخرج إليه مندور.

قال المغربي: أين أموالك يا مندور؟

قال مندور: هل رجعت في كلامك؟

ضحك المغربي وهو يشير إليه بالركوب إلى جانبه والجلوس معه في السيارة وعندما دخل السيارة بدأ في محادثته بصوت خفيض.

قال المغربي: قد أتيت ومعي قدر إضافي من المال وهذا لو زايد علينا الخواجة في سعر الوسية، فاذهب وأحضر المال الذي أخذته مني لنكون على استعداد وسأنتظرك هنا حتى تأتي، لكن إذا وجدتني داخل القصر مع الخواجة وهذا إذا أرغمني على الدخول حتى يضيفني إذا استعجب من وقوفي هنا أو استعابه كصاحب للبيت الكبير. سأقول إني أسأل عنك فأنت ابن عمي وقد توفي والدك وقد أتيت لك بميراثك معي، ها يا مندور، ما رأيك في هذا الكلام؟

قال مندور: كلام منسق أيها الرجل الذكي، لكن هناك من سبقنا لشراء الوسية أو القصر لا أعرف بالتحديد.

قال المغربي: من سيشتري القصر سيشتري الوسية أيضًا يا مندور، اذهب فقط وأحضر باقي المال وتعال و لا تتأخر علي وعلى العموم قد أتيت معي ببعض الذهب المشغول من أقراط وأساور وغيره كميراث ذهبي حتى يلمع في عين الرجل فيبيع لك دون غيرك وبلا تفكير، هيا اذهب.

لم يكن مكان المال بعيدًا عن القصر فهو بجانب السور

حيث كان يواريه مندور فلم يغب عن صاحبه المغربي كثيرًا حتى وافه وهو ما زال واقفاً بسيارته أمام بوابة القصر.

قال المغربي: ادخل للخواجة وقل له إني أريد مقابلته قبل أن تضيع فرصتنا، فقد تتأخر ويسبق أولئك وهم جاهزون للشراء كما علمت من قريبهم، إنه دهش أكثر مني في هذه المصادفة.

قال مندور: من قريبهم هذا، وقريب من فيهم؟ ثم ما علاقته بنا؟

قال المغربي: ستعلم كل شيء في حينه، ما عليك الآن هو الذهاب وأخذ الإذن بالدخول فالأمور كما أراها مواتية للغاية وكأنها قد قسمت لنا فأنا متأكد من ذلك لكن هاني باشا .....

قاطعه مندور متسائلاً

قال مندور: من هاني باشا هذا؟

قال المغربي: هذا قريب الزبون وابنته بالداخل، بل هو ابنه وهذه أخته لكنهما لا يعرفان أنه يعرف عن هذا الموضوع

شيئاً، فهو يعيش في فرنسا منذ ثلاث سنوات ويعرفني منذ ذلك الحين لأنه عندما يريد أن يستبدل أحد مثلك ذهبه بالمال يقوم هو ورجاله ومن هو تحت سيطرتهم بهذه المهمة، لذلك عندما أبلغتهم بمطلبك اجروا اتصالاتهم وتوصلوا له فالعمل في هذا المجال أساسه مصر لغناها بهذه الآثار وهو مصري وله خبرته فقد تخرج في كلية الآثار في فرنسا ومن يومها وهم يتعاملون معه وجعلوه يتعامل معي مع أني لم أره أبدًا، لكني لا أعرف من بعث بأقاربه ليشتروا الوسية.

قال مندور: لعله هو ليضمن ألا يضيع منه مكان الكتر بعد أن عرفته أنت بمكانه مشكورًا.

قال المغربي: فلماذا طلب مني أن أساعدك في الشراء، إذن؟

قال مندور: لا أعرف؟ إنه أمر محير، لكنه إذن هو الذي طلب منك مساعدتي في ذلك، لقد زادت حيرتي.

قال المغربي: ما أعرفه الآن أني يجب أن أشتري لك هذه الوسية ويجب ألا تضيع منك، اذهب وافعل كما قلت بسرعة يا رجل هيا، قل له إن ابن عمي يريد مقابلتك في أمر مهم

متعلق بشراء الوسية لأنه علم أنك ستبيعها حتى تسافر لأمريكا الجنوبية، وأكد له على سفره لأمريكا الجنوبية، فاحفظ الاسم جيدًا ولا تنساه.

دخل مندور طلب من الخادم مقابلة الخواجة في موضوع بيع الوسية، فالمشتري يقف خارج السور بسيارته ويستأذن في الدخول ليقابله، دخل الخادم وأبلغ الخواجة وهو ما زال يتحدث مع ضيفيه عن ثمن الوسية في عملية البيع والشراء، أذن لهم الخواجة بالدخول وعندما دخلوا قابلهم الخواجة وجلسوا جميعًا، تحدث المغربي وعرض مبلغاً كبيراً فاق الذي كان قد قاربوا على الاتفاق عليه قبل دخولهم، وكان المغربي قد أجلس مندور معهم وعرف الخواجة أنه ابن عمه وأن هذا المال ماله في عجب واضح من الخواجة، لكن المبلغ المعروض قد غطى على أية ردود أفعال، ثم أبلغه أنه يعلم أنه يريد السفر لأمريكا الجنوبية وقد عرض عليه منطقة زراعية هناك يريد صاحبها بيعها هذه الأيام، بل قد قام اتصال بينه وبين هذا الرجل الذي أبدى موافقته من حيث المبدأ وما على

الخواجة إلا إتمام الصفقة معه، كان الخواجة يشتد عجبه كلما استطرد المغربي في الكلام إلا أنه يريد البيع والرحيل ولا يهمه الآن سوى المال والرحلة المقبلة والأرض الجديدة التي سيستقر بها دون أن يخسر شيئًا، لا ماله ولا حياته ولا حريته إذا دخل الألمان مصر، مع أنه لم يحدث عن سفره لأمريكا الجنوبية إلا صديقه الذي يعيش في فرنسا والذي شاركه في هذه الوسية منذ سنوات قبل أن يبيع له حقه ويسافر لفرنسا، وجه حديثه للوجيه القاهري وابنته عن السعر الذي عرضه المغربي فلم يتجاوبا معه، وحينما كان التفاوض على أشده أصدر الهاتف رنينه فمد الخواجة يده ورفع سماعة الهاتف ثم بعد أن تعرف على شخصية محدثه أعطى السماعة للوجيه الذي يجلس قبالته فالمكالمة كانت تخصه و لم يبدي الخواجة أي تعجب بعد ذلك إلا أنه مط شفتيه وفقط فهو على علم أن لكل أناس أساليبهم غير أنه يعرف أن هذا الوجيه القاهري على صلة بالقصر الملكي بالقاهرة فلا عجب إذن فإن ما عليه البيع والرحيل ولا شيء آخر، كان الوجيه ما زال يتحدث في الهاتف قائلاً:

قال الوجيه: نعم يا هاني أختك هنا معي، نعم سأسلم لك عليها، هل تريدها هي، ماذا تريد منها؟ إننا في حديث آخر يا بني الآن، ماذا؟ وكيف فعلت هذا أيها الماكر؟ هل أصبحت مهمًا لهذه الدرجة؟

نظر الباشا للمغربي وكأنه ينظر لملابسه على وصف يأتيه عبر الهاتف ثم حول نظره لمندور ثم ابتسم ابتسامة عريضة وكان لم يزل ممسكاً بسماعة الهاتف بيده وهو يتحدث مع ابنه والذي كان هاني الذي كان يكلمه من فرنسا ليرشده أن البيع سيتم لمندور الذي يرتدي الملابس الفلاحية العادية وأن المغربي الآخر ليس إلا وسيط ليتمم الصفقة لصالح مندور فهو من رجاله الآن غير أنه من أعظم الأثرياء أيضًا، وقد أفاده أن مصلحته في هذا الموضوع كله تتمثل فيما سيقوله لأخته الآن، فالنسبة في هذه الصفقة لن تكون مجرد نسبة عادية وطلب منه أن يعطي سماعة الهاتف لأخته فلما كلمته سلمت عليه بحرارة ثم نظرت تجاه مندور وهي تبتسم له وقد أشارت إليه بيدها الأخرى وعندما غمزه المغربي بإصبعه في جنبه رد

الإشارة لها وهو بين الابتسامة والتجهم في ردود أفعال غير متوازنة، فهو لأول مرة تشير إليه مثل هذه الفتاة الجميلة التي يظهر عليها الفخامة والعز وهذه الملابس التي كان يسمع عنها فقط، فهو يعيش لحظات الآن كأنها حلم بالفعل، وكان هاني قد وصف لأخته حالة المغربي ولباسه أيضًا وقد طلب منها أن تعطيه سماعة الهاتف حتى يحدثه عما يريد:

قال هاني: كيف حالك يا مغربي وكيف حال صاحبك، عليك أن تعرف أنه سيكون نسيبي فتعامل معه باحترام أيها الرجل، هل فهمت.

قال المغربي: نعم، نعم، قد فهمت الآن كل شيء، صدقني.

قال هاني: إذن تم الصفقة الآن قد عملت لك أنت ومندور على تسهيل ذلك الآن أفضل من أي وقت فلن يشتري غيره بعد ذلك، هيا اعطوا الرجل ماله واتركوه يمضي حيث يريد ولا ترغمه على أمريكا الجنوبية كما بعثت لك بهذا فلعله يمتعض لذلك.

قال المغربي: لن أرغمه على شيء إطلاقاً، لكن غيرك يا

هاني باشا ما كنت لأفعل معه كل هذه الأفاعيل فإنه ليس من طباعي ولا اختصاصي.

قال هاني: أعلم يا مغربي لكني لم أجد غيرك وهذه فرصة لنا جميعًا كما تعلم، فكل شيء عندك أصبح لنا الآن أيضًا ومندور هو صاحب الحظ الحسن الذي سيكون معنا ولن يلتفت لغيرنا بعد ذلك أليس كذلك؟ هيا مع السلامة الآن.

أنهى هاني مكالمته المثمرة بعد أن وصى كل شخص على حدة بما عليه فعله إلا مندور الذي ما كان إلا صاحب الحظ كما وصفه هاني للمغربي والذي سيكون بمثابة القيم على كل هذا وبما فيهم أخته التي سيعمل على زواجه بها حتى لا يستطيع أن يتحرك خطوة بعد ذلك إلا بمعرفته وهو في نظر هاني ما كان ليحلم بكل هذا دفعة واحدة ولا حتى على مراحل متفرقة، وقد كانت هذه الحقيقة على أية حال، فغلطة مندور أنه لم يستطع التصرف في الذهب ولم يحاول حتى تحويله لأموال يمكنه استخدامها، بسيطة وعادية دون أن يلفت إليه الأنظار، هذا بالإضافة إلى أنه كان كما يسموا

أمثاله في المكاتب الحكومية تحت مصطلح (ساقط قيد) أي أنه ليس له أسم في الحكومة لكنه بفطنته قد لاحظ أنه في ركن من حجرة ضيقة قد أصبح فيها وحيدًا مع أناس يرى أنهم يهجموا عليه ولا يعلم ما سيفعلون معه بعد ذلك وهو بلا سلاح يدافع به عن نفسه إلا أنه يراهم جميعًا أمامه بوضوح، إلا أنه قد رأى من خلال نافذة هذه الحجرة الشيخ حامد، وما عليه إلا الاستنجاد به حتى يحل هذه المشكلة المعضلة فهو على وشك أن يطلبوا منه أوراق ليتمموا البيع فماذا عليه القول لهم؟ وقد يبرز أحدهم ويقول أنا كفيل بأن يتم كل شئ باسمي حتى يستعد مندور، وعندها لن يملك مندور إلا الموافقة فهو بلا رأي الآن، وعندما أراد المغربي أن يأمر السائق بالخارج أن يحضر المال ليتموا البيع وذهب الخواجة لإحضار أوراق الملكية ليتم نقلها باسم مندور وجد مندور نفسه أن التأخير لحظة أخرى سيضيعها وسيكون في مهب الريح فقرر أن يذهب لإحضار الشيخ حامد بأسرع ما يمكن ومعه أوراقه الشخصية حتى يتمكن بعد ذلك من إصلاح الأوضاع بهدوء

وعلى مهل فاستأذن من المغربي دون إبداء أسباب وخرج مسرعًا وأمر السائق بالخروج من البوابة وعلى وجه السرعة ذهب للشيخ حامد وحكى له عن الموقف المحرج الذي وضعته فيه الظروف وليس من أحد غيره سينقذه الآن، خرج معه الشيخ حامد ومعه أوراقه تحت ضغط مندور والموقف المفاجئ، وعندما وصلوا للقصر دخلا معًا وقال لهم مندور إن كل شئ سيتم باسم الشيخ حامد شيخ الناحية كلها والذي يكن له الكبير والصغير كل احترام وتقدير يضعون به ثقتهم وأشار مندور أنه منهم بل أولهم في هذا الرأي عن الشيخ حامد، وطلب منهم ألا يسألوه عن أسباب، تحت ضغط مندور والموقف تموا البيع ودفع المغربي بالمال للخواجة، والذي طلب منهم مهلة أسبوع واحد حتى يستطيع تدبير أحواله والسفر ليكون القصر خالٍ لاستقبال ملاكه الجدد.

وتحركت شاهي وهي أخت هاني ابنة سميح باشا والد هاني الذي وجد طريقه هناك في فرنسا مع المافيا التي تخصصت في الآثار كما تخصص والده هنا في مصر في الصفقات المشبوهة

على مرأى ومسمع من رجال القصر الملكي، قد استوقفت مندور خارج القصر وسألته عن سبب كتابة الوسية باسم الشيخ حامد، سكت مندور قليلاً قبل أن يرد عليها، فرهبة الرد على السؤال المباغت كانت أكبر من رهبة امرأة مثلها بالنسبة له الآن.

قال مندور: الشيخ حامد يعرفه كل الناس هنا وهو رجل أمين لأبعد مما تتصوري يا سيدة .....

قالت شاهي: شاهي يا مندور، عليك أن تعرف اسمي فإني سوف اتصل بك على هاتفك بقصرك بعد الآن فأخي هاني قد أوصاني عليك، فلا تخجل مني بهذا الشكل فقد نقترب أكثر مما تتصور لأني في الحقيقة معجبة بك كثيرًا.

علت مندور حمرة خجل فعلاً قد بدت واضحة عليه أثناء ما كانت تحدثه السيدة لكنه أكمل كلامه حتى لا يوضع في موقف السؤال مرة أخرى وهو يستطرد.

قال مندور: وبما أن كل الناس تثق بالشيخ حامد فإنه عند السؤال عن مصدر مالي الجديد سيقول لهم أني قد ورثته

وجاءني به ابن عمي وصادف ذلك عرض الخواجة وسيته هذه للبيع فعمدت لإرساله ليقوم بهذه المهمة لفرط أمانته وبما أني أمنته على شيء كهذا فأنا صادق في ادعائي وأمين بدوري حينما أطلب منه التنازل في أي وقت بعد إنتشار الخبر فلن يمانع أبدًا، صدقيني يا شاهي هانم.

ضحكت شاهي وقد بسطت كفها الأيمن وهي توجهه ناحية السماء ورفعته لمستوى عنق مندور وهي تلمس ذقنه بخفة ولأول مرة بأطراف أصابعها مداعبة له قبل أن تودعه وفجأة.

قالت شاهي: إذن كما ترى يا مندور لكن لاتنس سأتصل بك لكي أطمئن عليك، وأشياء أخرى أيها الثري.

سلم كلاهما على الآخر وقد مضى كلٌ منهم لحال سبيله وقفل الخواجة راجعًا إلى داخل قصره وهو يضرب كفًا بكف.

قال مندور: أشكرك يا شيخنا على موقفك الشجاع معي.

قال الشيخ: مع أنك وضعتني في موقف محرج وصعب يا

مندور إلا أني لم أستطع غير ذلك معك يا بني، لكن لماذا لم تستخرج أوراقك الشخصية حتى الآن يا رجل؟

قال مندور: يا شيخنا إن أكثر من عرفتهم مثلي إلا من يعملون في الحكومة مثل الخفر وغيرهم، لكن أحمد الله أني وجدتك في طريقي وهداني الله إليك في هذا الظرف الحرج.

قال الشيخ: ستفعل بالمال كل ما تريد يا مندور وأسألني أنا عن هذه الأمور، إن النفوس الضعيفة كثيرة وحب المال يحرك البشر لفعل المستحيل فلا تبتأس من هذه الناحية طالما أصبح جيبك عمران.

قال مندور: صدقني يا شيخنا إني أفضل أن يكون قلبي عمران أكثر من جيبي وبالإيمان، وقد تشعر ذلك بنفسك، ألم أصل معك لحفظ أكثر من ثلث القرآن حتى الآن.

قال الشيخ: وهل ستستمر يا مندور؟

قال مندور: نعم يا شيخنا ولا تشك في هذا أبدًا أبدًا.

بعد عدة أيام بعثت شاهي سيارتها لمندور ومعه عدد من البزات الإفرنجية التي لم يلبسها من قبل قط، وأعطاه رقم

هاتفها على أن يتصل بها أول ما تصل إليه الملابس، وعندما طلب من الخادم أن يتصل بالرقم ردت عليه شاهي سميح .....

قالت شاهي: كيف حالك يا مندور بيه؟

قال مندور: بيه! لكن على أية حال أنا والحمد لله بخير.

قالت شاهي: أنا حضرت لحفلة بمناسبة حصولك على البكوية يا مندور بيك، ما عليك إلا أنت ترتدي البذة السموكن وتأتي مع السائق حتى نحتفل بهذه المناسبة فلا تتأخر.

قال مندور: البكوية، وهل أنا الآن مندور بيك كما تقولين وأسمع الناس يقولون، هل أنا أسمع وأعقل، ولو كلامك صحيح يا شاهي هانم كيف حدث بهذه السرعة؟

قالت شاهي: اترك السائق يساعدك في ارتداء بذتك الجديدة لزوم السهرة وتعال معه ولا تتأخر وسوف أشرح لك بعد السهرة كل شيء، اتفقنا يا مندور بيه.

قال مندور: اتفقنا يا شاهي هانم.

خرج مندور من السيارة يتلفت محملقًا بعد أن وصل لقصر سميح باشا وقد علقت الزينات وأقيمت الحفلة وإنتشر المعازيم فقابلته شاهي ونادت في الحضور بأن صاحب الحفل قد وصل وأخذت في تعريفه بهم وتعريفهم به وهو في حالة من النشوة الغريبة التي لم يشعر بها من قبل هذا اليوم، فقد أصبح بين يوم وليلة كما يقال له صاحب أملاك وبيه من البهوات ووسطهم ومعه امرأة منهم جميلة وتهتم به أيما اهتمام، وهو الذي طعنته الأيام وعصرته الليالي جوعًا وبردًا ووحدة وتشرد منذ أن عرف الدنيا من حوله، مرت الليلة ومضى الناس وجلست شاهي وسميح باشا مع مندور.

قال سميح باشا: خذ يا مندور أوراق قيدك قد عملت على إخراجها لك، اسمك هنا مندور كامل الصائغ، ما رأيك؟

قال مندور: هل أنا مقيد الآن يا سميح باشا؟

قال سميح باشا: نعم وهذه الورقة تدل على حصولك على البكوية، مبروك يا مندور بيه، هاني ابني موصيني عليك جدًا.

قال مندور: لكن كيف عرفتم؟

قالت شاهي: كان الواجب عليك ألا تكذب علي بشأن الشيخ حامد يا مندور.

قال مندور: صدقيني، أنا لم أكذب عليك.

قالت شاهي: أعلم أنك لم تكن تكذب علي بما يخص أخلاق الشيخ حامد وثقة الناس به وما شابه ذلك، لكني أقصد أنك كذبت علي فيما يتعلق بسبب إحضارك له.

قال مندور: كنت في موقف محرج يا شاهي هانم.

قالت شاهي: ما قد حصل لن ألومك عليه، لكني سألومك بعد ذلك فيما سيأتي يا مندور بيه.

قال مندور: وأنا تحت أمركم يا هانم.

قالت شاهي: لا تقول هذا الكلام يا مندور بيه، إنك صاحب حق علينا بعد ذلك لكن لا تفعل ما يقلل من قيمتك التي صارت غالية بقدر مقامك الذي علا لمرتبتك الحالية وسوف أزورك قريباً فالأمور أراها ستصير بيننا كالأهل بعد اليوم، أليس كذلك يا مندور بيه.

قال مندور: إنه لشرف كبير لي يا شاهي هانم.

قالت شاهي: أرجوك أن تناديني بشاهي فقط بعد ذلك يا مندور لو سمحت، فهل تقبل؟

قال مندور: هكذا بلا أي حرج.

قالت شاهي: قلها فقط وستتعود عليها.

قال مندور: شاهي، نعم شاهي، شاهي فقط، إنه أحلى اسم سمعته، بل أول مرة أسمع بهذا الأسم في حياتي. كانت شاهي تنفذ كلام الأخ الوحيد لها هاني فقط وكذلك أصبحت تتقرب من مندور شيئًا فشيئًا حتى يتم لها الزواج به ووضع يدها على ما آل إليه من أموال مع تعاملها مع شخص تعلم أنه أصبح يملك الكثير من بعد أن كان لا يملك أي شئ، كانت المرأة ذكية بما يكفي لأن تصل لما تصبو إليه، فالمال كان قبل أي شيء وليس الشخص ولا غيره، إذن فالغاية تبرر الوسيلة بعد أن عرفته ما يجب عليه فعله بعد أن يوصله السائق لبيته مع الشيخ حامد بطريقة عملية جادة وعن طريق محامي وهو يستمع في اهتمام، اوصلته وهي تظهر له ودها وأعادت

عليه كلامها مرة بعد مرة حتى تتأكد من أنه قد استوعبه بالفعل ثم ودعته وهو في طريقه ليستقل السيارة مع السائق وكانت تقبل كفها ثم تلوح له به وأصابعها لأعلى محركة معصمها يمنة ويسرة، كان مندور سعيد أيما سعادة بهذه الحركات وهذه المعاملات التي تصدر عن شاهي الجميلة المتعلمة باللغات الأجنبية مما كان يصدر في بعض كلماتها معه، إن شيء جديد ومدهش وغاية في الرقي والعلياء بالنسبة له فكيف لا يكون مشدوهًا مأخوذًا منفذًا لكل ما يطلب منه، لكن الشيخ حامد لم يكن بالشخص الهين أو البسيط بالنسبة له ولا حتى عندما رآه يتعامل مع هؤلاء الناس حينما كانوا ينقلوا الملكية، فقرر مندور أن نقل كل شئ باسمه مرة أخرى قد يضيع في لحظة تحت تأثير أولئك الناس الذين أحاطوه من كل جانب، غير أنهم لا يستهان بهم ويفعلون ما يريدون، إنهم واصلون.

فكر مندور وهو في طريقه أن يترك كل شيء باسم الشيخ حامد كما هو حتى إذا حاول هؤلاء الناس السيطرة على

شيء لم يجدوا إلا الهواء ليمسكوه، أو حتى يتأكد من عدم سيطرتهم عليه بعد ذلك فحينها يستطيع أن ينقل الأملاك باسمه مرة أخرى وهو مطمئن، فهو لم يتأكد من نوايا هؤلاء الناس تجاهه بعد فعليه أن يطمئن أولاً.

انتشر الخبر الذي تماشى معه مندور بوصية المغربي له في القرية بأن ميراثه الذي جاء به ابن عمه كان السبب في هذا التحول الكبير في حال مندور، في القرية كان أي خبر صغير ينتشر بسرعة فما بال هذا الخبر الجلل، بادر مندور بذبح الذبائح وإقامة الحفلات والليالي الملاح وأمر بزيادة مرتبات كل من يعمل في قصره ووسيته مترامية الأفراد حتى يشعر الناس أن هذا التحول يأتي معه بكل خير وليس العكس، كان الشيخ حامد نديم مندور المستديم، وقد ساعده كثيرًا في أمور كثيرة حتى تحول مندور في أعين الناس لما يتوجب أن يكون عليه أمثاله من ذوي الثراء وقد ساعده على هذا أيضًا أن فترة إقامته في القرية لم تتعدى العام، فهو على أية حال كان شخصية جديدة على الناس فيها وقد استوعب هذا أمر غناه

المفاجئ أيضًا وكأنه المشتري الجديد بلا ماضي سوى هذا العام الذي قضاه حتى وافاه ابن عمه بميراثه رغم أنه لم يحك لأحد عن هذا الموضوع لكن هذا شأنه وليس لأحد أن يستجوبه فيما يخصه، وكما يجد الناس قصة يتسامرون بها لفترة ينسونها أيضًا بعد فترة حسب ظروفها.

اتصل المغربي بمندور وهو جالس في قصره الجديد يتمتع بما استجد عليه من نعمة العيش وهو يتذكر شريط حياته منذ أن كان في طفولته وما مر عليه من أيام شقاء ومن قابلهم من أصناف الناس وما عمله ليجد قوت يومه الذي كان شغله الشاغل كل ليلة، انقطع خيط ذكرياته مع رنين هاتفه، فمد وهو يشمر عن كم جلبابه الواسع في همه وعنجهية وينظر إلى السماعة في شبه تعجب ما زال يظهر عليه ليجد المغربي على الناحية الأخرى من الاتصال.

قال مندور: كيف حالك يا ابن عمي العزيز وماذا وراءك يا ترى؟

قال المغربي: طريقتك في الهاتف وأنت تتكلم هكذا تقول

بدون كلام أنك لا تريد سماع صوتي حتى يا مندور بيه.

قال مندور: العفو يا صاحبي، أنت تعلم أنك السبب فيما أنا فيه الآن يا مغربي.

قال المغربي: بل العفو أنا يا مندور، دعني أخبرك بالمهم، اتصل بي هاني باشا وقد طلب مني يد أخته لك وقد بلغني أنها ستأتي قريبًا لتطمئن عليك فاطلب يدها للزواج ولا تخجل، هل فهمت؟ لأن هذا الزواج أهم بالنسبة لك من كل ما سبق، وأعلم أني سافرت وفي طريقي لبلدي الآن وقد علم هاني باشا بمكان استراحتي بطريقته، فنفذ ما قلته لك بالحرف الواحد وسوف توافق عليك فاذهب معها واطلبها من أبيها وقبل ذلك اطلبها من هاني باشا عندما يتصل بك فهو يعلم وقد لمح لي بهذا عندما علم باهتمام الهانم أخته بك منعًا للقيل والقال والسلام.

اتصل هاني باشا بمندور فعلاً بعد أن اتصل بأخته وأمرها بالذهاب لمندور فطلب منه مندور يدها بعد أن تعارفا في أول اتصال بينهما وقد وافق وفق الخطة المرسومة وعندما أتت

obeikandl.com

الفساد.

ومرت بعد الثورة عدة تطورات وتغيرات سياسية وإقتصادية لكن ما كان يهم مندور باشا بعد ذلك وحتى الثورة التطورات الإقتصادية التي تسببت في وفاته، لكن زوجته كانت قد سبقته لربها بسبب آخر تاركة له طوقهما وحده.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

في صباح يوم مشرق صيفي يفوح بالعبير ويتحلى بالضياء الرائق الذي يعكس شعاع شمس الصباح الحمراء حيث يحمل نسيمه بعض ذرات الماء الضبابية الصغر التي التصقت بزجاج النوافذ والذي كان خلف إحداها فتاة جميلة تمسح بيدها الرقيقة دمعة قد فرت من عينها مثل قطرة مطر قد سقطت من السماء في ليلة مظلمة كعينها السوداء الحوراء، كانت تنظر تلك الجميلة من شرفتها إلى ما حولها من حقول خلف سور حديقة قصرها الأبيض الكبير العالي البناء، الذي كانت تحفه الأشجار دائمة الخضرة، لكنها اليوم لم تكن كسائر الأيام السابقة فقد علت وجهها بعض لمحات الذهول والخوف من المستقبل الذي أصبح مبهم وغير واضح، فقد مات والدها في مثل هذا اليوم الأسبوع الماضي وقد جاء موته بعد موت أمها بعام واحد، حاولت جاهدة أن تعيد شعورها بالصباح مثل الأيام الخوالي في هذا المكان الذي تحبه إلى أبعد من موت

أبيها لكنها فشلت، فكيف بها لو حاولت أن تعيد تلك البهجة إلى أبعد من موت أمها، إنها كانت تحاول أن تخرج من هذه الحالة التي كانت تشعر بأنها سوف تحيلها لأحد أمرين إما الجنون أو الموت حزنًا، وكلاهما يستاهل المحاولة على الأقل، لهذا كانت تحاول ذلك جاهدة إلا أن الجهد نفسه زاد من تعبها البدني والنفسي معاً فعادت لغرفتها وبعدت بخيالها بعد أن ألقت بنفسها على سريرها من جديد عدة سنوات للوراء فقد كان عمرها في ذلك الوقت تسع سنوات تتذكر ذلك اليوم الذي قد يمدها تذكره ببعض القوة التي تحتاجها لتستعين بها على ما هي فيه من حالة سيئة تحاول التشبث بأي شيء للخروج منها، إنها فيروز ابنة مندور باشا أو الحاج مندور كما كان يحب أن يناديه الناس والذي صار المرحوم الآن، خرجت ذلك اليوم وقت القيلولة عندما تسللت وأخذت الكارتة خلسة في يوم شديد الحرارة يأوي فيه الناس للظل هربًا من الشمس حتى وصلت لذلك المكان الذي يوجد به الفدان البور غرب قصرها والذي نسج

فلاحوها حوله القصص العجيبة والمخيفة حتى ألبسوه عباءة الغموض والخوف والرهبة، مع أنه لم تزره قبل هذا اليوم، إنما مرت عليه مرة واحدة مع أبيها مرور الكرام وكانت الأرض المجاورة لها بها أناس يعملون في الأعمال الزراعية ويتحدثون عن هذا الفدان وقد وقف والدها يتحدث مع رئيسهم ورغم صمتهم فإنها طلبت منهم أن يستمروا في الحديث بل أخذت تسألهم عن هذه القصص وهم يجيبوها ووالدها يضحك، لكنها عندما وصلت وحدها لهذا المكان تذكرت أنها لم تكن خائفة فأحست أنها مختلفة عن غيرها من البنات إن لم يكن كل البشر وحتى هذه الكائنات التي يحكي عنها الناس، فبمجرد وصولها نزلت عن الكارتة وسحبت فرسها وأوقفتها تحت أكبر توتة من مجموعة الشجر على رأس الفدان فقد كانت هذه الشجرة الأقرب لها، وقد يكون تلقائيًا حيث صعدت على هذه الشجرة في ذلك اليوم أيضًا لتأكل من ثمار التوت التي جذبتها بطعمها اللذيذ بعد أن ذاقت ثمرة كانت قريبة منها وهي على الأرض، جالت هذه الذكريات في رأس

فيروز، بعد أن بدأت تجد بعض الراحة لم تمنع نفسها من تذكر باقي هذا اليوم حيث أخذت فرسها في ضرب الأرض من تحتها بحافرها ورفع رأسها إلى أعلى وخفضه لأسفل وهي تثير الغبار من تحت سنبكها في توتر يشبه القلق المشوب بتحذير، لكن من أي شيء ذلك التحذير يا ترى؟ لو كان ما فهمته فيروز، أو لعله مجرد حركات لم تفهمها بالتحديد أو تلك الأفعال العادية ما عادت هذا اليوم تبحث آراء مما تحدثت عنها من صور حياتها أو أقاربها أو قرأت منها أو درستها وما عادت تحلل وتقارن وتقف على أبواب التفسير لكنها قررت أن ترجع بعد أن أشفقت على نفسها وفرسها، عادت و لم ترى الجنية التي تمشط شعرها الطويل على جرف المصرف المائي الزراعي وسط أعواد الحلفا البوصية الطويلة ولا المارد الطويل ولا الديك الذي يخرج بحجم الحصان الكبير كان فضولها رغم ذلك ينمو معها، إن الحكايات الأخرى كانت تسردها زميلاتها في الدراسة عن الأشباح في أي مكان مع حكايات من ذويهم لم تكن بهذا الغموض وإن كانت

تقاربها في الرهبة والخفاء لكنه اكتشفت أنها كانت تحيا في هذا الجو طيلة عمرها مما خلق لديها منعة تشعر بها بداخلها، إن كم الذهب الذي تراه عند أمها لم يكن عادي، إنه كان شيء عادي في أول الأمر لكنها عندما قارنته بما يوجد عند الأثرياء في قصور الصاحبات وتلك القصص التي كانت تسمع أطراف منها بين والدها ووالدتها وخالها عندما يجتمع شملهم كانت تؤكد لها حسب تفكيرها الفذ أمر هذا الكنز الرهيب لدى أمها.

حتى إن أمها كانت تتحدث عن صفقة السلاح الفاسد في حرب ١٩٤٨ التي شارك فيها جدها بلا أي حرج، بل وتتهم القوم الذين رفضوا هذا الفساد بالفلاحين المتخلفين، تناقض كانت تحيا فيه فيروز لا تكف عن المقارنة فيه بين أي شيء وكل شيء، قامت من على سريرها متوجهة لمرآتها ووقفت أمامها واضعة يديها خلف ظهرها وقد بدت كغريبة عن نفسها وعن مكانها أو هو الغريب عنها مع غروب أشياء وأشخاص كانت رغم أي شيء تنعم معهم بحياتها، خرجت

مرة أخرى لشرفتها تتخيل نفسها تعمل وسط هؤلاء الفلاحين في الحقل فقد تقوم بهذا إذا لم تجد من يكفي للعمل معها في الزراعة بعد أن أصبح لكل منهم أرضه التي يجتهد في العمل بها ولن يترك ما بها من عمل ليعمل من جديد عمل غيره، هكذا فعلت الثورة عندما وزعت الأرض على الفلاحين وقد أصبح حقهم الآن، فقد قامت ببيع مواشيها وخيلها بعد اليوم الخامس من وفاة أبيها حتى توفر مصاريف لم تعد تقدر على الوفاء بها مع أول عرض انتهازي، وكانت تفكر في الركن الخاص بأبيها في مكتبة المكتب والذي ما اطلعت عليها قط، نزلت تلهي نفسها بهذا الأمر وقد بدت الكتب من خلف زجاج المكتبة صفراء، لكنها مغلقة، ترى أين مفتاحها؟ بين البرهة والأخرى كانت تقطع فيروز ذكرياتها عن السمر مع أمها أمام المدفأة في ليالي الشتاء لتجد نفسها على الكرسي المقابل للمكتبة تنظر لها مرة وتحدق أخرى وتغمض ثالثة ثم إسبالة في غير اطمئنان، بدت لفيروز أحاجي ما كانت تخطر لها على بال قبل أن تنظر لتلك المكتبة

والتي كانت تظنها بلا أية قيمة إلا الجزء المخصص بالكتب الدينية والذي كان مفتوحًا بشكل عادي، قامت تبحث عن المفتاح في أي مكان تجده فيه بلا جدوى، دعت كل من في البيت لمساعدتها في البحث الذي استمر حتى قرب العصر حتى دخل ناظر العزبة حينها وهو بخيت أفندي الذي تعدى الخامسة والستين من عمره.

قال بخيت أفندي: أرجوك يا فيروز هانم، أريد محادثتك على انفراد.

كانت فردوس مربية فيروز تنظر لبخيت أفندي في حدة واضحة وقد باء لها بخيت أفندي بمثلها عندما رآها في حالة من القلق قد انتابت فيروز.

وقفت فردوس أو فينوس فرنسية الأصل التي جاءت إبان زفاف والد فردوس وأمها عن طريق خال فيروز لتخدم أمها وتربي لها أولادها بعد ذلك، فهي خريجة مدارس متخصصة في هذا المجال بباريس، وقفت بجوار فيروز كأنها تؤازرها، علم بخيت أفندي أن الثورة لن تقسم هذه المكتبة بأية حال،

فالثورة كانت توزع ما يطعم الفم ويملأ البطن فقط، ولن تأخذ الكتب لخزينة خاصة بها بالدولة، بل لجنة الجرد حينما أتت لم تكترث بموت مندور باشا أو الحاج مندور كما كان يحب أن يناديه الناس فأكملوا الجرد معه هو وأبنته فيروز بعد أن أسجوه على الأريكة المجاورة، بل إن أحدهم قال لفيروز يمكنك أن تبكي كما تشائين بعد إنهاء الجرد مما كتم البكاء في جوفها.

إلا ذلك الضابط الذي قام وحمل أباها وهو يتلفت حوله حتى وقع بصره على باب بعينه وهو واقف وعبر باب حجرة المكتب الفرنسي الطراز الذي يقابل باب القصر الرئيسي عبر البهو الكبير فتوجه إليه مسرعًا حاملًا الرجل ودفع الباب بقدمه واضعًا إياه على السرير ثم طلب عبر الهاتف من ضابط شرطة المركز أن يحضر طبيبًا على الفور، وحينما جاء الطبيب أكد وفاة الرجل.

إلا أن اللجنة مارست عملها وكان الشيخ حامد قد أتى وقرأ بعض القرآن عند المتوفى وتردد اسمه في وسط لجنة الجرد

وعندما أرادت فيروز أن تتكلم بما لاتعرف سمعهم فخرج مسرعًا إليهم وقال لهم نعم، إن الاسم الحقيقي هو حامد عبد الطيب، ظنت فردوس أنه يذكر نفسه، فأخذها الشيخ حامد من يدها وأراد أن يخرجها فأوقفه بخيت أفندي ساعتها وهمس في أذن فيروز أن تطلب من ذلك الضابط أن يجعل الفدان البور في الخمسين فدان الذين سيتركونهم لها، فهذه وصية والدها المرحوم، ففعلت، يومها تعجبت أن أحداً من أقاربها لم يأتي إلى الآن أو حتى اتصل وسط هذه المصائب المتتالية، رفعت سماعة هاتفها واتصلت بجدها لعله لم يعرف حتى الآن فرد عليها صوت لم تألفه يخبرها أن من تسأل عنه في السجن بتهم فساد ورشوة ومخابرة مع أعداء الجمهورية وحتى غير مسموح بزيارته، وضعت فيروز سماعة الهاتف في حركة لا إرادية وتوجهت مسرعة للمكتب من جديد عندما سمعت صوت إرتطام وتكسير على الأرض لتجد فردوس في حالة انهيار وهي تبكي وبخيت أفندي يهدئ من روعها مع ذلك الضابط أيضًا والذي كان قد طلب من فردوس القهوة السادة

له ولزملائه بعد إصرار فيروز أن تقدم لهم أي مشروب، لم يخف على أحد تماسك فيروز الذي يقوى بعد كل نائبة فقد أقعدت فردوس وربتت على كتفها في هدوء عجيب استطاعت أن تسربه لفردوس بطريقة مدهشة فهدأت فردوس كما أسماها والدها كما عرفت منها من قبل، هدأت عندما أحست بذلك الهدوء في فيروز.

حتى اللحظة لم تنس تلك الدهشة والإعجاب في عين الضابط بعد فراغهم من مهمتهم وكأنه كان يريد الولوج بنظراته لعقلها وقلبها معًا، مرت هذه الذكريات في مثل الومضات على عقلها وكانت لم تزل في المكتب مع بخيت أفندي وفردوس الذي كان لم يزل واقفًا حيث كان يتكلم حينما كانت تتذكر هذه المواقف الفائت ذكرها فقاطعته بكلامها.

قالت فيروز: أين المفتاح يا بخيت أفندي؟

قال بخيت أفندي: يا فيروز هانم لو كنت أردت ما أوصيتك بأن تطلبي من اللجنة وقتها بضم الفدان البور الغربي

obeikandl.com

قالت فيروز: لا عليك يا فردوس، أنتي الآن في مكانة أمي فأنتي مربيتي على أية حال ولن أسمح لأحد بأن يعمل على إغضابك ولو حتى بهمسة أو لفتة، كوني كما عهدتك دائمًا كالصخرة في عملك وحياتك معي كما كانت، أرجوك.

جلست فيروز وأمرتهما بالجلوس ولاحظت فيروز غرابة رد فعلها للتخلص من الشجار الدائر في رأسها حين أمرتهما بالجلوس في حدة، تمالك بخيت أفندي نفسه أمام فيروز التي يراها جديدة وصلبة كأنه يراها لأول مرة.

قال بخيت أفندي: يا فيروز هانم أعتقد أني أكثر من يعلم أسرار المرحوم ومصادر أمواله، وقد تعلمي أني أنا الذي أوصيتك إن لم تكوني تعرفي بما سوف تعرفيه.

لم تبد فيروز اهتمامًا بما قد يقارب ما تستلمحه في رأس بخيت أفندي وتعتبره حتى الآن سرًا دفينًا قلم تقاطعه و لم تنبهه لشيء وإن أرادت ذلك في طيات نفسها فتفسيرها اللحظي كفاها إذ لا داعي لذلك بعد أن استشفته، وأخرج ببطء بخيت أفندي من جيبه مظروف مغلق ومده إلى فيروز.

قال بخيت أفندي: هذا المظروف قد أوصاني به المرحوم بأن أعطيه لك بيدي إن حدث له مكروه وإن كنت أحمن ما بداخله.

أخذته فيروز ولم تستفسر منه عن أي شيء أيضًا إلا أنه ساورها شعور أن الرجل متحذلق رغم كبر سنه لكنها استطردت كلامها.

قالت فيروز: من كتبه في ظنك يا بخيت أفندي؟

قال بخيت: أنا أقدر هذه الأحداث التي توالت عليك يا فيروز هانم، لكن ألم تفكري قليلاً في هذا المظروف؟

حاولت فيروز أن تفرق بين ما كان يمليه عليه عمله ومكانته في التعامل معها وما لا يجبره عليه الآن شيء تتمكن من معرفته بالتحديد، إذن قد يكون تقارب الرؤوس كما يقال، لكنها تحت ضغط الأحداث فشلت فأجلت التفكر في مثل هذه الأمور مكملة حديثها معه.

قالت فيروز: المهم يا بخيت أفندي فأنت الذي جعلت من هذا المظروف احذورة وليس أنا، فمن كتبه في رأيك؟

قال بخيت أفندي: أظنه صابر أفندي، لكني لم أسأله.

قالت فيروز: ابن الشيخ حامد، قد عرفت يوم اللجنة أن اسمه بالكامل حامد عبد الطيب أيضًا، ظني أنه كان يعرفهم بنفسه أو شيء كهذا.

لم تكن فيروز تعلم أن كل شئ ما زال باسم الشيخ حامد وحتى والدها كانت تظن أن نقل المكتبة ثم بعد استخراج مندور لأوراق قيده عندما أوصته بذلك عندما دعته لحفل البكوية الذي عملت مع أبيها على جلبها له من القصر عن طريق الحاشية التي كان سميح باشا مقرب منها للغاية، بل إن أحدًا لم يعرف إلا مندور والشيخ حامد حتى الآن، والمرحوم قد مات إلا أن الشيخ ما زال على وعده معه وما كان ينتظر إلا اللحظة المناسبة التي يرى أنها لم تأت بعد.

قال بخيت أفندي: كان صابر أفندي يعمل تحت إشرافي يا فيروز هانم وليس معي، أرحوك أن تلاحظي هذه النقطة.

أطرقت فيروز متسائلة كيف كان والدها يثق ببخيت أفندي لهذه الدرجة التي ينعت بها بخيت أفندي نفسه، وكيف

لم يجعله كاتب هذا المظروف، لكن هناك سبب لجعله حامل هذا المظروف وموصله لها بالخصوص رغم شكه في أن كاتبه غريمه كما يتضح من كلامه ويطفو على سطحه بعدم قبوله للندية، ثم لماذا لم يكن صابر أفندي يدخل مكتب القصر ويكتفي بعمله في مكتب المخازن، فهي ما رأته إلا عدة مرات، إن عمره كان يقارب عمرها، إنه كان يكبرها بنحو سبعة أعوام أو ستة على أقل تقدير ويظهر عليه الخلق الحميد والتربية الحسنة والشكل الوسيم، رغم كون أبيه كان صديق أبيها المرحوم.

قالت فيروز: لماذا لم يأت صابر أفندي يوم الجرد برأيك؟

أشاح بخيت أفندي بيديه إلى ما وراء رأسه كأنه يكبر ليدخل في صلاة قبل أن يعبر عن طريق لسانه.

قال بخيت أفندي: لا أعرف، لكن خبرته لا تسمح له بذلك غير أني لم أمنعه، لكن قد يكون والده الذي منعه، لكني أرى أن هذه الأمور ليس لها داعي، الأهم أني أريد أن تعلمي أنه سوف تكون بيننا مصالح وكنت أتمنى أن تسير في

طريق الكتمان كما كانت في أيام المرحوم مندور باشا.

قالت فيروز: هذه المصالح تتعلق بما في المظروف يا بخيت أفندي، إن الخمسين فدان المتبقية بعد ألفي فدان لن تجعل بيننا مصالح.

قال بخيت أفندي: هذا ما كان أيام الخواجة الذي اشترى من المرحوم الوسية، لكنه كان بالنسبة للمرحوم مجرد إقطاعي فقير، لكن لا تحرجيني حتى وقته.

قالت فيروز: نعم، اعذرني يا بخيت أفندي، على أية حال لست متعجلة لشئ، لكن كيف حال ابنك؟ هل يمضي عمله في ميناء بورسعيد كما هو بعد الثورة؟

قال بخيت أفندي: وسيكون أفضل بعدها أيضًا، البركة في هاني باشا الله يبارك لنا فيه، لكن ما أحوال سميح باشا بعد الثورة بمناسبة السؤال؟

قالت فيروز: بخير، أستأذنك فأنا متعبة.

مرت الأيام ثقيلة ومملة على كلٍ من فيروز وفردوس معًا، حتى إنه لم يعد بالقصر غيرهما، وكانت سعدية زوجة البواب

متوسطة العمر إلا أن بها رشاقة وخفة تساعد فردوس إذا احتاجت لها كلما كانت تمر عليها للاطمئنان على أحوالهما، وقد تخرجت فيروز بالفعل لترعى أحوال زراعتها وتكلم بخيت أفندي إذا احتاجت لمعونته في ذلك، وقد استبدلت السيارة بأخرى نصف نقل لم أمثالها يرى من قبل، غير أنها كانت تبعث لصابر أفندي أيضًا بين الحين والآخر، وقد وجدت في معاملتها معه أن أفضل من بخيت أفندي كثيرًا في تلك الأمور رغم فارق السن وبالتالي الخبرة كما هو معروف، بالإضاف لأهمية عندها بعد أن وجدت أن أباها ينصحها بالإستعانة به والتقرب منه لن تندم على ذلك فيما تضمنه المظروف من وصايا، بل أكد لها والداها التمسك به لأبعد حد، وإن تزوجته سيكون سعيداً بهذا في قبره إن أصابه المكروه الأكبر وهو الموت، كان ذلك أول ما لفت انتباهها بمظروف الوصية عندما أرادت فتح المظروف، عندما صعدت لغرفتها وفتحت المظروف وقرأته وقد أوصاها أبوها بالحفاظ على الفدان الغربي، وعدة أشياء أخر منها معرفة ما لها وما

عليها والحفاظ على الكتب القديمة والتعامل مع المغربي عندما يأتي بحذر لأن معه سر الكتر بالفدان البور الغربي وقد أوصاها بأن تعرف التفاصيل من خالها هاني وتحول الذهب لأموال وتضعها باسمها في البنوك وأن الأرض باسم الشيخ حامد وكذلك القصر لكن الأهم هو الفدان الذي به الكتر وأن الشيخ حامد يعلم بهذا السر وأعلمها أن بخيت أفندي يعلم أيضًا وقد يكون قد قال لابنه الذي يعمل بميناء بورسعيد، فهو الذي يسهل خروج الذهب من الميناء كأحد رجال خالها هاني في كل مكان غير أن جدها هو السبب في تعيينه في هذا المكان مع أن المصدر يجب أن يكون سرًا، كما أن أمها كانت تعلم وجدها سميح باشا، وحذرها هاني من الوثوق بالناس بلا مبرر قوي وأن عليها زراعة الأرض مع صابر أفندي فهو جدير بالثقة بل وأغلى من كنوز الأرض، وبعد أن سلم عليها أمرها بحرق الورقة، وهكذا انتهت رسالة والدها فتركت الأمور تسير كما هي وكما ستؤول إليه في المستقبل إذا ما أرادت إكمال ما بدأه والدها.

في قصرها الذي علمت أنه في الحقيقة ملك الشيخ حامد ولو اسمًا دق جرس هاتفها فأسرعت وقد وجدته خالها هاني وكانت متلهفة لسماع أي صوت قريب منها أيما لهفة.

قالت فيروز باكية: هل رأيت ما حدث يا خالي هاني، إن المصائب تراكمت فوقي مرة واحدة.

قال هاني: التمسي لي العذر يا فيروز في تأخري في العزاء، فقد علمت متأخرًا وزاد حزني ما حدث لجدك سميح الذي أجدني مكتوف الأيدي أمام مشكلته في الحقيقة أسفاً، لكن أنا على يقين أني على استعداد دائم لحمايتك والوقوف جانبك في أية مشكلة وأنا هنا في مكاني فأنا أتابع أمورك إلا هذا الحدث الذي أشكل الأمور علينا بعض الشئ فلا تقلقي وكوني قوية كما عاهدتك فأنتي مقبلة على ما يتطلب إنسانة قوية وشجاعة متماسكة وأظنك كذلك، مع السلامة يا فيروز.

قالت فيروز: سلام مثل أيام زمان يا خالي.

قال هاني: أنتي كما أنتي متعالية ومغرورة في أي ظرف

وعمر ولكني عندي ما يجب فعلاً أن أقوم بإنجازه.

فكرت فيروز في أمر والدها وأصهاره، إنها لأول مرة تفكر في هذا الموضوع، إن الهوة كانت كبيرة إلا أن المصالح كانت أقوى وأشمل لتضم هذه الهوة من ناحية المال، إن والدها كان رجل سطحي بالنسبة لأصهاره، حيث تنبهت إلى أن الحوار كان باللغة الفرنسية بنها وبين خالها عبر الهاتف، أما والدها ما كان يعرف أي لغة إلا العادية التي يتكلم بها وبعض الأشياء التي كان يحاور بها الباشوات عندما يتكلمون في السياسة وكأنها شريط تسجيل وكأنها أسطوانة من أسطوانات أم كلثوم التي كان يحب أن يسمعها، حتى الثقافة العادية كان فيها سطحي للغاية، إذن كان يخاف أصهاره لذلك كتب أملاكه باسم الشيخ حامد، الحق أن الرجل في منتهى الأمانة لكن هذا أدعى أنه كان يتعاطف مع والدها ضد أصهاره، وإما كان ينفذ ما يطلبه والدها حتى لا يخسره كصديق، كما أن كلمة والدها عندما كان يسمع المحاورات باللغة الفرنسية أو غيرها وهي عجم قد أتى بها من عامة

الناس وذلك الحديث الشرف "من عرف لغة قوم أمن مكرهم" أتى به الشيخ حامد على الأرجح، ثم أنه كان يشعر بالمكر طوال الوقت إذن، خلال أفكارها دق جرس الباب فذهبت سعدية لتجد ضابط بزيه العسكري من ضباط الجيش وتذكرته، فهو من ضباط اللجنة، إنها تذكره جيدًا، عندما رأته فيروز أشارت لها أن تدخله.

قالت سعدية: تفضل يا حضرة الضابط، ادخل.

كان الضابط يحمل معه باقة من الورد قدمها لفيروز عندما سلم عليها وهي تعبر له عن سعادتها بهذه الهدية.

قالت فيروز: تمام يا أفندم فالبيت بيتكم.

قال الضابط: العذر يا فيروز هانم فالقضية عامة لا تخصني وحدي ولا تخصك وحدك، إننا جميعًا أبناء وطن واحد وما جرى إلا إعادة توزيع كما تراءى لمجلس قيادة الثورة، إلا أني أشكرك على حسن استقبالك لي، آه، خذي رقم هاتفي قد تحتاجينه.

قالت فيروز: من الواضح حسن أدبك ولباقتك يا أفندم

وأشكرك على ما فعلته يوم وفاة أبي.

قال الضابط: لا شكر على واجب يا فيروز هانم، أنا اسمي ممدوح، ممدوح سليم، ورجائي لك أن تقبليني كصديق أو كأخ كما تشائي أن تنادي باسمي فقط دون ألقاب، أرجوك أن تقومي بذلك.

قالت فيروز: إن حوارك معي أنا فقط غير سهل أم مع كل الناس يا ممدوح؟

قال ممدوح: هل تعرفي أنك جذبتي اهتمامي بشدة، إن شخصيتك قوية وجادة، لذلك سمحت لنفسي بالتحري عنك، لكن في الحقيقة صدمت عندما علمت بأن جدك سميح باشا سابقًا قد يسجن لفترة طويلة بسبب عدد من التهم الموجهة إليه.

قالت فيروز: نعم فقد كان من المقربين من القصر وحاشية الملك الفاسدة ما تسبب له في ذلك إلا إحتكاكه بهم، لكن على المخطئ تحمل النتيجة إلا أنه رجل كبير السن ومريض هذا فقط ما يثير علي شخصيًا، لكني كنت أريد سؤالك عن

شيء.

قال ممدوح: سوف أتكهن لو سمحت لي.

قالت فيروز: أجد الكلام معك مسلي، تكهن إذن.

قال ممدوح: تريدينني أن أختار ضيافتي اليوم بالمشروب أو الغذاء أولاً: إني أرى تربيتك مزدوجة بين الريف والحضر وبين أبيك وأمك رحمهما الله.

قالت فيروز: نعم هو ذلك، إن لك عقلية محتاطة ومتفتحة.

قال ممدوح: الظروف تغير وتتغير، لاحظ الإنسان ذلك أم لم يلحظ، وبما أنك صرتي إلى الوحدة فظني أنك لاحظتي مع تغير ظروفك هذه.

دق جرس الباب للمرة الثانية فإذا هو صابر أفندي، كان هادئ الطباع يمشي في هدوء واضح، كان ينظر لفيروز هانم ينتظر الإذن بالتقدم، وعندما لاحظت فيروز ذلك قامت إليه وقابلته بالترحاب، وعرفتهما كلاً على الآخر وقد توجه بعد ذلك ممدوح بالحديث لفيروز.

قال ممدوح: لقد أصبحت أرؤس لجان التفتيش إداريًا الآن، وما زلت في هذه الرتبة بفضلك يا فيروز هانم.

قالت فيروز: بفضلي أنا، كيف ذلك؟!

قال ممدوح: اعتبر السيد الرئيس عبد الناصر موقفي معك مثال يجب أن يحتذى به، ودعاني وهنأني على هذا الموقف الذي يجب على كل مسئول أن يفعل مثل هذه المواقف الإنسانية الخالصة، رغم تأكيدي له أني ما قمت إلا بما يجب القيام به.

كان صابر أفندي قد شعر بغيرة فكان على غير عادته يهم كل برهة بمقاطعة ممدوح حيث كانت تلاحظ ذلك فيروز، لكن ممدوح لم يترك له فرصة، إلا أن فيروز توجهت لصابر أفندي على حين غرة وهي تشير إليه ليتكلم، إلا أن الموقف كما فاجأ ممدوح قد فاجأ صابر أفندي أيضًا، إلا أنه من يريد الكلام لكنه تململ.

قال صابر أفندي: أعتقد أن وجودي غير مرغوب فيه الآن يا فيروز هانم.

قالت فيروز: لا تقل هذا يا صابر أفندي.

قال صابر: كان أبي يريد المجيء للأربعين كعادة الناس إلا أنه يمر بوعكة صحية وقد أوصاني بإبلاغك أن تقبلي عذره.

قالت فيروز: الشيخ حامد صاحب فضل وواجب لا يؤخره عنه إلا العذر الشديد.

قال صابر: العفو يا فيروز هانم.

قال ممدوح: هل لي في الدخول في هذا الحوار؟

قال الضابط جملته الاعتراضية المتسائلة وهو يتذكر أن هذا الاسم والذي كانت به عمليات الجرد وليس من الواضح أنه أخاً لفيروز إلا إذا كان في الأمر سرًا ما، لكنه ليس الوقت المناسب للخوض في مثل هذه الأمور، إلا أن ما يلفت الانتباه أيضًا أن ذلك الشاب لم يثيره الحديث عن جمال عبد الناصر الذي يجذب الحديث عنه أي شخص وبالأخص من هم مثله إلا لو كانت الغيرة إن لم يكن هناك سرًا آخر.

قالت فيروز: بالطبع يا حضرة الضابط، تفضل.

قال ممدوح: هل كان والدك الشيخ حامد شيخ القرية يا صابر أفندي؟ هل هو أزهري؟

قال صابر: نعم وما زال.

قال ممدوح: قد رباك تربية دينية كما هو واضح.

قال صابر: هذا من دواعي فخري وسروري يا حضرة الضابط.

قال ممدوح: بالطبع، إن للأزهر دور كبير في الثورة وأنه كان محرك روحي لها بل ولكل ثورات مصر ضد الاحتلال والظلم والاستعباد، إن رجال الأزهر دائمًا عظماء حقًا.

لاحظت فيروز أن ممدوح يستميل صابر وقد خشيت تطور الحوار إلى ما لا يحمد عقباه رغم أن الاثنين يتمتعا بالشهامة لكن مصلحتها مع شعورها الذي يساورها بالوحدة وأن صابر أفندي قد يصعب عليها بعد ذلك رغم ميلها هي شخصيًا من حيث لا تدري لتوجه حياتها لما يرتاح إليه قلبها من ما هو مقبول للأعم السائد من المبادئ، لكن ذلك لو حدث عبر كل حديث سيكون ضعفًا.

قالت فيروز: عندكما حق كليكما، وعلينا أن نتطور حسب الظروف التي تحيط بنا للأفضل، فكم من السنوات مرت على الثورة حتى الآن .!

أبلغت فردوس بلكنتها المعتادة فيروز أن الغداء جاهز وقد تحدث ممدوح عن طعام الريف الموجود على السفرة وذوق فردوس ونظامها وقد حدثته فيروز عن أصلها الفرنسي دون إسهاب، وقد خرجوا ليشربوا الشاي في جنينة القصر، وقد تحدث صابر أفندي عن سيارة فيروز النصف نقل الجديدة التي تتحدث عنها كل الناحية وقد أكملت فيروز الكلام عنها بأنها ضرورية الآن في زراعة الأرض ونقل الأغراض منها وإليها بما أنها ستزرع أرضها بنفسها بعد ذلك وعليها فعل ما يساعدها على ذلك بعد رحيل والداها الذي كان يغنيها.

قال ممدوح: إن الحديث معكما ممتع حقاً إلا أني مضطر أن أذهب فإلى اللقاء يا فيروز هانم، تشرفت بمعرفتك يا صابر أفندي.

قالت فيروز وصابر: كما تحب يا حضرة الضابط، لقد

تشرفنا بمعرفتك وزيارتك، ولا تؤاخذ فيروز هانم في حساب سنوات الثورة، إنها تحب التقدم.

وقد سلم الضابط ممدوح عليها وركب سيارة الجيش حيث كان ينتظره بعض الجنود ومضى وهما يلوحان له بيديهما، كان يشعر كلٌ منهما بما أوصاه به المرحوم للآخر على حده.

قال صابر: هل تأذني لي بالانصراف يا فيروز هانم.

قالت فيروز: لا تتركني الآن يا صابر يا صابر أفندي لو سمحت، سوف أناديك باسمك فقط بعد ذلك، أريد أن تذوب بعض الفوارق ليسهل تعاملنا.

قال صابر: كما تحبي يا فيروز هانم، اجعلي حياتك الورقة وأنا القلم.

قالت فيروز: لو سمحت يا صابر أفندي تناديني باسمي فقط، دعك من الثورة وأنها قد ألغت الألقاب، ألا تكفي وصية أبي يرحمه الله.

قال صابر: بل هي كافية جدًا طبعًا: أنا طوع أمرك يا

فيروز.

قالت فيروز: الحمد لله، ألم تتردد في قولها يا صابر؟

قال صابر: قد دربت نفسي عليها منذ أن أوصاني المرحوم بك، قد قلت إنك ستمتثلين لرغبته غالباً وسيكون لكلمة الهانم التي اعتاد عليها لساني عندما تمر سيرتك سوف تكون بلا معنى ولميقاتها ثقلاً ركيكاً باعتقادي.

قالت فيروز: صدقت يا صابر، قد جال ببالي مثل ذلك لبرهة، بعد أن فتحت مظروف أبي، لأوضح أكثر قررت أن أتذوق الحياة معك بنفس طعمك.

قال صابر: أستحلفك بالله اصدقيني القول، قد قررت أن تكون إن قررتي.

قالت فيروز: أقسم بالله أني لو لم أشعر تجاهك بميل لأرغمتك بنفسي أن تفعل، لكني أشعر بالميل إليك كأحد أقاربي الأعزاء على الأقل بالوقت الحاضر، إنك تثير إعجابي على أية حال يا صابر.

قال صابر: سأكون عند حسن ظنك وظن المرحوم إن شاء

الله.

قالت فيروز: هذا ما أشعر به، وإن كنت القلم الذي سأكتب به حياتي فبإرادة.

كانا يتحدثان وهما يسيران ببطء السير بعيدًا عن القصر حتى بلغا مشارف القرية فأراد صابر أن يرجع مع فيروز مرة أخرى حتى يوصلها، فقد أخذهما الحديث سويًا فلم ينتبها أنها قد بعدت عن القصر، إلا أن فيروز قد استغلت ذلك وقررت زيارة الشيخ حامد، فقد كانا على بعد خطوات من المسجد الذي كانت تمر عليه كباقي النساء العاديات إلا أنها لم تدخله قط كباقيهن أيضًا، حيث كان البيت خلف المسجد تمامًا، اصطحبها صابر للبيت وعندما دخلا أذن العصر فذهب للصلاة بعد أن استأذن من فيروز وتركها مع أخته هناء حيث تم بينهما إندماج كل من ناحيتها تجاه الأخر، وكان المكان أكثر تأثيرًا بالنسبة لفيروز حينها مع الموجودين به، لكن شخصية فيروز كانت هي الأكثر اهتمامًا بالنسبة لهناء ابنة الشيخ حامد يشاطراه الحديث وقد بللت الدموع لحيته

البيضاء وفيروز وهناء تبكيان معه وقد عرف صابر أن حديثهم كان عن المرحوم مندور باشا.

قالت هناء: كان يخفف عني عندما أشك له من صابر أخي حينما يقسو علي أيام دراستي ويقف بصفي في أي أمر أقصه عليه ويوافقني عليه.

قالت فيروز: إذن كنتما أصدقاء يا هناء.

قالت هناء: نعم كنا كذلك يا فيروز هانم ، صدقيني.

قالت فيروز: فيروز فقط، فقد صرتي منذ اليوم صديقتي وأختي أيضًا.

قالت هناء: أشكرك يا فيروز هانم ـآسفة ـ يا فيروز، كان المرحوم يقول لي لو أن لي ابناً لزوجته لك، وكنت أقول له لأعيش في القصر معك، فكان يقول بل وتكوني كفيروز ابنتي، كان يتمنى أن نتعرف كلتانا على الأخرى يا فيروز لكن الظروف كانت تشغله كل مرة، إنه قريب منا جدًا.

قال الشيخ حامد: إنه منا بالفعل ونحن أهله، كنا كذلك عليه رحمة الله، ونحن أهلك يا فيروز يا ابنتي، لا تحذري منا

أبدًا فنحن أبسط مما تتخيلي وكل ما تطلبيه في إمكاننا سنعطيه لك ونفعله.

قالت فيروز: أراحني كلامك كثيراً يا شيخنا.

قال الشيخ حامد: يرحم الله والدك، كان يقول يا شيخنا هذه دائمًا.

كان الشيخ حامد بدأ يشعر بالتعب فلم تشاء فيروز أن تضغط عليه فخرجت تفكر في الأمر بجدية حتى إن صابر وهناء كانا يحدثاها وهي شاردة، إلا أنها كانت تحرك رأسها تسمع كلامهما وكانا قد وصلا لبوابة القصر.

قال صابر: ما بك يا فيروز؟ أرى أن حالة أبي قد أثرت فيك، عندك حق، إننا في غاية الأسى لذلك أيضًا.

قالت هناء: نعم، أنا أظن ذلك أيضًا، إن الحديث قد أرهقني.

قالت فيروز: إذن عليكما الدخول معي حتى تخففا من وطأة هذا الحديث.

قالتها فيروز وهي مبتسمة، لكنهما اعتذرا لها على أن يرجئا هذه الزيارة لفرصة أفضل، فالشيخ حامد وحده، ودعتهما وولجت متوجهة لفردوس رأسًا.

قالت فيروز: ما معلوماتك عن المغربي يا فردوس.

قالت فردوس: إنه كان رجلاً غريب الأطوار، كان يظهر لي على هذا النحو دائمًا، إلا أنه كان له أهمية كبيرة عند أصحاب القصر عندما يأتي في كل مرة، كأنه صاحب فضل كبير أو ما شابه ذلك، والحق أقول لك يا فيروز هانم، إنه كان هكذا بالفعل.

في يوم دق جرس الهاتف فجلبته لفيروز بعد أن ردت على الطالب ووجدته الضابط ممدوح كما أفادها، وسأل عن فيروز، ثم استأذنت لتذهب لسعدية في المطبخ لاستكمال عملها به.

قالت فيروز: من أين لك برقم هاتفي يا ممدوح؟

قال ممدوح: آسف إن كان ذلك قد ضايقك.

قالت فيروز: هل أنا تحت المراقبة يا حضرة الضابط؟ قد

أقدم شكوى ضدك لمكتب السيد الرئيس.

قال ممدوح: ما أنك قلتي يا حضرة الضابط من جديد و لم يمض على إتفاقنا إلا أيام قلائل فقد علمتي أنه بمصادري الخاصة، وعلى العموم أنا آسف إن كان ذلك تسبب في مضايقتك يا فيروز هانم.

أحست فيروز بكلمة هانم هذه أنه إستشعر مضايقته لها وأنه تضايق لذلك بدروه، حاولت فيروز تلطيف الجو مجدداً.

قالت فيروز: لا تؤاخذني يا ممدوح، أنا أمر بظروف صعبة كما تعلم.

قال ممدوح: لا تهتمي، إن ما أفعله معك قصدي به التخفيف عنك وليس العكس، إنما هو سوء تفاهم وليس إلا، ولكني أريد أن أسألك عن شيء يا فيروز.

قالت فيروز: في أي حدود يا ممدوح؟

قال ممدوح: في حدود المسموح به طبعًا، وأتمنى أن يكون مسموحاً بالنسبة لك حتى لا تغضبي مرة أخرى.

خشيت فيروز أن يسير الحديث في طريق لا تعرفه لذلك قررت بعض المناورة والالتفاف حتى تستعد كما ينبغي.

قالت فيروز: ودت محادثتك في مواضيع كثيرة يا ممدوح لكن أظن أن وقتك لا يسمح إنما تريد ملاطفتي فقط، أليس هذا ما في الأمر، لكن أين أنت؟

قال ممدوح: أنا في المترل منذ ساعة.

قالت فيروز: ألا تقول تقريباً يا ممدوح؟

قال ممدوح: تقصدي أنه كان من الممكن أن أقول ساعة تقريبًا.

قالت فيروز: تقريبًا.

قال ممدوح: أعتبر هذه دعابة في هذه الظروف أم في سياق حديثك.

قالت فيروز: تقصد طريقتي في الرد عليك في أول المكالمة، على العموم كما تقول بمناسبة التعميم أنا أعتبر نفسي شبه مداعبة في شبه دعابة هذه اللحظة بالتحديد وليس من ثانيتين.

قال ممدوح: أشكرك لدقتك ولطفك معًا.

قالت فيروز: بتضخيم الأمور والمعاني معًا.

قال ممدوح: الحسية تقصدي أو اللغوية؟

التفت فيروز عن محاوراتها الدوارة لهذه الجملة الأخيرة في حالة من الحذر يخالطه رجاء لما تخبئه في نفسها، إنها تخشاه إذا أنفذت وصية والدها باستكمال العمل في الكتر، وتريد الاحتفاظ به كصديق إذا كان هو كما يظهر يميل لذلك لتنتفع من وراء منصبه ونفوذه، إنه من أصحاب النفوذ الجديد، فلماذا لا تستفيد منه كعملية إبدال عما كان من أقاربها مع حاشية الملك، لكنها لم تدرسه بالقدر الكافي، إنها حتى لم تخوض التجربة لتدرس نفسها أولاً.

قال ممدوح: أتفكري في الأمور الحسية واللغوية حتى اللحظة؟

قالت فيروز: أطلت عليكي تفكيري، تقبل أسفي.

قال ممدوح: إذن قد سجلت انتصار هاتفي عليك هذه اللحظة.

لكن ليتحدث كلٌ كما يحب فقد أصبح كل الوطن يحيا الحرية يا فيروز، هل من أية خدمة أقدمها لك.

قالت فيروز: إذا استوقفني شيء فلن أتردد في الإستعانة بك يا ممدوح فقد أصبحنا أصدقاء تقريبًا.

قال ممدوح: ستجدينني في خدمتك في أية لحظة تتطلبيني فيها فلا تتحرجي.

شكرته فيروز وطلبت منه الاهتمام براحة جدها كطلب إنساني ليس إلا، فهو كبير السن ومريض وأنهت مكالمتها.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

أمالت فيروز رأسها للوراء تسنده على أعلى مقعدها المذهب بأيديه العاج تحلل وتفند وتؤكد لنفسها أن عليها اتخاذ موقف حاسم ترتب عليه أوراق حياتها المقبلة، لكن كيفية استغلال المواقف وما يصنعها من أحداث وأشخاص غير واضحة الرؤية، إنها تخاف أن تستغلها هذه الظروف التي قد تأتي غير مواتية، إن فعلت فلأي وقت ستسلم بأن الحين أفضل من غيره حتى تقنع صابر بخوض هذه التجربة معها، الناس في ملهى كبير هذه الأيام كأنهم يشربون ويمرحون ومن يدفع الثمن هي وأمثالها، لكن بالنسبة لها هناك البديل، إنه الكتر، إنه الفرصة للاستمرار ولو كان يتطلب التكتم وما يتطلبه من أعمال خفية وتنظيم بعيد عن الأنظار والشكوك وهو ما يجب أن تحتاط له وتحيط به علمًا مع خالها هاني الذي يعرف هذه الدروب جيدًا، إن زلزال الثورة لم يهدم سوى أعمال البناء، أما الأساس الخفي ما زال موجود، لأن تفكيرها

في هذا الموضوع يجعل من بعض الأشخاص مثل الضابط ممدوح أشخاص غير مرغوب فيهم، أحست فيروز أن التجرد في التفكير صار ينمو بسرعة في عقلها، وأن هبوطه لم يعد سريعًا كما كان، في أثناء استغراقها في أفكارها أثنى تفيكرها عن رأسها صوت المذياع الذي أدارته فردوس وهي تنظر لساعة الحائط التي كانت تشير للسادسة مساء وتدير مؤشر المذياع في نفس اللحظة حتى وقفت به عند موجز الأنباء وقد أدارت رأسها ناحية فيروز.

قالت فردوس: كفى الانغلاق، علينا أن نكمل حياتنا فإننا ما زلنا أحياء والعالم من حولنا يدور فلنعلم ما يدور فيه.

قالت فيروز: معك حق يا فردوس، لكن هل فكرتي في الرجوع لفرنسا؟

قالت فردوس: نعم، لكني أحببت الشرق وريف الشرق ولا أخفي عليك أني أحببت كنوز الشرق أيضًا.

ضحكت فيروز بصوت عالٍ كأنها تتحدى الوحدة التي باتت فيها مع فردوس وكأنها تريد مشاركتها المرح أو جعل

الحديث مرحاً.

قالت فيروز: أما كان لك علاقات عاطفية هناك؟

قالت فردوس: ولي ابن في كلية الحقوق الآن يا فيروز هانم وكم أتمنى أن أراه منذ سنوات.

نزل الخبر على فيروز كصاعقة وإن كانت أقل من سابقاتها في هذه المحن إلا أنها تماسكت أمام فردوس لتدعها تكمل الحديث.

قالت فردوس: قابلت ليون في باريس حيث كنت أعمل في حضانة كبيرة هناك بعد أن تخرجت كأول عمل مهني، كان يأتي لزيارة ابنة أخيه الذي مات عنها في إجازاته، كان هناك ضابط حديث التخرج في الجيش، خرجنا بعد أن دعاني لنزهة ومن يومها وتعددت لقاءاتنا، كنا في غاية السعادة، وكنت مبهورة وقد أحبني كثيرًا وأحببته أكثر حتى بدأت السعادة تتبخر فوق رأسينا بعد موت والدي في الحرب العالمية الأولى والدمار الذي أحاط بنا حتى انتهت نهائياً بسفره للجزائر مع قوة معززة، كان يكتب لي وأكتب له وقد حدثني

كثيرًا عن هذا البلد، أخبرته أني أحمل ولدنا فأتى بعد عناء ومحاولات كثيرة وتزوجنا ورحل ثانية وعادت مراسلاتنا حتى يعود من جديد وقد حدثني بالمناسبة في مقابلة لبعض رجالات هذه الأعمال ذات مرة ممن قابلهم هناك، وكبر ولدنا حتى اجتاز المرحلة التعليمية الأولى وما جاء ليون وما ذهبت له وقد انقطع بيننا كل اتصال ممكن وغير ممكن أثناء هذه الفترة قابلت خالك هاني مصادفة وكنت أظنه جزائري أول الأمر، كان ذلك مع بدايات الحرب العالمية الثانية وقد أغراني بالمال على أن أسافر للعمل في مصر وسوف يتولى تربية ولدي بأفخم الطرق، فهو محتاج لمثلي في مصر، طلبت منه أن يستفسر عن ليون قبل أن أسافر فهذا شرطي وعندما قام باتصالاته بوازرة الدفاع والمستعمرات الفرنسية عن طريق اسمي وعنواني بعثت لي ببرقية عزاء، حزنت كثيرًا طبعًا، لكني لا أخفي أني أحسست براحة بعد كل هذه السنوات من البحث والسؤال عن ليون دون فائدة حتى تعبت وأصابني الإعياء.

قالت فيروز: لقد قاسيتي كثيرًا يا فردوس، لكني ما أردت إلا أن تبتعدي وتبعديني معك لواقع ظننته جميل كله عن واقع نحياه سويًا هذه الأيام.

لمحت فيروز أن خالها هاني قاسي في معاملاته وأسلوبه غير سوي، إنه بهذه الطريقة استخدم ابن فردوس ليضغط عليها أن تأتي لخدمة والدها، وقد كان من الممكن أن يستخدم طريقة أفضل وضمير أحسن وعلى نفس المنوال، أهذا ما يتطلبه العمل في مثل هذه الحالات حتى إن استطاعت فردوس شيئاً فلن تستطيع الكلام حتى لو أرادت، نعم إنه عمل مغري وسوي في مجمله ولن تستطيع أن تجعله سوياً من مصادره فهي لا تملك هذه القدرة، لكن فردوس تأقلمت وقد سبقتها شخصياً في هذا التأقلم دون وعي.

قالت فيروز: ما رأيك يا فردوس لو سافرنا لباريس لزيارة ولدك وحتى أرى خالي هاني وأولاده أنا أيضًا.

تهللت أسارير فردوس لسماعها هذا الكلام وقد شعرت بسعادة غامرة تعتريها، لكنها وفجأة حولت رأسها تجاه الباب

وهي تسأل نفسها بصوت عالٍ عن إن كان هذا الباب مواربا وليس بالمغلق وكانت فيروز تسمعها، كان الوقت عشاء، وقفت فيروز بجوارها ونظرت بدورها تجاه الباب لتجد أن الباب قد انفتح نصفه وقد وقف عنده رجلٌ مغربي الملبس والهيئة، ظهر ثلثي مظهره إلا ذراعاً ورجلاً وهو الثلث المخفي وراء الباب وقد كان يستأذن في الدخول حتى تعامل مع هذا الرجل مثلما كان يتعامل معه والدها وبالفعل وقد بدأت تشعر ببعض القوة في مواجهة هذا المقتحم عشاء، إنه كان يأتي ويمضي كأسطورة في خيالها وهي صغيرة.

قال المغربي: هل أدخل لو سمحتما لي أيتها السيدة أنتي وهذه التي ترمقني في خوف وترقب، إني أتيت لعمل عن طريق خالك هاني فإني لا أعمل هنا إلا بمعرفته، وحتى أعزيك في المرحوم مندور باشا.

قالت فردوس: كنا على وشك الحديث عنك هذه الليلة أيها السيد.

ظنت فيروز أن العمل الذي تجهله سوف تعمله، إنه معها

في بداياته ولا مفر من ذلك، أمرت فردوس بفنجانين من القهوة كالتي كان يشربها مع المرحوم، وعم الوجوم دارت في رأس فيروز حوارات كثيرة تبدأ بها مع هذا الرجل وهل عليها معاتبته على هذه الطريقة التي دخل بها أم قد اضطر لذلك، كان المغربي يشرب فنجان القهوة ولم يظهر عليه أية دلائل على أي شيء، إنه في غاية الهدوء، إنه عادي جدًا ، ليس هناك فيه اختلاف عن أي رجل محترم كما يبدو عليه سوى ملبسه، هكذا كانت ترقبه فيروز وهو يشرب قهوته وتحدث نفسها عن كنهه وكيفية التعامل معه .

قال المغربي: أشكرك على القهوة، أظن أنه علينا الكلام في العمل إذا لزمك هذا؟

قالت فيروز: لا شك يلزمني، تفضل فأنا أسمعك.

قال المغربي: هذا الكلام مبشر باليسر، أراك كبيرة بما يكفي حتى نعمل سويًا لكني أريد من يحفر ويردم ويقوى على الحمل وهذا لعلمك إن تستطيعي فمرحباً وإلا فانظري من تأمنينه على هذا العمل ، أما بالنسبة لطريقة دخولي فلأن

التكتم والسرية من طبيعة عملنا في ظل هذه الظروف بالذات.

سألته فيروز عن عدم إخراج الكتر مرة واحدة بأية طريقة أو على عدة مرات بدلاً من إخراج كمية كل فترة زمنية حتى لا يصدق أن يحدث كشف أو ما شابه من مشاكل مع أي أحد ممن يعارضون هذه العمليات أو حتى الناس الذين قد يبلغوا عن هذا الكتر فيتم معرفته وعندها لن يستطيع الاقتراب منه أحد، عندها أحس الرجل بتوتر ولم يرد عليها لفترة حتى لاحظت توتره بشدة إلى أن أفادها بأن هذا غير ممكن في أغلب الأحيان ولكن طالما تسير الأمور كما ينبغي فلن يحدث مكروه للكتر أو لأي أحد.

قالت فيروز: من الممكن تأجيل العمل كمجرد سؤال أم أنك يجب إنجازه ليلة مجيئك.

قال المغربي: ما أتيت إلا لأنجز العمل وليس للضيافة يا فيروز هانم يا ابنة الغالي يرحمه الله، فوالدك كان صديقي أيضًا، لكن إن أردتي ضيافتي فاعملي على إعداد وجبة دسمة

مع ما تقتضيه حولها مما لذ وطاب وذلك من الآن حتى نعود من العمل بالذهب إن شاء الله، اتفقنا.

قالت فيروز: وهو كذلك، اتفقنا، ولا تقلق سأجد من يساعدنا.

الآن لم تعد هناك خيرات، كل شيء أصبح يزج بها زجاً في هذا النفق المظلم، من ستأخذه معها إلا صابر أفندي، إنها لن تتأخر وإلا تراجعت، إنها اللحظة الحاسمة وليكن بعدها ما يكون، عليها الذهاب لإحضار صابر أفندي الآن لمساعدتها ثم لينظرا معاً ما بعدها يجب عليها فعله حتى لا توقع نفسها في مشاكل مع خالها أو غيره.

قالت فيروز: أسمعت عن الحكمة التي تقول إن الأمن والحرية والكفاية ثالوث استقرار النفوس.

قال المغربي: للحرية تأويلات كثيرة، ما علينا الآن أن نركز على كفتي الميزان بالثقل والموزون وألا نترك رمانة الميزان تنكسر بأي فعل أهوج أيتها الشابة القوية، فهيا لنكمل الصفقة.

قالت فيروز: إذن لا مفر من الاستمرار في هذا الشيء، رغم أي شيء أظنه قدري، انتظرني وسوف أعود إليك بعد قليل.

قال المغربي: لا تتأخري وإلا فاتت الليلة بلا عمل وهذا ما أخشى وقوعه، ولتعملي وتعلمي من ستأتمنينه على العمل معنا وأني يجب أن أطاع تفصيلياً وإني أعلم ما أفعل وليس أخون، فعليك أن تعملي على التأكد من قبول من ستجلبيه معك لهذه النصائح، كما أن هذه أهم مرحلة في كترك الثمين، الظروف المحيطة بك وبنا تطلب الحيطة والحذر وقياس الخطى إنها مهنة مخاطر، وهكذا جبلت، هي موفقة.

خرجت فيروز مسرعة بسيرها إلى سيارتها التي خرجت مسرعة بها أيضًا حتى إنها لم تنتظر حتى يخرج ذلك البواب النائم ففتحت البوابة بنفسها وعادت لتسرع متجهة ناحية صابر أفندي فمن غيره ستستعين به في رأي أبيها قبل رأيها هي، اتجهت لباب البيت مسرعة وطرقت الباب طرقاً متوالياً حتى خرج صابر أفندي وهو يستفسر عن الطارق بهذه

الطريقة من خلف الباب حتى فتحه ليجد فيروز أمامه.

قال صابر: ما الخبر يا فيروز هانم، لعله خير.

ابتسم صابر وهو يتذكر كلامها برفع الألقاب في محل قد لا يجب فيه التسرع بالابتسام وقد تأسف سريعًا إلا أنها كانت قد أمسكت وهي تقول له أسرع يا صابر فإن الوقت ليس في صالحنا إلا أن هناء وكانت قد خرجت تستفسر عما يحدث من أخيها عندما وجدت فيروز هي التي بالباب.

قالت هناء: تفضلي يا فيروز وقولي ماذا حدث.

ضحكت فيروز بطريقة حاولت أن تبدو طبيعية إلا أنها فشلت في ذلك وبدت متقطعة في غير استواء وهي تشير إلى أنها لم تذكر هانم مثل صابر وقد كانت تتكلم وهي تضحك في آن واحد، ثم ذكرت سبب خطر على بالها.

قالت فيروز: لا تقلقي يا هناء، ففردوس تعاني بعض الألم وأردت أن يرافقني صابر للطبيب.

قالت هناء: سوف آتي معكما، آه، لكن لن أستطيع ترك والدي.

قالت فيروز: لا تتعبي نفسك، ثم إن السيارة نصف نقل ولن تسعنا أو تسع لنا مقاعدها، إنه مقعد واحد أمامي.

خرجت هناء تتفرج على السيارة بعد كلام فيروز وتصفها بالجمال، أنها لأول مرة تشاهد مثلها مع أنها رأت سيارات كثيرة الأنواع من قبل صغيرة وكبيرة.

قالت فيروز: سوف آخذك في رحلة عبر الحقول والبندر ذات يوم.

ضحكت هناء وهي فرحة وتنظر للسيارة وهي تدور حولها وتنظر إلى فيروز وصابر وهي تقول: متى ذلك؟

قالت فيروز: في أقرب فرصة يا هناء، هيا يا صابر حتى لاتتأخري إذا سمحت.

قال صابر: سأبدل ملابسي وأخرج حالاً.

دخل صابر يبدل ملابسه وهناء تسأل فيروز عن حالة فردوس رغم كونها لا تعرفها وفيروز تطمئنها ببساطة الحالة حتى خرج صابر فاستأذنت هناء وذهبا وقد صارحت فيروز صابر بما عليها فعله هذه الليلة وإن عليه الالتزام بوصية والدها

كما فعلت هي وإن لم يكن ما سيقوم به لأجله فلأجلها.

فالمغربي ينتظرهما في القصر وعليها الذهاب معه وتنفيذ ما يقول حتى تنجز المهمة هذه الليلة بسلام ثم نرى ماذا سنفعل حتى لا أتعرض لأذى من أي أحد على علاقة بهذا الأمر من أولئك أو هؤلاء.

قال صابر: مبدئي لن يسمح لي بتركك وكلمتي وأخلاقي في مثل هذه الظروف التي أقحمتي نفسك فيها في رأيي، وفي رأيي إنها كنوز بلادنا إلا كيفية التصرف فيها مبهمة إن كانت بلا فائدة.

قالت فيروز: هذا ما أطلبه منك الآن فقط، أرجوك يا صابر يمكننا مناقشة أي شيء بعد ذلك ، إن الرجل سيقلق إن كان يقلق مثلنا في هذه الأمور.

قال صابر: لا أعتقد أن أحدًا لا يقلق أبدًا، وإلا ما استعجلك بهذه الحالة الغريبة، أشك أنه يخطط لشيء ما لا نعمله وضعي في حسلبك أني لي إحساسي الذي أعلم عدم خيبته في أغلب الأحيان.

قالت فيروز: أكتشف كل يوم أن أبي لم يخطئ ظنه فيك مع خصلة طيبة تظهر واحدة بعد الأخرى أكتشفها فيك.

دخلا القصر والرجل المغربي ما زال يجلس على نفس المقعد وبيده كتاب يشبه تلك الكتب الموجودة بمكتبة المرحوم مندور باشا والمغلق عليها بالمفتاح ومعه حقيبة جلد النمر التي اعتادت فيروز رؤيتها منذ صغرها معه، سلم عليه صابر أفندي وهو يحاول الولوج إلى صدره ومكنونه مستكشفًا، وبجانب صابر تنتظر رد فعل الرجل الذي كان على عجلة منذ قليل، لم تتكلم حتى قام المغربي ووجهه قد ظهر عليه بعض آثار التغير ناظراً لهما في تفحص.

قال المغربي: هيا بنا يا شباب حتى لا يطلع النهار قبل أن ننجز شيئًا له قيمة.

خرجوا واستقلوا السيارة، وقد أصر صابر على أن يكون في وسط المقعد بين الرجل وفيروز، هكذا أراد حين أراد المغربي أن يدخل السيارة قبله، ابتسمت فيروز ابتسامة باهتة وامتقع وجه المغربي لم يتحدث أحدهم حتى وصلوا دون

عارض، أشار صابر فجأة أنهم نسوا أداة حفر قد يحتاجونها.

قال المغربي: هذا شيء لا يفوتني، إن هذا الفأس منذ سنوات طويلة، أول من استخدمها المرحوم مندور باشا، إنها فأس لها تاريخ معي وذكريات طويلة.

توجه المغربي ناحية شجيرة برية على بعد عدة خطوات من الجدار الذي يقع تحت أرضه الملاصقة له الكنز فأخرج الفأس من تحتها ومد بها لصابر، كان ينظر لفيروز وهو يريد أن يستجمع قواه كأنه سيدخل في حرب بهذه الفأس، أما فيروز فهيأت نفسها لتلك العملية مستجمعة قواها بدورها واضعة نفسها في حالة تأهب وترقب تحت أمر المغربي في أي مطلب وبالمقابل تستعد لأي فعل غير متوقع، وهي معذورة، فما سمعت كان ينطوي أكثره على خرافات عن جيوش الجن التي تقاتل بالسيوف والحيات والأسود والعقارب الضخمة كأنها جهنم، إلا أن هذا النوع لم يكن حتى به نوع من هذه الأشياء في صورة الحيوان أو الهوام أو الإنسان، عذر صابر كان مختلف رغم جم اهتمامه بهذه القصص قبل الليلة، فعذره أنه

قد تعهد ووعد وعليه الوفاء بوعده الآن، أثناء هذا أخرج المغربي بعض أعشاب تم وضعها في حفرة صنعها على شكل هندسي وأشعل الأعشاب وجعلها تصدر دخان كالبخور ثم أمر صابر بالحفر وبدأ في تلاوة تعاويذه، كان يجلس القرفصاء وعندما صدر صوت عن ضرب الفأس بصخرة قام المغربي واقفاً وكان يتصبب عرقًا يلمع في ضوء القمر من فرط غزارته، أشار لصابر بالتراجع، وعندما أشار للصخرة وهو يتلو تعاويذه تحركت حتى ظهر درج يهبط لأسفل حيث ظلام دامس، فأشعل قطعة قماش ملفوفة على عصا وأعطاها لصابر وهو يأمره بالنزول ومد إليه خريطة وأوصاه بأن يجمع ما أراد من الذهب ونفائس الكنز لكنه عليه أن يجلب تمثال في مكان أشار له عليه مرسوم مكانه على نقطة أشار له عليها بالخريطة وأخبره أن هذه الصور المرسومة للتمثال تقارب حجمه، فهو من المرمر بحجم الكف عيناه من العقيق الأحمر مشقوقة طويلاً وليس عرضياً كالإنسان، والوصية الثانية أن تخرج بأسرع ما يمكن قبل أن ينفذ العشب والبخور حتى لا

ينغلق عليك الكتر وتموت داخله عطشاً وجوعاً، فليس هناك من البخور غير هذه الكمية حتى افتتح الكتر مرة أخرى، إذا أغلق بسرعة كافية فلن تخرج حياً.

نزل صابر أفندي مسرعًا وهو ينظر في الخريطة حتى انتهى به الدرج إلى ممر يفتح عليه عدة حجرات، كان مبهورًا مأخوذًا ببريق الذهب من حوله، إنه شيء يفوق عن الخيال كثيرًا، إنه مثل الحلم أو حكايات كنوز قارون، لاحظ صابر خفوت نار الشعلة فأخذ في جمع الذهب بمشغولاته المتنوعة في جيوبه حتى امتلأت فخلع قميصه وربط أكمامه وغرز الشعلة في جرة من جرار الذهب وأخذ يجمع فيه حتى امتلأ ثم خرج مسرعًا وبمجرد أن خرج من باب الكتر انغلق خلفه حيث إن البخور قد نفد ودون أن يلحظ ذلك المغربي أو فيروز، بادره المغربي بسؤاله عن التمثال عدة مرات، كان سؤاله عن التمثال في اهتمام ولهفة كأنه ما أراد غيره، جلس صابر على الأرض وهو يحاول التقاط أنفاسه المتلاحقة حيث كان يعاني من شبه ضيق في التنفس إثر ما رآه وما لاقاه من ضغط نفسي خلال

هذه الدقائق، جلست فيروز جواره تهدئ من روعه وتؤكد أنه قد أنجز مهمته بنجاح، هنا صاح المغربي في وجههما معاً، والتمثال الذي أكدت لك على جلبه معك ، رغم عجبهما من هذا المنطق الغريب وتشبثه بذلك التمثال بهذه الطريقة التي يجهلها كلاهما كما يجهلا سبب غضبه الحقيقي وقد تبادلا النظرات معاً ومعه علهما يقفا عند السبب الخفي وراء هذا الجنون، إن الذهب كثير بما يكفي للتغاضي عن عدة تماثيل من المرمر وليس تمثال واحد!

قالت فيروز: هدئ من غضبك، هل كنت لتغضب لو أنت الذي كان سيغلق عليك الباب لتموت تحت الأرض جوعًا وعطشًا في الظلام وحدك، لا أظن أن أحدنا كان سيفعل كما فعلت الآن لو لم تأت بقرط واحد حتى، ثم إن الباب أغلق بمجرد خروج صابر أفندي من الباب مباشرة وكان هذا من حسن حظه حيث كنت لا تلحظ أن البخور ينفذ لتحذره أو تدعني أحذره بالإسراع بالخروج ولو بتمثالك فقط.

قال المغربي: لا تؤاخذني فإني أريد هذا التمثال في منافع كثيرة، كان سيسهل علينا كثيراً، لكن على أية حال فهذه أول مرة، لكني لن أغفر خطأ كهذا في المرة القادمة، فإني حذرتك يا فيروز هانم أن أي كلمة أقولها لمن ستأتي به أيا كان فعليه أن ينفذها أولاً بعد أن تركت لك حرية اختيارك لهذا الشخص، وإلا كنت جلبته أنا زكان سيأخذ أجرة ويمضي لحال سبيله، إن المرحوم والدك لما سمع لي بنفسه آل إلى ما آل إليه وتركك فيه وما كان ليفعل شيء بدوني.

قال صابر: آسف على هذا السهو، قد ذهلت وأبهرتى منظر الذهب بهذه الكميات مع تلك الروائع ذات العبق العتيق، فهى أول مرة كما قلت.

قال المغربي: ما هذا المكان بالمرصود بالرصد المليء بأنواع من الحراسات الشديدة الأخرى ذات الدفاعات العنيفة والتى تحتاج لأشخاص ذوي مواهب خاصة جدا أيضًا، قد حدث لكنى تعبت هذه المرة معنويًا.

تقدم المغربى من صابر أفندي وهو يرفع ما فى قميصه

بحقيبته ويساعده فى ارتداء قميصه وهو يربت على كتفه ومشوا للسيارة جميعا وقفلوا عائدين وهما مبهورين بما جمعوا لا المغربى الذي مازال يبدو عليه بعض حنق من عدم حصوله على هذا التمثال وأيضًا بما رأوا وجربوا وصابر على الخصوص ومعهم غنيمتهم الثمينة بعد الغزوة الليلية الكبيرة، أخذت فيروز تتحدث عما فعلوا هذه الليلة فى نشوة غامرة عجب منها المغربى بل وصابر الذي نزل للكتر نفسه ولأول مرة، حتى نظر المغربى للعلي وهو يزفر ويضع يديه علي بطنه وعلى ركبته تارة ثم .....

قال المغربي: أراني مضطر رغم ما حدث لأن أسأل إن كان هناك ما سوف نأكل أيتها السيدة الشابة، إنني ما تناولت إلا إفطاري فى الصباح الباكر وعلى عجلة من أمرى، نظرت فيروز لصابر وبادلها النظرة عبر لمحة متوازية، ما كانا يشعران بأي جوع بل العطش، ذهبت لفردوس وكانت حجرتها والتي وجدتها تجلس على سريرها باكية، لم يكن وقت للسؤال إذا أجلته فيروز لما بعد رحيل المغربي الذي

تشعر بأن وجوده يثقل على حريتها ويأتي على طمأنينتها.

قالت فيروز: لا عليك يا فردوس، سأذهب أنا لتحضير العشاء للضيف.

قالت فردوس: لا، سأذهب، فقد اطمأننت عليك وذهب القلق.

أكلا مع المغربي بلا شهية، إلا أنه كان يأكل فى شراهة وكأن شيئاً لم يحدث هذه الليلة، لكنهما ألجآه لحكم العادة بعد أن صدر نجؤاً مدويا في سكون الليل وهو يبتسم شاكرا لها حسن الضيافة وكثرة الدسم الذي يحبه في طعامه وكأنه المرحوم مازال حيا، نظر في ساعة جيبه وأعلن أنه عليه الرحيل وأعطى كل الذهب وهو ينفض حقيبته منه بعد إخراج أدواته منها.

قالت فيروز: إنه كل الذهب.

قال المغربي: لا تشغلي بالك، فأنا أعرف ما علي وما لي، أعطي هذا الشاب ما يرضيه ليكون معنا فى المرة القادمة فقد أصبح لا بأس به.

قال صابر: سوف أرى.

قال المغربي: لا يا رجل، إنك رأيت بالفعل وقد مرة هذه المرة بسلام وستمر المرة القادمة مثلها على أن تتبع تعليماتي ولا تنسى شيئاً.

طلب المغربي من فيروز أن توصله لمحطة القطار حتى يلحق بقطار الفجر، فليس لرؤيته الأن فائدة إن لم يكن ضررا.

قال صابر: سأتي معك يا فيروز هانم.

قالت فيروز: أنت مجتهد.

قال المغربي: دعي الرجل، يا حبذا لو أتيتما ببعض مستلزمات الزراعة معك وقمت بوضعها في صندوق السيارة فإنكما ستأتيا مع خروج الناس للحقول صباحا.

في هذا الوقت المتأخر دق جرس الهاتف، تعجبت فيروز وهي تنظر للهاتف عجباً يخالطه التوجس وحدق صابر في الهاتف في شبه ذهول وهو يضع يده علي جبهته، أما المغربي فأشار لفيروز وهو مازال جالسا بالرد على الهاتف كأنه ينتظر هذه المكالمة، بالفعل قال لها وهو حال إشارته لها بالرد، غالبا

سيكون خالك هاني كأن صابر أحس أنه خالها فعلا فأنزل يده من على جبهته ورفعت فيروز سماعة الهاتف لترد.

قالت فيروز: بالفعل ، إنه يريدك انت.

أخذ المغربي السماعة ثم زفر بعصبية واضحة قبل أن يتكلم.

قال المغربي: أنا يا هاني باشا، سأعطى السماعة لتسمع منها بنفسك، خذي يا فيروز هانم، ردي علي خالك.

قالت فيروز: إنه لم يأخذ أي شيء، قال إنه سيعوضها في المرة القادمة وأنه يعرف ما له وما عليه.

قال هاني: لا بأس، سأتصل بك لاحقاً.

أغلقت فيروز هاتفها وتوجهت للمغربي تحثه على الذهاب حتى لا يتأخر فقام الجميع وبعد أن أوصلاه قاما بشراء بعض حاجيات الزراعة ورجعا فعلاً مع ذهاب الناس لأراضيهم في ذهول الملاك وليس في إرغام الإجراء كما كان واضحا عليهم هذه الأيام.

قالت فيروز: بماذا تفسر نظرات الناس لنا يا صابر ؟

قال صابر: لن أجهد نفسي أكثر من هذا بأي شيء، لكن كيف تفسريه أنتي، تفسيرك أنتي أهم عندي كمالكة لما يملكونه الآن سابقاً وليس هم.

قالت فيروز: لن أجهد نفسي مثلك، سأجعل من نيتي حسنة، إنهم ينظرون للسيارة أو لصحونا للعمل قبلهم مثلاً، لكني الآن أحتاجك جانبي.

قال صابر: سبق أن اتفقنا، إنك فوق هذا وإنك مهذبة وجميلة ونبيلة تغري بالتعلق والمحاباة.

صمتا قليلاً فما كان غير صوت السيارة وطيور الصباح على الأشجار وخرير الماء من ساقية قد مرا عليها وفلاح ينادي على آخر بصوت عالٍ داخل الحقل ليسمعه فيجيبه، عندما وصلا للمسجد طلب صابر أن ينزل إذ لاحظ أن فيروز ستتعدى مكان بيته طالبا منها النزول معه، فعندما طلبت منه أن يذهب معها لينظرا في الأمر أولاً أجابها بأنه متعب ويرغب في بعض الراحة ثم سيوافيها ضحى أو قبل الظهر وهو ليس بالوقت الطويل حتى توافقه، فقد كان غاية

الإجهاد بالفعل فأجابت طلبه فهي تقاربه إرهاقا.

قالت هناء: مالك يا صابر تترنح هكذا.

قال صابر: لا شيء إلا أني أريد النوم فقط.

قالت هناء: وكيف حال فردوس ؟

قال صابر: ومن أين تعرفين فردوس ؟

قالت هناء: أليست هذه المريضة التي ذهبت مع فيروز هانم بها للطبيب .

قال صابر: آه، نعم، إنها بخير الآن والحمد لله، أنا المتعب الآن وأريد أن ارتاح قليلاً لو سمحتي يا هناء.

قالت هناء: لترتاح كما تشاء يا أخي.

أما فيروز فتركتها فردوس لترتاح بدورها حيث لم تنم طوال الليل أيضًا وبدون كلمة واحدة توجهت لتنال قسطاً من الراحة وهي تأخذ الذهب معها لغرفتها في حقيبة قد وجدت أنها الجلدية قد جمعته فيها، كذلك مضت فردوس لتنام ولو لساعة واحدة، عندما نامت فيروز ما كانت لتدعها

متاعب تلك الليلة لتفكر إلا في النوم نفسه، إلا إنها رأت فى نومها أن والدها قد أتي ومعه جني قد عرفته كما يعرف الحالم بالإيهام مع أنها لم تر أي جني من قبل في الحقيقة، كان لونه كالشمع الأبيض وعيناه قد شقت بطول ولونها أحمر، زاد في حملها على إلهامها أنه جني الكتر كأنها تزود بثقة فى ذكائها عن طريق هذا الحلم، بالفعل، أخذ أبوها بيدها وهو يقول لها هيا بنا حيث الكتر يا فيروز، سأريك شيئاً مهماً وهي توافقه وتسأله عن هذا المرافق، قال والدها: إنه سر الكتر ورئيس حراسه، إنه صاحب الأرض.

قال الجني: والدك يخاف عليك لذلك دعانى لآتى معه لنحذرك، فإن وجدتى شيء ولو بسبي فلن يكون لي دخل فيه، أنا مسخر لهذا.

قال والدها: لا تخافي منه، أنه طيب لكنه قد يرغم.

قالت فيروز: ما اسمه يا أبي إذا كان له اسم؟

قال الجني: أنا خادمك جندار، لا أعرف غيظًا ولا قيظًا، أنا أنفذ.

قالت فيروز: هل أنت في إجازة أو تراك تترك غيرك عند الكتر.

قال والدها: هيا يا فيروز حتى لا نتأخر فالوقت محدود وقد لا يعود.

وجدت فيروز نفسها داخل الكتر ومعها والدها والجني بجانب تمثال مرمري بحجم الكف عيناه من العقيق الأحمر يشبه الجني جندار تماماً قد استقر فوق صخرة في ركن من أركان الكتر.

قالت فيروز: إن هذا التمثال يشبه هذا الجني.

قال والدها: إنه تمثاله بالفعل.

قالت فيروز: إن لك تمثالاً جميل وغالي الثمن جدا يا جندار.

قال الجني: تمثالى هذا يستخدم في نقل كل هذا الكتر، لكن هناك شرط له أكبر الأهمية لحدوث ذلك.

قالت فيروز وما هذا الشرط أرجوك ؟

اهتزت الصورة بشكل شديد حتى تلاشت عندما استيقظت فيروز على صوت فردوس تحثها على الاستيقاظ حتى أفاقتها من نومهاز

قالت فيروز: قد صحوت يا فردوس، قد صحوت.

قالت فردوس: هانى باشا يريدك على الهاتف وأمرني أن أوقظك.

نزلت فيروز متثاقلة إلا آن فردوس قامت بدفعها برفق حتى تسرع قليلاً.

قالت فيروز: حاضر، كنت أريد السفر أنا وفردوس فقد وعدتها أني سأجعلها تري ابنها قريبا.

قال هاني: إن الظروف لا تسمح بسهولة هذه الأيام، لكني سأبحث في إمكانية لهذا الأمر بطريقة عادية وبسيطة.

صعدت فيروز لتكمل نومها تلقائياً وقد عرفت بنفسها ما تسير عليه هذه القصة التي بدأت قبل ميلادها حتى بدأت تتداخل معها لتحياها القصة أيضًا، لم تعود لتدور فيها طالما وضعت يدها على الكتر إنما ستكون مركز تلك الدائرة منذ

الآن،وإما أن يدور الجميع حولها أو توقفها نهائياً ولن تقبل بغير هذا طالما إدارتها مجد عند أناس وايقافها مجد عند آخرين ولو كانوا أغلبية، وضعت رأسها علي الوسادة تفكر في أنها لم تستطع السيطرة الكاملة وحتى إن استطاعت السيطرة على الجمعين حولها فستضمن الأمن لنفسها بما يحفظ لها دوامه، إن المطمحين أبعد من بعضها عن بعضها البعض، فعادت إلى نقطة أن يكون ما يكون فلا عليها إلا الاستمرار حتى ترى ما يتوجب عليها فعله دون شطحاتها هذه، وطالما عادت فهي ليست مركز الدائرة، ظلت في أفكارها حتى نامت مرة أخرى إلى الظهيرة حتى أيقظتها فردوس مرة أخرى، لكن هذه المرة روتينية، إنه موعد الغذاء وأي مواعيد مقدسة لدى فردوس بالذات فيما يتعلق بعملها في مختلف الظروف أو الأحاسيس طالما تسير على قدمين، وربت فيروز علي هذا النظام بالفعل، لكن للظروف أيضًا تدخلاتها، وقد يلحظ في حينه جزئياً.

قالتفيروز: اجلسي معي لو سمحتي يا فردوس.

قالت فردوس: مازلت أتقاضى راتبي يا فيروز هانم.

قالت فيروز: لماذا أقول لك يافردوس فقط في رأيك؟

قالت فردوس: بحكم ما تعودتي عليه وسمعتي من يناديني به دائماً، أنا من قلت لوالدتك ذات مرة أن تدعك تناديني باسمي فقط، فشعورك بتوقيري لأني مربيتك عادي كما ألحظ فلا داعي للضغط عليك في هذه الناحية أيضًا، وأظنه مذلك حتى اليوم يا فيروز هانم.

قالت فيروز: بالفعل يا فردوس، فقد كنت مدللة.

قالت فردوس: كان يحق لوحيدة والديها مثلك فلا حرج، لكن هذا لم يغير طريقة نظامي معك أبدا أو شعوري تجاهك بالمسئولية.

قالت فيروز: لنك أصبحتي تتعبين أكثر هذه الأيام، أنا أقدر لك ذلك.

قالت فردوس: ستتحسن الأحوال ثانية يا فيروز هانم.

قالت فيروز: أين الخدامون، أين الفلاحون، أين كل هؤلاء الناس الذين كانوا يعملون عندنا، غير أنك كنتي صغيرة وتستطيعي التحمل يا فردوس.

قالت فردوس: كانوا يتطلبون مجهودًا أيضًا، فالإدارة تتطلب جهدًا.

كان الشيخ حامد ما زال مريضا طريح الفراش حينمه قررت فيروز زيارته مرة أخرى فأبلغت فردوس لتعرف بمكانها إن حدث طارئ، وجدت باب بيتهم مفتوح عندما وصلت فنادت على صابر وهناء.

قالت فيروز: الباب مفتوح هنا، هناء..،صابر..

خرجت هناء من المطبخ وهي ترحب بفيروز وتدعوها للدخول معللة فتح الباب بأن جارتهم الفلاحة تودهم وأتت بطبقتين من حليب وجبن بلدي ووقفت تحدثني عن بعض الأحوال المترلية بعدما سألتني عن صحة والدي فالناس هنا مهنتهم إنتاج ما هو بلدي كما نقول وغالبًا ما يرفضون أخذ مقابل هذه الأيام كمواساة في مرض والدي فهو شيخهم وهم يحبونه كثيرًا، وقد ذهبت وأنا مازلت واقفة بالباب فتركته لاشتغال يدي بما تحمله كلتاهما وقد ناديتي وأنا بالمطبخ، وكيف حال فردوس الآن؟.

قالت فيروز: إنها بخير فلا تقلقي بشأنها فالمهم صحة شيخنا.

قالت هناء: إنه كما تركتيه يا فيروز.

قالت فيروز: سيتحسن إن شاء الله، أين صابر ؟

قالت هناء: ما زال نائماً منذ أتى في الصباح، أتصدقى أنه نام بملابسه التي خرج بها كما هو؟

قالت هناء وهى تضع يدها أعلى نهديها كأنها تريد لفت انتباه فيروز لأنها تعرف أن النظام المتمدن لا يرضى بهذا تحت أي ظرف أو حالة كأنها تجامل فيروز فى عاداتها تلك.

قالت فيروز: أتعلمي أني فعلت مثله تمامًا.

قالت هناء: مستحيل ..

أرادت فيروز تقريب الأجواء عندما لاحظت محاولة هناء أي استمالة لها لإزالة أي فروق تشعر بها إلا أنه كان على العكس، فهي تعلم كلام البنات وحركاتهن كواحدة منهن وكم مارستها شخصياً.

قالت فيروز: قد كنا في غاية الإجهاد يا هناء.

عندما طلبت فيروز من هناء رؤية الشيخ حامد قامت بإدخالها بعد أن أبلغته، وجدت فيروز كمية كبيرة من الأدوية بجانب الشيخ حامد حيث كان مشغول بتسبيحه بمسبحته، بكت هناء لحال والدها أما فيروز قد فشلت هذه المرة في البكاء إلا أنها أطرقت مسدله هدبيها تغض طرفها لتواري عينيها، إلا أنها شعرت بقشعريرة انتفض عن إثرها جسدها مما جعل هناء تتوقف عن البكاء وهي تسألها عن السبب.

قالت هناء: ماذا بك يافيروز، ما سبب هذه الارتعاشة؟

قالت فيروز: مجرد تأثير وقتي، إنه الموقف فقط فلا تعبئي، إن شيخنا في مقام والدي الله يرحمه وقد أحسست هذه الأيام أنكم عائلتي الجديدة التي سيعوضني الله بها عائلتي التي ذهبت بلا رجعة.

قال الشيخ حامد: كوني مؤمنة يا بنيتي، إن الإيمان يقوي ولا يضعف، إن كان عندك أي طلب فاطلبيه بلا حرج الآن، فإن لم ترغبي فاطلبيه بعد ذلك من هناء وصابر، إني أثق

بتربيتي لهما، إن وصلك علم شيء أو لم يصلك من طريق والدك الله يرحمه كما أسر لي قبل موته أو لم يصلك فلا تقلقي من هذه الناحية أبدا.

أحست فيروز أن الشيخ حامد يتحدث عن شيء يخص الأرض والقصر لكنها الجئته ؟ لما قال بالفعل، كما شعرت بشعور والدها ساعتها منذ أعوام.

قالت فيروز: المهم عندنا صحتك يا شيخنا فلا تهتم بغيرها أرجوك.

كانت هناء تناوله الدواء عندما كانا يتحدثان وفيروز تساعدها في إجلاس الشيخ قبل أن تذهب لإيقاظ صابر وهي تحتضن فيروز وتضمها إليها بيد وممسكة بالأخرى كوب الماء لتملأه مجددًا.

بدلت فيروز الحديث لكن في إطار زراعة الأرض مع الشيخ حامد، وأشادت بخبرة صابر في هذا التخصص وهو يشكرها ويصدق على كلامها معاً، ثم انتهزت انفرادها بالشيخ حامد وسألته من خاطر بالها، إن أمها كانت تتوتر

في حضور الرجل المغربي، فهي تتذكر بعض المواقف جيدًا، أشاح الشيخ حامد بوجهه عنها وهو يقضب حاجبيه، إلا أنها ألحت عليه حتى يرد عليها لتعرف سبب رد فعله على الأقل.

قال الشيخ حامد: هذا الرجل يا بنيتي في رأيي مشعوذ.

قالت فيروز: وضح أكثر إذا سمحت يا شيخنا.

قال الشيخ حامد: إنه يتعامل مع ما يسمونه بالرصودات السفلية وما هي إلا الجن أو الشياطين والعياذ بالله على قدر علمي، وطالما هذا خلقه وطباعه خلال هذه التعاملات الخفية فكيف يطمأن عليه غالبية الناس.

قالت فيروز: كنت أريد أن أعرف برجه التحديد إن أمكن أو وجد هذا التحديد.

قال الشيخ حامد: يا بنيتي إن والدتك يرحمها الله كانت تعلم منفعة هذا الرجل والتي كانت راضية منها إلا ما ذكرته لك وما أجهدت نفسي في معرفة الأكثر، إلا أن والدتك كانت تحدث لها نوبات حادة وقد ذكر لي والدك يرحمه الله شيئًا عن هذا على ما أذكر ذات مرة، كان يقول إنه مرض له

خطورته كما حدثه الطبيب لكن من الواضح أنها لم ترد إخبارك يرحمها الله.

قالت فيروز: ما رأيك فيه لشخص مع أموال الكنوز؟، نعم، أقصد هل رباني أبي من حلال أو حرام؟.

قال الشيخ حامد: أقدر سؤالك وموقفك، وحتى يزول عنك الحرج فأموال والدك في أرض مصر التي وإن تغير عليها ملاكها إلا أنها ستبقى أرض الوطن، تزوج والدك من والدتك بشرع الله وأنفق والدك أكثر من الكثير على المحتاجين، لكنها البداية، رغم أن والدك اشترى الوسية من أجنبي والذي أثق أنه لو وجد الكنز ما تركه وكان على باب مذبح، إلا أن رأيي أن هذا الكنز من حق كل مصري وفي فترة كان يعطوا صاحب الأرض بعضه، فليكن هذا ما تربيتي عليه، أوصانا الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالا ننفر يا بنيتي، سامحنا الله إنه الغفور الرحيم، فانظري ماذا ترى؟

قالت فيروز: إني أنظر بالفعل ياشيخنا، ادع لى بالتوفيق.

قال الشيخ حامد: وفقك الله لما يحب ويرضى يا بنيتي،

واعلمى أنى لولا عدم تحققي من مصير هذا الكتر للصلاح سيكون أو لغيره من المصائر ما توانيت في كشف حقيقته وقد قلت لوالدك من قبل، ليرحمه الله ويرحمنا أيضًا.

شكرته فيروز فالصراحة أراحتها كثيرا في حضرته والتي أحست أن الكلام يخرج منها بدون توقعها كشيء بداخلها لم تصادفه من قبل وألح عليها.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

في حديقة القصر جلست فيروز مع صابر يشربان فنجاني شاي، كان رأي فيروز مع أن صابر أصر أول الأمر على الجلوس فى القصر لكن فيروز أبدت إصرارًا أكبر فإنهما أحرار في ظل الثورة كمنطقة لينة في قلب صابر من خلالها تستطيع السيطرة عليه، أما بالنسبة لها فالأمر لم يتعدى بعد الأمر الواقع حتى يومها هذا إلا أن صابر أصبح شريك قد ارتبطت به مكانيا ومصلحيا ولا مفر من ذلك الآن أيضًا بغض النظر عن وصية والدها وإن كان سببا فيما تحيا في التفكير فيه طوال الوقت من كل الجهات، وفجأة.

قال صابر: بدون مقدمات، طلب مني والدي أمس بعد أن خرجتي أن أخبرك أنك لو أردتي تحويل الممتلكات باسمك فهمو على استعداد لذلك فوراً حتى لو تطلب الأمر نقله بالسيارة إلي أي مكان.

صمتت فيروز تدير رأسها وتقارن وتقيس في منتهى الهدوء

مما وتر أعصاب صابر الذي أشار لها بيده أمام عينها.

وفي تحويل عن الموضوع اسكت صابر قالت فيروز وهي تمسك بيده بحركة مفاجئة جعلته ينظر ناحية البوابة الرئيسية للقصر.

قالت فيرو: لقد تأخر بخيت أفندي، أريد أن أرتاح لنرى ماذا سنفعل كما وعدتك.

قال صابر: وهل سيأتي ؟ في أي شيء يا تري ؟

قالت فيروز: سيأخذ الذهب لإيصاله لخالي هاني عن طريق رجاله.

قال صابر: بخٍ، بخٍ ويالللهول!!.

قالت فيروز: ما معنى بخٍ يا صابر ؟

قال صابر: يعني الأمور تسير بمنتهى الروعة، هذه الكلمة، ألست سعيدة ؟

قالت فيروز: بدون تعليق وكما أخبرتك، أنا مضطرة.

قال صابر: فيروز هانم أو فيروز فقط آسف مقدمًا، هل

وقعت معك في نفس البئر في رأيك ؟

قالت فيروز: لم تقع إلا إذا أردت أنت ذلك، إني ألاحظ إنك تريد أن نقفز لا نقع، لكنى لن اقفز يا صابر ولن ادعك تقع حتى إن وقعت أنا.

قال صابر: إذن لا مفر مثل كل آخر حديث معك، كيف تفعلين هذا بى؟

دخل بخيت أفندي من البوابة وقد رآهما متوجه إليهما فسلم وجلس مستأذناً فيروز، صبت فيروز له فنجان شاي وقدمته له فأخذه منها ووضع حقيبته.

قال بخيت أفندي: أشكرك يا فيروز هانم، كنت أريد أن أحدثك في شيء مهم وظني أنك تعلمينه.

قالت فيروز: هات ما عندك يا بخيت أفندي فليس هنالك ما يدعو للأسرار.

نظر بخيت أفندي لصابر وهو متبرم، ثم نظر لفيروز هانم وهو يحاول معها مرة آخرى.

قال بخيت أفندي: إنه يتعلق بهانى باشا والعمل معه.

قالت فيروز: ألم أقل لك تحدث، هيا قل ما عندك، دون أي تذمر، تفضل.

قال بخيت أفندي: هذه حقيبة بها نقود بعث بها هانى باشا ويريد الذهب.

ابتسم صابر وهو ينظر لبخيت أفندي وعندما لمحه ضرب كفًا بكف وهو ينحني لأسفل ناظراً للأرض ثم رفع رأسه ونظر لفيروز هانم بجائل خاطره قبل أن يتحدث.

قال بخيت أفندي: ألم أحذرك حتى نتكلم على انفراد.

قالت فيروز: ماذا ظننت يا بخيت أفندي؟

كان صابر مازال مبتسم وينظر لبخيت أفندي عندما حولت نظرها عن بخيت أفندي إليه وانفجرت ضاحكة وهي تطيح برأسها للخلف وقد قارب شعرها أن يمس الأرض وقد جمعت يديها لبعضهما كل أربعة أصابع على ظهر الكف الأخرى وهى تضمها بشدة باسطة إبهامها تضمها وتبعدها تتابعًا كرقم ثمانية منفرجة الكتابة قليلاً، يرسم الشكل كل

أظفر للإبهام قبالة بصمته وقد مرت قدميها حتى كادت توقع المنضدة بما عليها، حدث هذا فى لحظات قبل أن تعتذر فى تراجع صادق فوق الخمسين بالمائة بالتأكيد كلياً.

قالت فيروز: آسفة، شعرت فقط ببعض المرح.

تحولت حينها بسمة صابر من إثارة بخيت أفندي وهو يبادلها من خلال عدم اكتراثه به إلي ما يشبهها إلا إنها نتاج شعوره بما تسبب فيه بالخجل فقد احمر وجهه بسبب فيروز وقد رأته بالفعل فأسدلت له جفنها بأهدابه الطويلة ثم أوسعت بعينها نظرتها لبخيت أفندي حتى تنجز ما يجب إنجازه.

قالت فيروز: هيا لننهى مهمتك يا بخيت أفندي، تعال معى ولو أردت المجيء يا صابر فتعال معنا، كما ترى.

هكذا وارت عن بخيت أفندي بعض الحقيقة إلا أن صابر أصبح يعرف ما يراد وضعه فى براهين رأس بخيت أفندي، ولو ما فعل حياله شئاً سيكون كما يفعل سواء، طالما أرادته فيروز هكذا، انتظر بخيت أفندي حتى صعدت فيروز لتحضر الذهب

وهو جالس يضع الحقيبة على قدميه، أعطته فيروز حقيبة الذهب وأخذت حقيبته وما فتحتها صاعدة مرة أخرى وهى تشير له بالجلوس مرة أخرى، وبعد عودتها وهي توصيه على نفسه، فأكمل لها الجملة بكلمتي، والأمانة أيضًا بالطبع هناك من يراقبني لكنهم يحمون مع أنهم يخفون عنى حقيبتهم هذه لكني لماح وذكى، عندما وصلا لصابر سلمت علي بخيت أفندي وودعته.

راودت فيروز بعض الأفكار فأنحرفت ورئها وقد جلست مع صابر الذي كان ينظر إليها وقد تراجع عن مقاطعة أفكارها فقد تكون فيما حدث بالداخل قبل أن تقوله له تستشيره فيه، إلا أن بأفكارها كانت تفكر في ماذا لو تعرضت للمسائلة القانونية لأي سبب، إنها مازالت تشعر بالوحدة وعدم الوثوق بآراء من حولها فيها وفي أنفسهم وفى الموضوع كله، وما أثناها إلا تذكرها للحلم الذي دخل فى سياق أفكارها لصابر فتسأله.

قالت فيروز: ما رأيك في الأحلام ؟

قال صابر: في مكتبة أبي الدينية كتاب لشيخ يتحدث عن الأحلام، يذكر أن أحلام ما قبل شروق الشمس ووقت القيلولة تكون صحيحة فمتي كان حلمك لو كنتي تسألي عن حلم بعينه.

قالت فيروز: نعم، كانت وقت أن نمت بعدما وصلنا المغربي ورجعنا تقريبًا.

قال صابر: يكفي أن تقصي حلمك وسوف أقول للك رأيي.

قالت فيروز: إنه عن الكتر والتمثال الذي أرادك المغربى أن تجلبه له وقد رأيته في الحلم على صورته وكان الأهم وجود والدي يحذرني من المغربي، وقد تصفحت كتب والدي فوجدت صورة هذا الجني مرسومة بألوان مازالت واضحة بل وجميلة كما رأيته بالحلم فدهشت بشدة وكنت على وشك الذهاب إليك لتأتي معى لمناقشة هذا الأمر، آه، لقد نسيت شيء مهم، أخذنى والدي والجنى إلى الكتر.

أخذت فيروز في وصف حجر الكتر وجرته المليئة بالذهب

وغيرهوتمثال مرمري عيناه لونها أحمر كالعقيق الأحمر فى شكل الجني حتى انتفض صابر واقفًا قبل أن يتكلم.

قال صابر: ماذا تريدي بعد ذلك يا فيروز، أعتقد أنك لو رأيتيه في عز الظهر ما كان سيتضح هذا الوضوح، أن كل ما وصفتيه هو ما رأيته بعيني ولا شك، حسنًا، كيف كان يثبت هذا التمثال يا فيروز؟

قالت فيروز: اذكر أنه كان مثبتًا على صخرة فى ركن بمفرده.

ضحك صابر وهو يصفق ويقول إن هذا صحيح ثم ينظر حوله ويضع يده على فمه فقد كان صوته وصوت التصفيق مرتفعين، أما فيروز فلم تكن متأكده من وقت حلمها للآن.

قالت فيروز: المهم يا صابر فيما سأخبرك به فلا ترفع صوتك فى أي رد فعل آخر.

قال صابر: أهناك ما هو أهم، لا أعتقد، لكن والدك قال أن تحذري المغربي.

قالت فيروز: نعم، لكنه قال إن باستطاعته - وأقصد الجني

حيث كا يحدثني في الحلم – أن ينقل هذا الكتر كله إلى أي مكان آخر دون نقل بشري إلا بالتعاويذ الموجودة بالكتب وهذا ما فهمته شخصياً، على فكرة اسمه جندار.

قال صابر: جندار !، الآن قد فهمت لماذا كان يريد هذا المغربي ذلك التمثال، وأين ما ذكره عن صداقته بوالدك وحزنه عليه وغيره مما قاله، ألا تري أن إقحامنا في الأمر يزداد وكذلك اقتحام أذرعه من أمور علينا، لكنى قد أعلم مسبقاً ما ستقولين استناداً لعنادك قبل أن تتكلمي ككل مرة، لنرى.

قالت فيروز: هو ذاك تمامًا أيها الرفيق، قد أصبح رفيقنا الثالث تأخر الوقت كرفيق ظلي. ضحكت فيروز ضحكات تعجب من تداعى الأحداث حتى أصحكت صابر.

في حجرة المكتب كانت فيروز تقرأ في الكتاب القديم الأصفر الذي به صورة التمثال وحروفه مفردة فى تلك الصفحة ومرسومة حول التمثال، وعلى التمثال نفسه ما يشبه النقوش، أخذت فيروز تنظر لتلك الصورة بعناية قبل أن تقرأ المكتوب عنها فوجدت أن هناك علاقة كبيرة بين الجني

وحفظ الكتر ونقله أيضًا، وإن كانت الطريقة مجهولة بالنسبة لها لكنها ممكنة كما هو في استطاعتها من قراءة لبعض هذه الطلاسم، مع بعض إشارات لأزمنة وأمكنة بعينها واجب وضعها في الاعتبار عند نقل الكتر، وعندما كانت تربط بين أفعال المغربي وما تستطيع فهمه مما تقرأه وجدت أن الزمان الذي أتى فيه المغربي مدون في الكتاب مع ما يتعلق بصورة التمثال، إنها مفاجئة، إن المغربى كان ينوي نقل الكتر بالتمثال لمكان مجهول حيث يشاء، إنه سيحاول المرة القادمة ولا شك، لهذا كان غاضبًا لهذه الدرجة إذن، إن اكتشاف عظيم بالنسبة لها، فكرت إنها كان عليها أن تفهم لأول وهلة بعد الحلم وبالتحديد عندما حذرت من المغربي هذا وعدم اكتمال الحلم لم يكون ضروريا هنا.

دق جرس هاتفها وقبل أن ترفع سماعته عرفت إنه إما خالها أو الضابط ممدوح، رفعت سماعتها لتتأكد من المتحدث.

قال ممدوح: مساء الخير يا فيروز، أخشى أن أكون أقلقتك أو أزعجتك.

قالت فيروز: كيف حالك يا ممدوح؟

قال ممدوح: بخير، لن أقول لك أني تذكرتك فاتصلت بك فوريا لأنك لا تغيبي عن ذاكرتي إطلاقًا، قد أمرت بوضع جدك في المستشفي لتلقي العلاج اللازم والبحث بتراهة في ذمته المالية، بلا تزمت أو ذم.

قالت فيروز: إنى عاجزة عن الشكر حقًا يا ممدوح فالقرابة كانت ترغمني علي العطف عليه مهما حدث مع كبر السن والمرض.

قال ممدوح: إنه حالة إنسانية قبل أي شيء، وكما عليه حق قد يثبت أو لا يثبت فله حق في الاعتناء به في هذه الحالة كمواطن مصري ولو متهم.

قالت فيروز: هل أستطيع رؤيته يا ممدوح؟

قال ممدوح: بالطبع، سأعمل على استخراج إذن لك بذلك حالاً، لكن عندي استفسار، قد تذكرت أن اسم والدك مندور وليس حامد أليس كذلك؟

قالت فيروز: متى استطيع أن أراه يا ممدوح، آه، الاسم

كذلك.

قال ممدوح: في أي وقت إلا غدا وستجدي الإذن مع حارس المستشفي الخارجي وسوف أوصيه بإعطائه لك حال وصولك، أنا إنسان يا فيروز بلا تأويل آخر.

قالت فيروز: عاجزة عن الشكر يا ممدوح.

قال ممدوح: إنه أقل ما يجب علي فعله لأجلك يا فيروز.

انتهت المكالمة وعادت فيروز للكتاب مرة أخرى لكنها وجدت نفسها تنحني إلى مقارنة ممدوح وصابر، كيف لها الراحة في هذه الظروف من عقلها الذي ما عاد يكف عن العمل كأنها في سباق بأقصى سرعة في طريق كثير المنحنيات، إنها تريد ما يقارب المعجزة تقريبا في رأيها، أتكمل طريق والدها الذي لم يوف السائر فيه الثورة بعظمها مع صابر وعقلها حتى تعمل قلبها حين تكون جاهزة لذلك، أو طريق الآخر الذي ما سيكون تحولها له فجأة مع ممدوح الذي في الغالب يتقرب منها استعداد للزواج، حتى إن كان هناك غير ذلك وهو ما تستبعده فها هو قد بدأ بالوساطة مستغلاً

سلطاته ولو في الإطار الإنساني وهو ما كان يفعله مع غيرها، إنه معجب بها وهذا ما تتأكد منه، هي نفسها قد بأت تعجب بنفسها بعد هذه التجارب فلا غرابة ومع ممدوح السلطة، مع صابر القصر وباقية الأرض الزراعية والعمل الجديد عليهما معًا في الذهب، إنه الذهب البراق وما يستطيع فعله، شعرت أنها أدخلت نفسها لتوها في دوامة كانت تسرع بها دون أ، تدري حتى دارت بها الأرض من حولها وقد وضعت يديها فوق رأسها تتخلل أصابعها ببعضها بعضًا حينما أمسكت بها فردوس من تحت إبطيها توقفها برفق تحثها على التماسك، بعد أن أوقفتها وهي تترنح قليلاً فأسندتها إليها حتى تثبت فحلت أصابعها التي كانت قد تماسكت كالشبكة.

قالت فردوس: لا أدرى الأحداث تتداخل هنا لهذا الحد في أسرع وتيرة.

قالت فيروز: إنها على أشدها في رأسي يا فردوس، في رأسي، لا عليك يا فردوس هيا بنا أعلم أنك تريدينني للعشاء

وإن عصيت فلن ترضخى كالعادة، هيا بنا لكن سأصر هذه المرة أن تجلسي معي وإلا سأصر علي العصيان هذه المرة.

قالت فردوس: أعتقد أننا تكلمنا عن هذا الموضوع سابقا با فيروز هانم.

قالت فيروز: ستجلسي معي، هيا حتى نتحدث عن السفر على المائدة، هل تريدي أن تعيشى معه؟

قالت فردوس: تقصدين ولدي بالطبع ، ما أريده الآن أن أراه فقط.

قالت فيروز: أبشرك إننا سنسافر قريبا.

قالت فردوس: سأكون في منتهى السعادة برؤيته بعد كل هذه السنوات يا فيروز هانم وزيارة أماكن قد أوحشتني أيضًا، إني لم أغادر هذا المكان منذ زمن مع حبي له، كيف به لو رآني بعد هذه السنوات في رأيك يا فيروز هانم، سيقابلني بترحاب وحنان أم سيقابلني بفتور ولا مبالاة.

قال فيروز: أنتي والدته، وإن تركتيه فقد عاش وأكمل تعليمه من مالك وحياتك هنا لأجله، إلا أن كان عنصري

الحضارة، فكلنا أسراه البعيدة.

قالت فردوس: قد تتغير الأوضاع وتتطور مع الوقت بالأخص مع بعد التعايش والملاحظة والتعامل الدوري ولن أقول المستمر، لنرى هاني باشا أولاً.

قالت فيروز: سأتدبر هذا الأمر معه وكما تحبين وكما تختارين فوالدتي ماتت وأنا كبرت وما عاد ما يدعوه للتصلب شيئاً.

قالت فردوس: لا أريد الخوض في كلام غير لائق إلا أنه خطير جدا صدقيني وهو مضطر طالما يتعامل مع خطرين وقد تقادم به الزمن معهم ورأيه قد يكون غير منفرد حتى الان، إنها في شئونٍ صار متعلقا بحكومة مصر التي تصبو لتكون أكثر نضجا بعد أن كان بشكل آخر متعلقاً بحكومة فرنسا وغيرها في أوربا حيث الزبائن التي تشتري وأغلبهم يعلم أنها تجارة محرمة دوليا إلا فيما تحقه الدول القوية لنفسها من هذه الآثار بالبحث أو الهدايا أو أية حجج أخرى.

وفي الأصل ما قرروا أن يجعلوها محرمة إلا بعد بعض

الصراعات الخفية بين بعض حكومات الاحتلال عن أشياء تاريخية نادرة وثمينة عظيمة الحث مثل اكتشاف مقبرة الصغير توت عنج أمون، إلا أن مصالح الدول هناك وحكامها هنا في الشرق مع إقبال الناس على الحضارات الشرقية يتدخل بشكل واضح في تعاملتها بانحيازه الواضح عما، تحاشيًا أو تغاضيًا.

قالت فيروز: أتعتبري خالي هاني خائن؟

قالت فردوس: حتى الدول التي تعرفه والناس التي تتبعها وتتعامل مع أي أجنبي حتى وإن أحبته فهي من المؤكد تعتبره كذلك أو على الأقل بلا مبادئ، أظنك تفهمين يا فيروز هانم، إنها ثروات مصبوبة من الذهب.

قالت فيروز: نعم، للأسف، لكن لا تتكلمي بهذا الكلام مع غيري من أجل أمننا حتى حين.

قالت فردوس: هذه ثروات تضم لثروات الشعوب فى الغرب والسادة مع اختلاف المضمون هناك يهتمون ولو غضبت الأكثرية من حيث المبدأ لأن المصلحة أبقى في النهاية حيث ضمان دوام ثراء العيش والتميز عن باقي الشعوب.

قالت فيروز: لماذا في آرائك المميزة يوضع أمثال خالي هاني وأكثرهم من الغرب في مصطلح العصابات مثلاً.

قالت فردوس: هذا كمثل الدرع الذي يصد به السادة اتهامات الغير من أحرا بمفهوم مغاير ليكونوا الأشرار دون غيرهم.

قالت فيروز: إنه يشبه التفاني في الفداء لفدائيين يعانون الضرب من الأعداء ومن يفدونهم إذا رأوهم، هذا أعجب ما سمعت يا فردوس، حتى يظل الغرب الغني والشرق الفقير شعوبيًا وبالتالي حضاريًا، ودت معاملتهم والتعلم منهم ولكن دون أن يدروا أيضًا.

ضحكت كلتاهما قبل أن تضيف فردوس جملة تكميلية.

قالت فردوس: إنك تعاملي معهم بالفعل ولو بطريق غير مباشر.

قالت فيروز: كلامك الليلة أكثر دسما وألذ من طعامك يا فردوس.

قالت فردوس: مع الشكر إلا أني ما أردت إلا نصيحتك يا

فيروز هانم، قبل أن تفكري في أي فعل فكري في نفسك حتى لا تتضرري بلا فائدة لك أو لنا أو لأي شخص حتى .

قالت فيروز: ألا ترى خطئاً يكمن في بعض التدخلات قد نصل له سوياً للآن.

قالت فردوس: قد أفدتك بما أعرفه عن طريق عمري وثقافتي وقراءاتي ومناقشاتي القديمة والحديثة مع والداتك والتي قرأت من الكتب الغربية الكثير أيضًا في هذا الشأن بالخصوص، لكن مجاراة الواقع وقومية المال والسلطة وتعاليها بعضها على البعض يغير ويسير حياة الناس، ثم التميز!، فالتميز طبع في كل إنسان يسعى إليه بأية طريقة وإن تباينت الطرق أو بدت له أو لغيره.

قالت فيروز: لأنها كما تقولين بالتقريب، الميزة، فأنا أريد أن أمتاز عن غيري بأي شئ وفي أي شيء، إن قدرك يا فردوس، إنك عظيمة، لكن ألا تسعين للتميز.

قالت فردوس: فات بالنسبة لي هذا إلا أن أتميز جزئيا وحسب الظروف وقبل هذا امتياز ولدي عن طريقي، لكنه

بعزيمته، فهي الأهم أيضًا، قولي إنها كالذوبان في المصلحة العامة.

قالت فيروز: لو أردت التخلي عن هذا لأي سبب فماذا على عمله برأيك؟

قالت فردوس: تتنازلي لهم عن الكتر مع ضمانهم بعدم الحديث عنه مرة أحرى.

قالت فيروز: أظن أن هذا مستحيل.

قالت فردوس: تدبري أمرك يا فيروز هانم لكن لا تنسى ما قلناه.

قالت فيروز: ليكن ما ينفع لأبعد حد، غيره لا أعرف ما أقوله.

قامت فردوس ترفع الطعام عن المائدة فقامت تساعدها فيروز في أول مرة مع جلوس فردوس للعشاء جنبًا إلى جنب.

جلس صابر أفندي مع أبيه لا يعرف من أين يبدأ الحديث أحيانًا، لاحظ والده حالته عليه مع أن مرضه يزداد، كان

واضح التوتر لم يخفيه جهده في محاولات التماسك.

قال الشيخ حامد: تعال بجانبي يا صابر، أريد أن أحدثك قليلاً، مجرد محادثة.

قام صابر مسرعا مع أول كلمة في جملته ملبيًا والده.

قال الشيخ حامد: مهما كان يجول بعقلك ويشعره قلبك ويصدره وجهك وحركاتك تفاعلاً مع الضمير الذي أعلم أنه سليم، الواجب يحتم على الإنسان السوي أن يتبع تعاليم دينه وأوامر ربه وشريعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

قال صابر: (صلى الله عليه وسلم) قولك حق يا والدي.

قال الشيخ حامد: إني لم أراك بهذه الحالة منذ طفولتك مع أن مشاكلك صغيرا لم تكن صغيرة، قد ربيتك تربية صحيحة وقويمة لتتصرف بما تراه صحيح وواضح.

قال صابر: ومن قال غير هذا يا والدي لا يؤخذ كلامه.

قال الشيخ حامد: فأرسى بما عليك ما يحيرك يا بني، لعلى أفيدك فيه أو أزودك بنصح.

قال صابر: أليس ما يقع بأرض أحد عندما يملكها أو قبل أن يتملكها تكون ملكه بالتبعية؟

قال الشيخ حامد: نعم حتى يظهر لما وقع موقع، إلها إن تكن منها وفيها فإلها أمانة اختلف العلماء في زمان التصرف فيها بعد ذلك، لكني أشعر أن وراء هذا السؤال فيروز وما يتعلق بها، تحدث يا صابر إنك ولدي، الكتر بالطبع.

قاطعها الشيخ حامد وهو ينظر لولده في ما يشبه خيبة أمل في نفسه من نفسه وليس في ولده ثم استطرد.

قال الشيخ حامد: أتظن يا ولدي أن والدك جبان أو كان ولو ليوم واحد في حياته، ولا أعرف اللف والدوران لحظة يا ولد، إني أحيا بيني على قدر علمي به لأن علمه بخير لكنه التنفيذ، يحتاج فتاوي وتفاصيل كثيرة.

ارتمى صابر على يد أستاذه ووالده يقبلها، إنه يستحق لقب الفقيه الشيخ حامد المعروف حقاً، فمن قال لا أعرف فقد أفتي، لكن والده كان يكمل كلامه.

قال الشيخ حامد: اعلم يابني أن صلتي بالحاج مندور أن

كان ينفق الكثير وأكثر في مصارف الخير والإحسان والتحسن، إن قريتنا صار بها الآن أكبر مشاريع الإنتاج الحيواني لتصدر منتجاتها لكل المناطق المركزية المحيطة بأقل الأسعار وأوفر الكميات، السبب في هذا المرحوم، أغناه الله - بغض النظر عن السبب الذي أجهل فتوى مقارنته بينه وبين سابقيه - فأعان الناس من حوله وعلى يدي هاتين وغيره من الأعمال الحسنة، إنه كان يفيض به حتى أني لم أجد فرصة حتى أعارضه طول كل هذه الأعوام، صدقني يا صابر، وها هي أيام تدور دورتها وتأخذ أنت مكاني وتأخذ فيروز مكان والدها، أخشي أني كنت شيطان أخرس كل هذه السنوات يا ولدي رغم كل ما جعلت المرحوم يقوم به فوق ما كان به من خيرات، لكن هذه الأيام غير أيامنا وتعليمها في المدارس التي أخذت من كباح معلمي الغرب العدوانية المطوية - وليس العلم - تكون أثرت فيها بطريقة خفية مع تعاملاتها غير المتحفظة من هذه الناحية معهم تنتهي بكتمها النهاية لتردي سيئ أو دموي، وكذلك أنت بتعليمك المدني

وتعاملاتك الأغلب دنيوية ومعها مع من تتعامل معهم، هذا ما يقلقني عليك وعليها أيضًا قبل أي شيء آخر يا ولدي.

اندمج الشيخ وولده في المناقشة حتى استأذنت عليهما هماء تخبرهما أن فيروز تريد رؤية والدها، ألقت فيروز السلام، ابتسم الشيخ حامد مرحبا بها، جلست فيروز وهي تبتسم وقد أخبرتها أنها سمعت أطراف من آخر حديثهما وما عليهما إلا أن يكملا حتى تسمعهما، نظر صابر لوالده وهو يتلطف إليه وكأنه يريده ألا يتكلم حيث أحس به والده.

قال الشيخ حامد: ما كنت أتحدث بنية الغيبة والنميمة يا ولدي وما كنت لأكذب على نفسي حتى أكذب على غيري وما كنت أقول لك نصائحى وليست أوامر وقد أشركتها فيها.

قالت فيروز: سمعت بعض ما ذكرتني فيه رغما عني يا شيخنا.

قال صابر: لا تحزني من قول أبي وتغضبي إنه كالناصح الأمين.

قالت فيروز: أنا أعي هذا أفضل منك يا صابر.

قال الشيخ: لتعلما أني لو عرفت أن حكومة الملك ستستخدم الكتر في ما يجب إنفاقه فيه بغير فساد لنصحت المرحوم الحاج مندور بفعل ما يجب دون تردد وأظنه كان سيرضي، دخلت هناء بعصير الليمون فصمتوا جميعا.

قالت فيروز: هل لي معك في انفرادة لفترة يا صابر، بعد إذنكما.

خرجا من حجرة الشيخ وجلسا بالخارج وأعطته لفافة بيدها فأخذها منها.

قالت فيروز: هذا بعض حقق من المال الذي جاء به بخيت أفندي، حتى أرجع من فرنسا فقد يكون أكثر من ذلك، وحتى استغلهم من والدك على مشروعية هذه المعاملات لديك.

قال صابر: لا أحب أن أقحم في هذا بعد ذلك أرجوك، إنه مريض وفوق مرضه أجده يزيد بذكر هذه الأشياء.

قالت فيروز: كما تحب، لكني أردت معرفة مدى حريتك.

قال صابر: تسافري وترجعي بالسلامة إن شاء الله.

جاءت عناء تستأذن في مجالستها.

قالت هناء: أريد زيارة القصر وأتمشى في جنينته.

قالت فيروز: سأعد لك يومًا أستضيفك فيه بعد أن أعود من السفر إن شاء الله مع مأدبة فاخرة وكأنك أميرة.

قالت هناء: متى ستسافري وإلى أين؟

قالت فيروز: لفرنسا حيث خالي يعيش هناك ولن أغيب كثيرا فقط لمدة أسبوع.

قالت هناء: إن السفينة تستغرق الوقت الطويل، ثم تأسفت فجأة.

قالت فيروز: لماذا تأسفي يا هناء.

قالت هناء: ذكرت السفينة التي تسير في البحر والاستغراق الأتي من الغرق ككلمات لها ما يربطها بأحداث مؤسفة.

تبسمت فيروز ثم قامت فقبلت هناء وهي مازالت جالسة من وجنتيها واصفة إياها بالأخت العزيزة ربيبة اللغة العربية

الفصحى، وعندما أرادت فيروز أن ترجع لتجلس قامت هناء منفعلة بدورها لتحتضنها ثم تجلس إذا أجلستها فيروز.

قالت فيروز: كنت سأقضي وقتاً لأرتب نفسي الآن ولكني سأشرح لك شيئًا، الآن السفر بالطائرات أسرع وأكثر راحة لمن يستعجل سفره، أما من يرغب في رحلته عبر البحر سيسافر بالسفينة، وأنا سأسافر بالطائرة ذهاباً وإياباً، وليس في الطيران الحديث ما يخيف أيضًا، خلاص، ألن تذهب معي يا صابر فإني أريد مناقشتك فيما أخذنا الوقت عنده في المرة السابقة في جنينه القصر، هل تذكره؟

قال صابر: سآتي معك لنتذكره سوياً ونناقشه.

أوصتهما هناء بالاعتناء بنفسيهما وأخذ حذرهما فيما يفعلاه.

قال صابر: اعتقد أنك وجدتي أشياء مهمة بكتب الكنوز.

قالت فيروز: بالضبط، الكلام مع أنه باللغة العربية إلا أن به بعض الرموز والنقوش التي لا أفهمها مع أن ما فهمته كان خطيرا.

قال صابر: لقد فهمت في حديث الجنينة شيئًا خطيرًا أيضًا، إلا تأخر الوقت أوقف الحديث فلعله يكون نفس الشيء.

قالت فيروز: تذكرت، عندما قلت لقد فهمت الآن، لكني أفضل أن أتأكد منك.

قال صابر: بهذا التمثال يستطيع المغربي التحكم في الكتر عنَ بعد.

قالت فيروز: بل أخطر كثيرًا، إنه يستطيع نقله إلى أي مكان وعن بعد بأي معنى لكلمة البعد هذه تريده.

قال صابر: نعم، إنه رجل خطير، لكن علينا أن نعرف أن خطورته جاءت من إلمامه بهذه الأمور وليس لنا اختيار في نقاش قضية التخصص في هذا الشأن مع هذه الظروف الخطيرة، فعلينا الاستيعاب والتصرف الصحيح.

قالت فيروز: هذا ما أردتك أن تناقشه معي بالضبط ونبدأ فيه حالاً، قبل سفري وتستمر أنت فيه حتى عودتي لأرى ماذا فعلت وإلى أين وصلت فتلحقني بك لنكمل حتى الوصول لما

نريده، وقبل أن تعلق على كلامي، ثم نرى فالواجب علينا فعله وبأية طريقة نتصرف.

قال صابر: بما تحبي وقتها أم كما أحب إذ لم نحب شيئا واحدًا ونتفق عليه، أم بديهيًا حيث لا اختلاف.

قالت فيروز: إلا الأخيرة في هذه الحالات فليس لها قالب، إنها هلامية.

قال صابر: عندك قدر من التعريف، يذكرني بهلام حشرات الزراعة أو غيرها التي هلامها داخل هيكلها.

قالت فيروز: أرجئ دراستك في حل شفرات هذه الرموز اللغوية القديمة يا صابر وعلينا بالشيخ حامد إذن، هيا بنا.

قال صابر: ألا يوجد بالرغرب مثل هذه الكتب ومثل هذه الكنوز؟

قالت فيروز: لا أعتقد ذلك وإلا ما توجهوا إلينا، هيا بنا، إنها كنوز الشرق ولغاته وأراضيه، صدقت فردوس، وكفى كلاماً، هيا بنا يا صابر لنجري بحثنا لعلى أحصل على الدكتوراه.

ضحكا وهما يدخلان المكتب وبدءا في تناول الكتب وما بها وقد ركزا على الكتاب الذي به صورة الجني لتمثاله بالكتر ويعليا صورهما تارة أخرى في تحليل وتفكير غاية في الجدية والجهد.

قالت فيروز: ما رأيك إن أخبرت خالي هاني بما كان ينوي فعله المغربي؟

قال صابر: تمهلي حتى تعودي إلا إذا وجدتي إنه توجب عليك القول، هذا إن أردتي صدقا ألا يعلم هاني بما علينا فعله بعد كلمة – ستري – والذي لم نتعارف عليه حتى الآن، فإن عدتي وجدنا إنه يتوجب إبلاغه، أبلغيه بأية طريقة كلامية غير واضحة عبر الهاتف حذرًا وليس تخوينًا كما يقال.، فعلينا حجب ما نعلم حتى لا يستخدم معرفتنا ضدنا مثلما سنفعل ألن نفعل هذا؟ وإلا لماذا كل هذا البحث؟ فإن نقلنا الكتر بأنفسنا، ومواراته بالأفضل والأهم.

قالت فيروز: إنك تبهرني، ولكن إلى أين ومتى وماذا سنفعل بعدها؟

قال صابر: إنها كلمتك كما تظهر كل مرة، سنرى.

عادا يبحثا عن طريقة نقل الكتر ودراسة كل الاحتمالات والخطوات الصحيحة والأدوات المستخدمة وكل ما يتعلق بهذه العملية التي ما زالا يرياها صعبة عليهما، يشجع كلٌ منهما الآخر ويعضده، ثم بعد تأخر الوقت وحل عليهما التعصب على وعد بالمعاودة صباحا، وقد تطرقا لأحاديث جانبية بينما كانا في ممشى الجنينة للبوابة.

قالت فيروز: أريد أن أرى جدي قبل أن أسافر وأريدك أن تأتي معي.

قال صابر: متى ستسافرين؟

قالت فيروز: في التاريخ إلي أن يتقرر بأوراق السفر حالما يأتي به بخيت أفندي من بورسعيد كما سيبلغني خالي هاني بالميعاد.

قال صابر: هل ستزوره في السجن؟ إن استطعنا بالطبع.

قالت فيروز: ستزوره في المستشفى، قد جهز ممدوح إذن لزيارة باسمي بعد أن عمل على نقله للمستشفى، إنه خدوم

أليس كذلك؟

قال صابر: نعم، وضابط كبير في حكومة الثورة أيضًا.

وقفت فردوس أمام باب القصر وهي تنادي على فيروز وهي تشيح لها بيديها فرحة تخبرها أن خالها هاني على الهاتف يرد أن يحدثها عن السفر، جرت فيروز تجاهها وهي تقول لصابر انتظر حتى أرجع أو تعال ورائي، وقد انتظرها صابر وهو يسير هنا وهناك حتى ذهب ناحية حجرة البواب فلم يجده وقد أغلق باب حجرته وترك بوابة القصر الكبيرة بلا قفل، وعندما التفت وراءه وجده يفتح البوبة دفعا للداخل وهو يلقي السلام على صابر وينظر ناحية باب القصر الذي وجده مفتوحا.

قال البواب: ما أوفقك يا صابر أفندي؟ ولماذا باب القصر مفتوحا، هل حدث أي شيء؟

قال صابر: أين كنت يا رجل؟

قال البواب: كنت أروي الأرض قبل أن ينتهي دورنا في مياه الري وأنت سيد من يعرف يا صابر أفندي.

قال صابر: هل أخبرت فيروز هانم؟

قال البواب: أخبرت سعدية زوجتي، قد كنت أريد العودة بسرعة.

قال صابر: لو أن فيروز هانم تعلم ما تفعل دون إذنها فقد تكون محرجة هذه الأيام وأفضل أن تستأذن منها بعد ذلك فلن ترفض، إنها كانت أرضها فبل ذلك فكن مهذب معها فأنا دائمًا أحدثها إن كل الناس هنا ذوو شهامة ومروءة ولا ينكرون الجميل، وإلا سأحاسبك أنا، اتفقنا.

قال البواب: إن شاء الله يا صابر أفندي لا تغضب، لكن لم يدر ببالي أي خاطر شيء تجاه فيروز هانم لكنها بعض الظروف فقط.

قال صابر: قد حذرتك فلا تظن أنك قد تضغط بأي شيء عليها، فهناك ما قد يظهر ولا تستطيع تعلمه، فلا تكون أغبي مما أتصور وهذا آخر كلامي.

كان الرجل يشير بالإيجاب عبر تحريك رأسه حينما خرجت فيروز وهي تلوح لصابر بيدها وتهبط من على

المدرج الأمامى للقصر ومشت حتى وصلت إليه والبواب قد وقف أمام باب حجرته ليواري عنها القفل الموجود علي بابها، لكنها أشارت له بالدخول فنظر لصابر الذي تركه وخرج مع فيروز خارج البوابة.

قالت فيروز: سيبعث خالي بالأوراق مع بخيت أفندي، وبها مواعيد السفر.

قال صابر: أليس هناك من خطورة لو اتبع الأساليب غير القانونية.

قالت فيروز: إنها أوراق فردوس وهي فرنسية الأصل، لكني لا أعرف كيف استخرجها هناك، لكني سأعمل على استخراج أوراقي حسب تواريخ السفر فى أوراق فردوس، فقد حجزها لها من هناك لكنه لم يتمكن من الحجز لي لذلك أخبرني أنه آخر الميعاد بعدما يسلمني بخيت أفندي أوراق فردوس بعد أيام لإعطائى فرصة الحجز على نفس الطائرة هل تعلم أنه أخبرني أن هذه السفريات الآن نادرة حتى في فرنسا تنفسها بسبب سياسة عبد الناصر ككل، وغنها تتم عبر

وسائل دبلوماسية وحرية أيضًا.

قال صابر: إذن خالك له اتصالات قوية هناك، لكن هل نقل بخيت أفندي معيشته لبورسعيد مع ولده نهائيًا؟

قال فيروز: نعم، لكن دعك من هذا الآن، هل تعلم أني بدأت أخاف من خالي هاني هذا.

قال صابر: هذا ! لكن دعنا من هذا كما قلتي وتفسيره عندك، والآن حتى لا يتأخر الوقت، متى تريديني غدًا صباحًا؟

قالت فيروز: باكرًا قدر الاستطاعة حتى نعود بسرعة في وضح النهار، لا تنسى أن تسلم على الشيخ حامد وهناء إذا أخبرتهم بالزيارة فهمى لمريض فقط بالمستفى، إذا سمحت.

مشى قليلاً فنادته فيروز فتوقف متسائلاً عن السبب بينه وبينه.

قالت فيروز: قد نجد ممدوح في استقبالنا دون اتصال أو سابق ميعاد، إنما قد يأتي أثناء الزيارة وهذا لعلمك فقط، تصبح على خير.

أو ما صابر إيجابًا ثم انصرف ورجعت فيروز تمشي على مهل تستنشق الهواء القليل ليساعدها على الانتعاش ويدها وراء ظهرها رافعة رأسها للسماء تنظر للنجوم والهلال وتنظر تحت قدمها وهي تسير تارة أخرى لقرب طريقها.

عند جدها جلس كلٌ من فيروز وصابر قد جاورا سريره عن قرب حتى يسمعا همس المريض فقد يفهما منه شيئا مع مرض الذهان الذي لا يذكر معه شيئًا، ذكر الطبيب لفيروز عدة أمراض متشابكة ومتعارضة الأدوية تلم به وتقهره، دخل ممدوح ومعه باقة من الورد قدمها لفيروز وهو ينظر ناحية المريض كأنه يعلم مسبقًا عدم وعيه له ولو قدم هذه الباقة وسأل عن حالة وجلس وهو يسلم.

قال ممدوح: تفضلي، كيف حاله، إني أوصي عليه بما يجب عن طريقي أو بدوني مع بعض التحرج إلا أنه كما تريه، فالجميع هنا يفعل الواجب عليه فعله.

قالت فيروز: أبدًا، شكرًا على الورد، قد سألته عندما أتيت عن أي شيء ينقصه لكني لم أفهم منه شيئاً على

الإطلاق.

قال صابر: إن أمثالك قلائل يا حضرة الضابط ممدوح، وأشكرك أن أمرت الحارس الخارجي بإدخالي مع فيروز هانم.

قال ممدوح: لا شكر على واجب يا صابر أفندي، ولو أني أعرف أنك ستأتي مع فيروز ما جعلتكما تتعرضا لهذا الموقف، وما احتاجت فيروز أن تهاتفني حتى تدع الحارس يدخلك معها، ثم إني الذي وقعت على هذا الإذن من قبل وقد وضعت اسمك بجانب اسم فيروز حال دخولي الآن ووقعت بجانبه ثانية، إنه مجرد روتين.

قالت فيروز: هل استأذنكم، أريد مكالمة خالي هاني وسأعود بعدها.

قال ممدوح: هل هناك شيء يستدعي.

قالت فيروز: لا، إني أريد استفسار بسيط عن موعد وجوب سفري حيث إنه وعدني أنه سيسهل لي أنا وفردوس مربيتي زيارة فرنسا من خلال معارفه هناك وعن طريق بعض الجمعيات المتخصصة بتسهيل هذه الأمور بعيدًا عن الأمور

السياسية طبعًا حتى لا تقلق، ولكنى في انتظار الأوراق خاصتها، نسيت أن أسئلة عن الطريقة الأسهل في استخراج أوراقي مع قدوم أوراقها حتى نسافر بسرعة فهي في اشتياق لرؤية ولدها، لمعلوماتك فخالي على صلة بالأمم المتحدة أيضًا وبالأخص الشئون الإنسانية وجمعياتها كما ذكرت لك.

قال ممدوح: إنه رجل الأعمال المزدوج الجنسية الشهير هاني سميح.

قالت فيروز: آه، ووالده جدك هذا، هيا قلها يا ممدوح.

قال ممدوح: نعم صحيح يا فيروز، كيف لم أعرف؟

قالت فيروز: قد عرفت، إلا أنه لا ينفي أهميتك بالنسبة لي أيضًا، إذن سأكلمه حتى أعرف تاريخ سفرنا من هنا حتى أستغل وجودي هنا فأحجز لنفسي معها.

قال ممدوح: إن هذا الرجل وأقصد خالك طبعًا كان يستطيع فعل هذا أيضًا، وبالرغم من بعض المشاكل السياسية من خلافات غير ظاهرة تركه خلفه الاحتلال وحلفائة ومنهم فرنسا، ما أريد قوله لك إنه قد يكون على علم بما يلوح في

الأفق من بعض مشاكل بيننا وبينهم لا داعي للخوض في ولا يجوز، لكنه لذلك من الظاهر أنه يريد مربيتك وحدها دونك لكنه لم يشاء إحراجك على العموم.

قالت فيروز: ماذا؟ هل تستطيع العمل على سفري معها يا ممدوح.

قال ممدوح: بالطبع إن أمكنني ذلك، لكن هل هناك ما فيه نوع من خوف، أكاد أشعر بهذا، صارحيني.

قالت فيروز: لا أبدًا، إني أخشى إن لم أستطع السفر معها ألا تعود معي بعد أن ترى ولدها، إني لا أستطيع الاستغناء عنها يا ممدوح.

قال ممدوح: سأرى ما يمكنني فعله.

قالت فيروز: أرجوك.

كان صابر يسمع ويفكر فقط ويلجأ ما لا يستطيع مداركته حتى يسأل عنه فيروز فيما بعد يتعلق بما يشغل تفكيره طبعا، وهو ما أقحمته فيه فيروز، إنه الكتر ومشاكله، إلا أن هذا الرجل المسن المريض أثار إشفاقه أيضًا، فأراد أن

يستفسر عنه.

قال صابر: هل لي استفسار لو سمحت لي يا حضرة الضابط.

قال ممدوح: تفضل يا صابر أفندي.

قال صابر: لماذا لم يتم الحكم على سميح باشا سابقا طبعا حتى الآن؟ إنه في حالة يرثى لها للغاية، نظر إلى فيروز قبل أن يقوم ليهمس في إذن ممدوح.

قال صابر: إنه لو أعدم لكان أرحم من هذه الحالة، كيف كان تواجده بالسجن بهذه الطريقة

وجلس صابر مرة أخرى قبل أن يكمل كلامه.

قال صابر: أظنه قد تحسن ولو قليلاً في المستشفى.

قال ممدوح: بالطبع تحسن قليلاً رغم ما يمر به.

وضعت فيروز يديها فوق رأسها ثم على وجنتيها في تعبيرات حركية حال استفسار صابر عن جدها قانونيًا من ممدوح في مرضه هذا، وكأنها كانت في تحول لا إرادي عن

ملاحظة هذه النقطة داخل محيط الحالة، كأن اعتمادها كله على الواسطة في حل أية مشكلة ولو تدريجيًا كما تعودت على هذا طويلاً، وجاء وضعها على فمها - تعبيرًا ثالثًا - يديها واحدة على الأخرى متزامنا مع همس صابر في أذن ممدوح حتى أنهى هذا الاستفسار فوضعت يديها أخيرًا على ركبتيها ثم قامت وهي تحفز صابر على الرحيل وتشكر ممدوح ثم قبلت وجنة جدها وأوصت عليه ممدوح.

opelkandl.com

الفصل السادس

في ضحى اليوم جاء صابر ممتلئ حماسة ورغبة في استكمال بحثهما ليتحكما في أنفسهما وقت التنفيذ وفيما سيفعلانه وقتها حتى يستطيعا التميز في حكمة بين متشابهات اختلطت عليهما فهمها كما هو مكتوب حتى الآن، لذلك مطلوب زيادة في التركيز وما راجع طوال الليا هذه المراجع والقواميس اللغوية القديمة لدى والده والتي تخصه إلا لهذا الغرض، كان قد فكر في حال فيروز مع ممدوح عندما اقترب من القصر فانتابته بعض الخواطر الجنسية النوع، مع تحيزه لرجولته في مواقفه هو مع فيروز، إنه يخشي كما يشعر أن يترك نفسه للانجراف في حبها فهذا الشعور الذي يضعه في هذه المقارنة هذه اللحظة مما جعلته يهتاج قليلاً مع ضبط النفس، إنه يشعر بتحول، يكاد يحسه، هل هذا نتاج هذا العمل الخفي أم هي الغيرة، أيقن أن عليه التناسي إن لم ينس حتى ينجز ما وعد فيروز به ثم يطبق كلمتها - سنرى - التي ترددها عندما تكون فيما يماثل هذه المقارنات فيما يعملاه أو يقولاه، كان

قد وصل غلى باب القصر.

فتحت له فردوس فقد تعودت على وجوده هذه اليام واعتادت التعامل معه مباشرة بدرجة ما، طلبت منه الجلوس حتى توقظ فيروز إلا أنه استوقفها وأبدى لها رغبته في ذلك بنفسه، صعد أعلا وفي الممر الذي تتجاور الغرف على جانبيه وقف ينظر إلى جانبيه في حيرة، ترى أيهم غرفة فيروز حتى يتوجه إليها رافعًا ما بينه وبين فيروز في غطرسة على الحياء الذي ترعرع فيه، كان ضروريًا أن يحدث من وجهة نظره في ظلام تذكره لممدوح - سيرًا وراء ما يشعر به منذ الزيارة التي جاء خلالها وتبين له مقدار النفوذ الذي معه في كل الوطن وما يستطيع أن ينفع به فيروز بالإضافة إلى ما لديها حتى تضيفه (من وجهة نظره أيضًا) - إلى خالها وما يتمتع به من مثل ذلك في فرنسا ولو بوجه آخر، لأنه بلا رأي طالما يسير في الاتجاه الذي توجهه إليه فيروز باستغلالها لأخلاقه وشهامته وحياته بالأخص، إنه إذ يشفق عليها فإنه يشفق على نفسه منها بالتوازي، ظن أنه ينادي فردوس حين فكر أن

يفعلها حين شعر بالتراجع عن كل هذا في لحظة واحدة فعندما فطن لهذا أصر في كر آخر، إنما سيكون صوته مرتفع فتصحو فيروز ثم تخرج من أية غرفة، إنه يتراجع لو فعلها، أهذه حماقة؟، وهما يساير إملاءات أهوائه دون تردد أو تفكير، رجع حتى استند على مسند الدرج وهو ينادي على فردوس، أتته تسرع خطاها وهى متسائلة.

قالت فردوس: ماذا حدث يا صابر أفندي؟

قال صابر: أين غرفة فيروز؟

قالها صابر وهو يشير إليها بالتوقف، وقفت فردوس وهي تضع يديها بجنبيها وتميل رأسها إلى جانب من جانبيها قبل أن تعتدل مرة أخرى معلقة.

قالت فردوس: أوه، ظننت أن مكروها قد حدث عندك، إنها الغرفة الثالثة إلى اليمين، هل أوقظها أنا؟

قال صابر: لا، لا، سأذهب أنا كما أخبرتك.

رجعت فيروز متبرمة وذهب صابر يطرق الغرفة حتى سمع فيروز.

قالت فيروز: نعم يا فردوس، لقد صحوت.

قال صابر: إنه أنا صابر يا فيروز.

قالت فيروز: صابر ! ماذا حدث يا صابر؟

قال صابر: لا شيء، هل أدخل؟

قالت فيروز: تفضل يا صابر.

قال صابر: أخشى أن يكون هناك حرجًا.

دخل صابر وهي تقول له لا، تفضل فإني صحوت، جلس بجانبها على السرير وقبل وجنتها وهي جالسة فتحولت ابتسامتها للعبوس، تراجع صابر واقفاً عندما رآها، عم الوجوم لدقيقة حتى أشارت له فيروز بالجلوس بجانبها مرة أخرى فلما جلس أشارت له بإصبعها إلى جبينها، لكنه لم يفهم كأن تفكيره شل، قبلت فيروز جبينه ثم أشارت لجبينها مرة أخرى في صمت، قبل صابر وجنتها وهو يعتذر.

قالت فيروز: أكاد أشعر بك يا صابر، عليك التأكد أن أحدًا لم يدخل هذه الغرفة من الرجال سوى أبي، وظروفي

غير ما قبل موته الآن.

وإذا كان هذا الرجل هو الذي أوصاك دون غيرك للاستعانة بك على رعايتها وحمايتها بعد رحيله فهذه هي العلاقة بينك وبينه وبيني ولهذه اللحظة وليس عليك استغلال أو إثبات أي شيء آخر حتى أشير إليك أنا، أنا بنفسي، فأنت تعلم أننا قد نفعل ما لا نفعله عادة فى بعض الأحوال، إنها أرادت أن تمسك بالعصا من المنتصف، وبالنسبة لأوامرها فهو ما عصيها بعد، بدا صابر فى منتهى الوقار وهو يصفها بالياسمينة ذكية الرائحة في البكور.

قالت فيروز: يكفي هذا اليوم أرجوك يا صابر، قد لا أتحمل أكثر أو يصدر عني رد فعل ما كنت أريده يحدث.

قال صابر: ما نوع هذا الرد؟

لاحظت فيروز بعض التساؤل في عينيه، الأغلب أنه يخصه فقط كاستفسار لبحث خالى من الشفافية لعلها تختبر مدى قربه منها، أو تريد التراجع، ليس هذا ولا ذاك من أخلاقه، فهل تتبدل يا ترى؟!.

طال صمتها وهي تحدث نفسها بلا مرفأ، عليها إنجاز ما يجب إنجازه أولاً، غير أنها تقلق على فردوس إن سافرت وحدها، فطريقة فعل خالها هاني وطريقة كلام ممدوح لا تعدو للراحة، هل يريد بها سوءا، كانت تريد إخبار صابر اليوم، إنها تجد عنده الحلول في أحيان كثيرة لكنها تبحث له عن حل اليوم، بل اللحظة.

قالت فيروز: لا تستهين بقدرك عندي يا صابر فلا تجعلني أستهين به.

قال صابر: لم أهنك لتستهين بي وأنا أظن أني أعرفك، إلا إذا كان هناك ما لا تريدني أن أشعر به حتى لا أتطاول عليه في رأيك، أو تحفظا.

قالت فيروز: إن خضت في تفاصيل فقد أجرح شعورك.

قال صابر: لا داعي، هيا لنكمل بحثنا وأيضًا لنرى كما تقولين، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه وهذا ما أخشاه.

دخلا المكتب تمتثل لإرادتها بالرغبة في تحاشي ما يعكر صفو بالهما ليستمرا في بحثهما بالتجرد المطلوب لسرعة

انقضاء العمل، لكنها فردوس واقفة بجوار المائدة وهى تنظر لها وفيروز تمشي أمام صابر فيما يشبه اختلاط بين الغضب والدلال، أما صابر فكان يمشي مطأطئ الرأس ما أعمل فكرها في هذا المشهد، ماذا يرى كلٌ منهما الآخر وكيف يعتبرها كأنها ابنته العاقة أو حبيبته الغاضبة أو تراه خطأ ما فيما يفعلاه، وهو كأنه أخطأ أو تحرج أو خائف مثلاً، تركتهما وبعد قليل دخلت ببعض الشاي مع الكيك والكعك كبديل عن الإفطار فكانا في شغل لها كلامياً للذي أحضرته قبل أن تخرج وهي تغلق الباب ورءها، إنهما بدئا في التنافس لتوهما، يعرضا ما يقرءانه وآرائهما على بعضهما ويدونا ما يرياه مهما في عملهما المنشود الإنجاز ، إنها مخاطرات في مجملها يرتبط بعضها ببعضها وها ترتيبهما للخطوات يكاد يلمسانها لمساً، يعيشان فيها افتراضيا قبل تنفيذها على أرض الواقع ولا مجال لأية مؤثرات خارجية في هذه التقطة بالتحديد إلا ما تقتضيه استحكامات الأمان، فقد يصل الخطر وبلا تقاتل إن حدث غلى خطر الموت ملثما كان سيحدث مع

صابر لو أغلق الكتر بابه عليه وهو داخله بعد نفاذ البخور المستخدم، أمثال هذا الخطأ خلل قاتل ولا يتحمله أي إنسان إلا أذا كان معه طعام وماء وإضاءة تكفيه لمده طويلة حتى يتم إنقاذه لو ما نفذ الأكسجين، وقد طرحا عدة فروض أخرى واستنتاجات قد تحث بكذا أو قد يتجنباها لو كذا، فكان لكا طارئ حساباته بقدر الممكن والمستطاع إذا هما يتدارسان ذلك.

قال صابر: كيف سنتغلب على الإضاءة بغير شعلة؟

قالت فيروز: لن نستخدم كل العشب في أول الأمر، هذا مبدئياً ومهما حصلنا عليه من كمية، سيكون معك مولد صغير للكهرباء سأجلبه وسأتمكن أنا بعد أن أنجح في فتح الباب مع مواصلة التلاوة ولو لفظيا فقط، إن بعض هذه الكلمات قد لا نفهم ما تعنيه ولو بعد ألف سنة، لكني سأكون في غاية التركيز وأفضل من المغربي الذي كا يتصيب عرقا حينها فطالما نجحت فى فتح الباب بدرجة تركيز فتلقائياً سأنجح في باقي الخطوات مع زيادة تركيزي حيث ستكون

أنت بالداخل أيها البطل.

قال صابر: نعم، نعم، أكملي يا فيروز فإني أشعر بالتفاؤل.

قالت فيروز: لا غرو، بعض الشعور لن يحدث شوائب علي الشفافية أن تجد لها المكان هنا من السطح للقاع، وعلينا التركيز أفضل بين سطح الكتر وكأنه على سطح الأرض في عز الظهر يكتمل لمعان ذهبه.

قال صابر: شاطر ومشطور وما بينهما طازج، تفضلي الشاي والكيك حتى لا يبرد الشاي فإني أحبه دافيء وإن كان قارب للبرودة.

وجهت فيروز ناحية المكتب ثم فتحت درجة وأخرجت سلاح ناري صغير، إنه مسدس، أحضره بخيت أفندي في نفس الحقيبة التي أحضر فيها النقود، أبلغت صابر بهذه الرواية وعندها سألها إن كان هذا السلاح ملك المرحوم والدها، وسألته بدورها إن كان يستطيع استخدامه بدقة حينما وضعته مكانه وجلست تشرب الشاي مجددًا.

قال صابر: نعم، لكن البندقية بالنسبة لي أفضل حيث

استخدمها أكثر في رحلات الصيد التي كنت أخرج فيها مع البدو المحيطين بالمنطقة وراء الأراضى الزراعية ممن كان يستعملهم الإقطاع لحمايته منهم بدفع رواتب مناسبة لهم، أو من بعضهم البعض عبر تاريخه ولقمع أي تمرد داخلى فى بعض الوقات، تعرف بعضهم على والدى حينما كانوا يلجئون إليه فى بعض الأشياء أحيانا، بل تفوقت على بعضهم بالممارسة وهم من الرماة الأكفاء للغاية.

قالت فيروز: نحن، نحن، إني لا أنسى وأيضًا أتصيد الفرص، ها تعرف ما هذه القطعة التي توصل بفوهته وتفك؟ تري ما استخدامها بالسلاح؟

سألته وهي تقوم مرة ثانية وتحضر له المسدس وهذه القطعة وهي تديرها بين أصابعها في اتجاه واحد ثم أعطتها له.

قال صابر: لا اعرف على وجه التحديد وإن كنت أظن انها لتطيل مدى المقذوف ليؤثر مع بعد المسافة.

قالت فيروز ك احتمال، لكني سمعت بعض القصص المخابرتية عن تطور مثل هذه الأسلحة حتى لا تحدث أصواتا

عالية عن استخدامها في الحالات السرية، وعندما بحثت في المكتبات على شيء مكتوب عن هذه الأشياء صادفت الاسم فوجدت أن الترجمة الأقرب له بالعربية كاتم للصوت كما كان فى صفحات الكتاب عدة مرات بنفس المعنى ولنفس الغرض.

قال صابر: من المؤسف عدم وجود كنوز كهذه في الغرب حتى تستطيعي جلب بعض الكتب العربية عنها لعلها كانت لتفيدنا مع سهولتها بالنسبة لك لمعرفة أكثر من اللغة العربية، هيا لنكمل.

سكت صابر هنيهة قبل أن يرتفع نظره عن الكتاب مرة ثانية ويقول لفيروز إنه يملك زمام الأمور ويحثها على العمل اليوم، ضحكت فيروز وهي تكتم هذه الضحكة في تعمد وهي تخرج حروف جملة من كلمتين (وزمام الأرض) ثم تكلمت بشكل عادي ورزين من جديد.

قالت فيروز: لعلك تهرب من قناعتك برفضي لقبلة الصباح على خدي، ولتعلم أنها لو كانت على شفتي ما

أبديت اعتراضا إلا بعد أن أرى مدي صدقها مع أني كنت سأخبرك برفضي لها الآن أيضًا.

قال صابر: الصراحة أنا لم أفهم.

قالت فيروز: قبلة الوجنة الشرقية ومنك بالأخص تثير الحيرة، لذلك طلبت منك أن تقبلني بجبهتي، أظنك فهمت، ألا نكمل حتى نملك الزمام بهذه المبادرات، أحست فيروز برجولة صابر وحنانه وغيرته وتخيلت لو قبلها في ثغرها بالفعل ما كانت ستشعر به حينها، ليتها فعلتها نيابة عنه، وهل كانت ستقبل هذه القبلة وإلي أي مدى واتجاه كان سيكون رد فعلها، هل كانت ستضع اعتبارات للبيئة المحيطة؟، أو اعتبار لهذه العاطفة التي تراها نوعية الدافع وعزيزة الجذب مع مثل صابر بالتحديد لكن بدون خبث للتراهة أو تستر كغيره أن أراد فعل ذلك مع أني أنثي؟ فقد شاهدت مثل هذه الأشياء كثيرا في ذهابها للرقص خلسة مع صويحبات متنكرات عدة مرات، إنه بأي حال لن يرضي أن يكون تابعاً لهذه الدرجة العمياء، إنه ليس ذليلاً لها ولعل هذا مما أراد أن يثبته

ولو لنفسه، الزمان والظروف تتغير إنها تخشى عصيانه وتأبى تشجيعه وستحاول ألا تبطل بطلها الرئيسي، ليس عليها الاعتماد على عواطفها فقط تجاهه حتى لا تكون هناك بعض الرواسب القديمة غير طافية تؤثر على صفاء علاقتها، إنه صادق وطيب وناصح مخلص، وليس من عيب إذا أراد التراجع في بعض الأحيان لأنه كان يريدها أن تتراجع معه، نعم كان هذا واضحا منه، إنها لمست أخلاقه دون وصية والدها، غير أنه يسهل طيه عندما تدخل له من جهة الشهامة والوصية لذلك لن تكذب عليه أو تخونه، أو ستصارحه بما قد يقرأ لها إذا لم يكن بهذه الرؤية، غنه إنسان قد يكون حالما نوعا ما غلا أنه مثابر ومتعقل، وبما إنها تعتمد عليه فإن أثنته أو دفعته فبحذر وأناة، إنه مشهود له هنا، إى إذا أرادت الرحيل، فليس عليها أن تحب هذا الحب المقروء الآن، فلها الحق فى الاختيار والفعل والتعبير في حرية، لو كان عليها أخذ ما تريد فليس بالضرورة أن تعطي ما لا يريد (كانت فى حالة التخبط التحليلي)، أحست فيروز أنها بعدت إلى ما يقتضيه

كبرياؤها، أرادت ضرب رأسها بيدها إلا أن صابر استوقفها عندما لمحها وظل ذراعها الذي طاف فوق صفحة الكتاب حينما كان يقرأه، قام واقفا وهي مازالت على هيئتها المستوقفة فأمسكها بهدوء من مرفقها وهو يترل يدها لأسفل ثم قبلها عندما أراد الكلام وقبل أن تعلق على تقبيله يدها بقول أو فعل إلا أن عينيها كانتا على مقربة من الجحوظ وهي ترمقه عن طريق عينيه.

قال صابر: أنا في غاية الأسف لو تسببت لك في أي ضيق يافيروز هانم.

قالت فيروز: أنا لست غبية ولا ضعيفة ولا متصلتة، فيكفي هذا الكلام.

قالت فيروز ووسط جملتها انتزعت يدها من يده.

قال صابر: اسمعي يا فيروز هانم، عندي وقفة معك أراها لازمة لتعتبري محنتك التى أشعر بها كأني أمتحنتها أو سببتها مع أني .....

سكت صابر برهة قبل أن يكمل كلامه ناظرا إليها وهي

تنظر إليه باستغراب من نبرته وحدة تلويحات يديه.

قال صابر: علينا العمل، العمل فقط حتى ننهي المهمة التي أرغمتني عليها كما وجدتي نفسك مضطرة إليها، أليس كذلك، ها أنا أردد كلامك مرة أخرى لكني مصمم علي خوض هذه التجربة المريرة للنهاية، إني آسف، هل ستضيع الوقت في الأسف؟، إني أخشى أن يصير أسفي لآخر العمر إن حدث خطأ في هذه المخاطرة، أخبرتك سابقًا إنك حرة فيما يخصك في أي وقت، وأنا حر أيضًا، لكني إن استخدمت حريتي سأهجر هذه المهمة وصاحبتها.

قالت فيروز: الصراحة أني لا استطيع تحديد شعوري النوعي تجاهك.

قال صابر: أنهينا المناقشة والوران في هذا الموضوع، قلت آسف.

قالت فيروز: قبلت أسفك مؤقتًا وبعدها نرى.

قال صابر: وعلينا إلغاء هذه الكلمة حتى ننقل الكتر، اتفقنا.

قالت فيروز: اتفقنا.

قال صابر: إنى أخشى أن يأتي المغربي فيتحتم علينا التصادم معه وإننا في غنى عن هذا إن أنجزنا مهمتنا بسرعة، إني لا أريد مواجهات غير محسوبة العواقب.

قالت فيروز: بافتراض أن هذا حدث بالفعل.

قال صابر: إما أن نتركه أو ننفذ ما يطلبه مثل إعطائه التمثال أو نتصادم معه، وعندها تتسع دائرة الصراع إلى متاهات وقد نضيع جميعاً بلا طائل.

قالت فيروز: لن يحول بيننا وبين ما نبتغيه حائل.

قال صابر: أرجو ذلك، لو أثرت الحوادث لأثرت عليك وأراك مثلي، لكن متى ستسافرين. ألم تحددي بعد؟

قالت فيروز: انتويت أن أفعل ذلك ثم عدلت عن رأيي، لكني سأقول للآن إني أخاف على فردوس من خالي هاني.

قال صابر: آه، قد اختلطت الأمور فى تعليلك عليك، إنها مربيتك على أية حال.

قال صابر: أرجو ألا تكف عن الدعاء لها ولي.

قال صابر: سأدعو لنا جميعا فقد يستجيب الله دعائي.

شعر صابر إنه يحتاج من يدعو له بدوره، يحتاج من يؤازره حتى لا يتعرض لأية غائلة قد تأتي من حيث لا يدري، ففيروز بدأت تتوتر كأنها تتصادم مع مصالحها، إنها وبلا أدنى شك مغرورة لكنها تحتاجه، عليه معالجة هذا الأمر بقلبه أولاً قبل معالجته معها، فهي تفعل نفس الشيء في طيات نفسها العنيدة بطريقة تحاول إخفاءها عنه من جهة وإظهارها من جهة أخرى إن كانت تتحكم في نفسها وإلا فقد تكن له غير ما تظهره وقد أحسه دون علمها قرر صابر إنه لم يتيقن أن فيروز لا تعمل قلبها عاطفياً الآن تجاه أي رجل ولو خالها، فعليه إقناع نفسه بذلك لتحاشي المصادمة معها مع عدم التخلي عنها حسب مفاهيمه مرادها كما أرادت أن تثبت له بعدة انفعالات كصد لها إن أرادت وضعه في مثل هذا الموقف مجدداً لكرهه الشديد أن يكون في مثلها من المواقف، سينفذ إذن ما قاله لها عمليًا وحتى إن حاولت هي غيره.

قال صابر: حتى ترتاح أعصابك قليلاً سأخرج لفترة وسأعود سريعا.

قالت فيروز: إننا لا نلعب يا صابر؟

قال صابر: صحيح، سأتدبر أمر عدة عمال لري أرضك يا فيروز هانم قبل ذهاب دورنا في مياه الري لو سمحتى لى، لم ننقل هذا الكتر بعد حتى نهمل الزراعة هذا إن تركتي الأرض لتبور أمام الناس لأن عندك من الذهب الكثير، أتسمحي لي.

تركها صابر وخرج بعد أن استأذنها أن يأخذ السيارة حتى لا يتأخر فى جمع من سيراه مستعداً لذلك – وليس لديه ما يفعله الآن – من الزراعيين، تمكن من إحضار خمسة رجال ممن يستطيعون ذلك بحرفية وأمانة ومن عرف عنه من اتقانة، ومعهم فؤوسهم في صندوق السيارة وعندما مر على القصر وهو راجع توقف ودخل إلى فيروز فوجدها مستلقاه على الأريكة ناظرة للسقف ولم تنظر إليه عندما طرق باب المكتب ودخل.

قال صابر: هل أنتي على هذا النحو منذ أن تركتك يا

فيروز.

قالت فيروز: أتفكر فى مناطق اتساع متفاوتة وعقد ونقاط التقاء ومع ذلك فهى قديمة جداً لما بها من اهترءات غير معروفة السبب إلا بفعل قوي غير محددة، رغم قوة هذه الشبكة الإلهية للإنسانية!!.

قال صابر: هذا أفضل ما يجذبني لك، نعم، رغم قوة هذه الشبكة الإلهية، فهناك المتسع للكبير والضيق للصغير ولا فوت إلا بالتقوى كما فى الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ صدق الله العظيم

obeikandl.com

الفصل السابع

عاد صابر وفيروز من عند بخيت أفندي وهى فى حالة سيئة، حاول صابر تسليتها وإلهائها لكنه فشل في كل محاولاته، كان عليه إيجاد مخرج بها من هذه الحالة السيئة، كانت تجلس بجواره بالسيارة وهي ممسكة بأوراق فردوس من جواز سفر ختم عدة أختام متناقضة، ولعل لهذا التناقض صدق في سريرتها يؤيد، ما تحركت حركة ولا حولت نظرها عن الطريق أمامها، الأثر صابر لحالتها لدرجة جعلته يستطيل الوقت ويستثقله من القرية إلى القصر، يتساءل عن إحساس فيروز الوجداني، لأهمه أمرها كأنما همه أدنى من ذلك قبل، إنه يهتم بها فعلاً وقولاً، نعم إنه الهم، ألا أي إلهام حتى يستخدمه من أجل فيروز الآن؟، بحركة أو بكلمة أو همسة أيما كان، وقد جاءه الفرج بعد أن زفر ضيقًا وبشدة تنم عن غيظ من ضعفه، توجهت له فيروز برأسها ببطء وسألته عن سبب هذه الزفرة وما ورائها.

قال صابر: أقلبك أنا أم أنا عقلك؟ أو رئتك؟!. لم تجبه فيروز وزفرت مرة أخرى معاود كلامه.

قال صابر: وأكث من هذه الأشياء وإن ضممتيهن معها وأعمق حتى أني لا أتبين السبب الخفي وآمل أن أعرفه، فقط أعرفه، أريد مولدًا كالذي نريده في الكتر حتى أغوص بأعماق نفسي ولأرى ما في ظلامها أو حتى ليلة بها.

قالت فيروز: بمناسبة الليل، كانت ليلة السمر عند الأرض جميلة للغاية.

شكرها لأنه لم يكن سبباً في إفسادها عليها، ألمحت فيروز إلى قصدها الواضح، إنها كانت تتحدث عن الليلة.

قال صابر: كنت جزء من هذه الليلة وفي جزئها الواضح على أقل تقدير.

نظرت إليه فيروز من جديد وهي متفائلة فلمح انفعالها و لم يعرف السبب، فسألها عن سبب هذه الابتسامة الرقيقة، إن التعبير عجيب عن صاحبته التي تختبئ وراء انفعالاتها، صاحبته التي صارت متقلبة المزاج كثيرًا، أعجبت بمنطقه المعبر عما

بداخله من ذوق في الحديث عن تلك الليلة ليرضيها في رأيه، وعن حديثه الذي يحاول فيه تحسس انفعالاتها برفق، لكن له سره كغيره وباعترافه، ولم تشأ أن تسأله عن شيء بسريرته وهو لا يصل إليه، وغير رفضها السابق لمثل هذه التعبيرات الحركية فقد رفضتها بغير هذا الإحساس الوقتي.

قالت فيروز: أعجبني كلامك، إنه يروق لي بالفعل.

قال صابر: نعم، قد فكرت بدوري عن تغير انفعالاتك وتعبيراتك أثناء كلامي، عن نية صادقة تجاه من تتلقاه.

أحس صابر احتمال كثرة الكلام في هذا الطريق الذي يعتبر قصيراً بالسيارة، إن يسير وإن لم يكن بسرعة فليس سير كذلك بطئ، غير ما يختلج بنفسها وهذا ما يخافه، هو نفس من العظيم، لكن في رأيك ما سبب هذه الخروقات في تلك الشبكة مع أني أعلم أن أية قوة لن تغلب قوة الله إلا بإذنه، بل كل قوة مستمدة منه.

قالت فيروز: لا أعلم فأنت أدرى مني بهذه الأمور الدينية الصميمة، ثم ليس كل كلامي إعمالاً لفكري، لأنها من

ثقافات وقراءات عديدة أستعين بها الآن وأجد لها فائدتها في تحليلاتي، أليس العلم نور؟

قال صابر: نعم، من ترك العلم أو الأدب فقد فاته الكثير كما تقول الحكمة.

قالت فيروز: نعم، هيا بنا.

خرجا وتوجها للسيارة حيث ينتظر العمال فى حالة قلق من تأخر صابر أفندي، عندما تركته يقود السيارة عندما أراد أن يعطيها المفتاح فأبت عليه، فعندما قاد بسرعة وجدته يبتسم فابتسمت معه قبل أن تسأله عن سر ابتسامته.

قال صابر: تذكرت أغنية ليلى مراد وأنور وجدي (سوق على مهلك) ، لكني متعجل حتى تروي أرضك بسرعة قبل هبوط مستوي الماء.

قالت فيروز: أقدر تعبك معي يا صابر، إلا في قلبي شيء من جهة هذه الأرض والقصر وبشركة والدك لى فيها، لأنى أزرعها وأسكن القصر منذ زمان طويل.

قال صابر: لم يكن في قلبي شيء من هذا القبيل مثلك تمام

إلا بعد اعتمادك علي في عمل هذا الكتر وما يتعلق به من توابع فخامة وأن أتركك فتسايريني لهذا السبب، والله أعلم يا فيروز فإنك حرة.

قالت فيروز: للزمان والمكان شبكة من نوع خاص لها مناطق ضيقة متباينة.

عند آخر كلمة من حديثها كان قد تمكن من إدارة الديزل وبدأت الساقية تدور خارج الحجرة الموجود بها الماكينة وخرج الدخان العادم من المدخنة المثقوب لاسطوانتها في السقف، كان العمال داخل الأرض يجهزون قنوات الري بصد الماء أمام كل حوض علي حده بإزالة الساتر الترابي لحافة القناة بالطول من اتجاه كل حوض ووضع هذا التراب بعرض القناة كمصد للماء حتى إذا تم غمره بالماء أزالوا السد وارجعوه مكانه حتى تدخل الماء للذي يليه مباشرة وهكذا.

قالت فيروز: انطباعاتك عن الحياة تضفي على انطباعاتها عندما أراك تلاحظ شيئاً ما، إني لأول مرة ألحظ هذه العملية التي يقوم بها العمال حتى أني لأستطيع القيام بها الآن، لكنه

بعض التعود العضلي، إني رأيت فلاحات يكررون هذه الأعمال لكني لم ألحظ الطريقة مثل هذه المرة، وقس على ذلك أشياء أخرى تحدث لى معك أجدها فى منتهى الجدية والروعة، أشعر بها تتراكم بإدراكي.

قال صابر: هذه من طباعك الأصلية وتطبعك المستجد، إنها فروق فردية.

خرج من الأرض أحد العمال متوجها إليها بعد عدة ساعات وطلب من صابر إحضار بعض الطعام أو الذهاب به لإحضاره كما أبلغه زملاؤه، فقد شعروا بالجوع والماء يزيد من الجوع على أية حال بطول البقاء فيه، كان الوقت عند الغروب وصابر وفيروز يتكلمان وهما يمشيان الخوزلي عندها أتاهما الرجل، أشار إليه صابر بالرجوع وسوف يجهز لهم الطعام والماء والشاي.

قال صابر: بقاء الإنسان في الماء لفترة طويلة يشعره بالجوع أكثر من الطبيعي، لعلك جربتي هذا من قبل، فإنهم يتحركون لمتابعة القطع التي رويت وهم يمشون في الطين

وهذا يزيد من مجهودهم مما يشعرهم بالجوع أكثر، غير أن الماء بدأ في انخفاضة بالفعل مما قد يقلل من كمية الماء الذي ترفعه الساقية وتدفعه للأرض، على أية حال سأعود حتى أسهر معهم فلا يشعروا بالملل أو زوال المتابعة، هذا إن فعلوا، هل ستأتين معي؟

قالت فيروز: نعم، سنجلب الطعام من عندي ونرجع بسرعة فعندي أقرب من القرية حتى يستطيعوا أن يتناولوه في ضوء الغروب.

قال صابر: سأنزل عند القصر إذن طالما هذه رغبتك لكني سأكمل حتى أجلب برادًا من المعدن يستطيعون وضعه على نار الحطب فليس عندك مثله على ما أعتقد.

قالت فيروز: عند زوج سعدية مثله، أراه يصنع الشاي فيه على نار الحطب في طبق معدني كبير، سألته ذات مرة عن اسمه فقال الكروانة أو الجروانة.

قال صابر: لعله أخذها من أحد عمال البناء أو اشتراها لهذا الغرض، إذن سأسأله عن هذا البراد عندما تدخلين

لإحضار الطعام.

فتح البواب حتى دخلت فيروز مسرعة وهي تشعر ببعض النشاط لمزاولتها هذا العمل وتوجه صابر ناحية البواب أو زوج سعدية كما تسميه فيروز كأنها لا تتركه منذ عدة سنوات إلا من أجل زوجته سعدية التي تساعد فردوس وطالما أبت أن تتركها بعد أن تدهورت حالتها المادية، وجده صابر قد انتصب واقفًا عندما رأي فيروز التي ما كانت تكلمه إلا قليلاً جدًا، حتى إذا فعل ما لا ترضاه كانت تبدي زعلها لزوجته سعدية التي كانت توبخه بشدة حتى إن فيروز كانت تسمعها في بعض الأحيان لارتفاع صوتها، ولما طلبت منها فيروز ذات مرة التعامل معه برفق كونه زوجها توقفت سعدية عن الكلام وهي مستاءة، ثم قالت إنه رجل غبي وبخيل وثقيل الدم ومتبجح، أخبره صابر إنه يريد براد الشاي وأكوابه هذه الليلة وعليه إلا يمنع شيئًا لأنه سيجد الرد المناسب لو لم يكن أضخم مما يستحقه الموضوع.

قال البواب: إذا لم ترد النوم كعادتك وكما أعرف فتسلى

بأي شيء حتى أعود لك فإنك لن تموت هذه الليلة بعدم شرب الشاي، أليس هذا ما تريد قوله؟!.

قال صابر: حتى لو مت فسيأتي غيرك يا ثرثار وقبل أن تدفن يرحمك الله وقبل أن تنطقها وإني لأكاد أقرأها على شفتيك هاتين تريد قولها (نعم) وكأننا رجعنا لأيام الوسية مرة ثانية، الله يرحم عمك جابر، كان ملتزم بوقته وإخلاصه معًا ويعرف اختيار كلماته وهما عند هذه البوابة بالأخص لأنها محل عمله وما أتى بك للعمل مكلنه إلا سعدية زوجتك على حد علمي،هه.

قال البواب: ما أدخل سعدية زوجتي في براد الشاي يا صابر أفندي؟!.

قال صابر: إنه الموضوع، ستعطيني البراد والأكواب أم لا؟

قال البواب: سأعطيك عدالة الشاي يا صابر أفندي على ألا يبعث بها هؤلاء العيال حتى لا يكسروا الأكواب، وقل لهم أن ينتظروا حتى يصير الحطب حارًا ثم يضعوا البراد عليه حتى لا يتسخ من الدخان، أنا أعرف أساليب هذه العيال، لكن

من هم يا صابر أفندي؟

قال صابر: وكأن هذا الطقم من أطقم الأسرة المالكة؟

أخذ البراد وهو يسمي له العمال وهو يهدده بابتسامة عريضة أنه سيبلغ العمال أنه يصفهم بالعيال وكأنه رجل وأنتم عيال وفيكم من هو أكبر منه سنا ومقاما، كان وجه البواب عابثًا وهو يسمع تهديد صابر له في استهزاء به قبل أن يوقفه لينبهه في رأيه أنه يعمل بواب القصر مهما حدث، فذكره صابر وهو على حال ابتسامة بكلماته الباهتة منذ دقيقة عن الوسية والحقوق وهو الذى يقضي ليله في نوم عميق، جاءت فيروز معها عمود أواني الطعام يظهر من كيس شاف تحمله بيد وبالأخرى زمزمية كبيرة من الماء، قابلها زوج سعدية كما تسميه عندما نظرت إليه فأعطته ما تحمله وهو يقول إنه لأول مرة يرى أواني معدنية في شكل هذا إلا اليوم وصابر يسأله عن رؤيته للزمزمية قبل هذا اليوم، عندما قال رأيت مثلها من قبل وكأنه رأي جميع أنواعها إلا هذا النوع، أدار صابر السيارة من أمام البوابة وقفلا معًا وهما

راجعان قد بدت فيروز تظهر التعاش مع مسحة قلق.

قال صابر أرى أنك منتعشة هذه الأمسية، غير ما أراه فى عينيك من بعض توتر يظهر فيهما بزيغ ضئيل الملمح، ومع ظني بمعرفة السبب فقد تكوني متناسية.

قالت فيروز: ما السبب يا صابر؟ أريدك أن تؤكد لي ما تذكرته فقط.

قال صابر: ليس الآن ولا هذه الأيام لو تسمحي، أليس قد تكوني متناسية لأنه ليس بيدك ما تفعليه حتى تعلمي ما ستعرفى كيف ستتصرفين بناءً عليه حيال ما ترتابي فيه ويحيرك لهذه الدرجة، أليس قد تكون رحمة؟

قالت فيروز: إن هذه القضية المثيرة للجدل، لكنها داخل رأسى، يذهب ويأتي من الحين للحين، إني لأوجل في بعض الأحيان حتى أشعر بالاختناق.

قال صابر: ليتنى ما تكلمت، كنتي قد سهو عنا يشغل بالك أياً كان.

قالت فيروز: ألم تخبرني بمعرفتك للسبب؟

قال صابر: لم أخبرك، لكنه يشغلك بدرجة كبيرة، بل خطيرة.

نظرت فيروز إلى صابر في شرود، لكنه ليس شرودا يشبه ذلك الذي كان ينظر به أبيها فى أول يوم خطت قدمه لهذا المجتمع الصغير وهذا المكان الفسيح المخالب والمثير الشمائل والجميل الفضائل ذي المنطقة الحساسة الأخاذة البريق غذا ما عاكست شعاع الشمس، الذي أول ما يصادفه يذكر حقيقته عندما لمحه في السماء التي تظلها، فيصبح كسير من أول طبقات الغلاف الجوي التي تحول بينه وبينه، إنها قطعة الأرض التي يختبئ تحتها بسحره وفخامته وملمس سطحه، إنه الذهب في شعاع الشمس، فلكم تقابلاً أزليًا.

قالت فيروز: رأيت من يشبهك من المتدينين جدا فى المدن المزدحمة يعشقوا هذا الزحام، كنت أشعر أنهم يتمتعون بقيظ الشوارع تلك، لم أصل لنتيجة في بعض تفكيراتي البسيطة السريعة حينها لسبب هذه الظاهرة التي تغمر شعوريا ساعتها كغمر الماء لهذه الأرض الآن.

ضحكت فيروز ببساطة وهى تشرح لصابر أن هذا الغمر بطيء الآن، فالمنسوب كما نرى يهبط، أترى أن الأزهريين يعشقون القاهرة أكثر من أي مدينة أخرى يا وريث الشيخ حامد؟

قال صابر: إني لا أرى هذه الأيام إلا بعينيك أنتي يا وريثة مندور باشا أو الحاج مندور كما كان يحب أن ينادى، الله يرحمه ويشفي والدي.

لم تشعر فيروز بأي شيء حتى أنها لما سألت عن السبب مع نفسها أدركت سريعًا أنها لن تصل إلى نتيجة واضحة أبدًا، فأرادت أن تجرب إحساسها الخارجي فقامت من على الأرض فيما يشبه المزحة بلطافتها ووضعت راحتها على جبهته قبل أن تسامره مرة أخرى.

قالت فيروز: حتى إن حرارتك غير مرتفعة، ولا حتى حرارة النار هنا، لكن قلي يا صابر.

قاطعها صابر كأنه يريد أن يلاطفها كما لاطفته كما شعر هو وأحس، القليلة لهم فائدة كبيره فى أي مكان مزدحم

وتزيد أهميته في الحرارة أيضًا أكثر، وأخذ الزمزمية وشرب منها وعلق على مزاق الماء قبل أن يزدرد آخر جرعة مما أعاقة قليلاً عن الكلام وبعد ازدرادها أكمل تعليقه بالتمني.

قال صابر: لو قلة!!

قالت فيروز: يا لهذا التباين، كيف تعاملت مع هؤلاء .....

نظرت فيروز لصابر وأسبلت هنية قبل أن تكمل ما قطعته من سمر.

قالت فيروز: أقصد هؤلاء الناس ذوي الهمم العالية، ثم ضمت يديها كلاً علي الأحرى مع دراعيها ركبتيها قيل أن تنظر إليه في تحول للجدية ثم تنظر للأرض وهو تكمل سمرها معه.

قالت فيروز: إنهم يعملون بمنتهى الجدية بالفعل يا صابر، إنهم يخافون على الزرع ويعاملونه برفق وأنها ليت زراعتهم، ومثلما كنت أتعامل مع الأطفال الذين لا يستطيعون المشي عند صويحبات الدراسة فى مرات قليلة، يا صابر إني حتى وأنا

في خارج المكان حبيبته، هذا تربيت عليه رغمًا عن أنفي، ألا تشعر بي؟، أقصد هذه الناحية بالطبع.

قال صابر: الله، الله، ما كل هذا يا سيدة القصر، نعم، نعم أيتها السيدة الفاضلة، هل نسيتي الذهب و .....

سكت صابر لحظة وقد اعتدلت رقبته من جديد واستجد وضعه مكملاً.

قال صابر: والكتر، أقصد ما ننوي فعله بعد نقله.

قالت فيروز: خفي !

تسأل صابر في سريرته عن الخفي وهو ينظر في كل اتجاه كالأحمق قبل أن يثبت مرة أخرى ويسألها بالمنطق، لكنه اتخذ ساترًا.

قال صابر: ما هذا لفد تأخرنا، أليس كذلك؟ لكن ما هذا الخفي الذي تتحدثين عنه، لقد صار للخفاء عدة مناحي.

قالت فيروز: سأقول الحقيقة بشرط واحد.

قال صابر: وما شرطك يا ترى؟

قالت فيروز: أن آخذ هذا العود وأنثر به مجمر النار المشتعل هذا عليك.

قال صابر: قد تلفحك النار، والطبيب بعيد، هذا إن وجدنا أطباء فى المركز في هذه الساعة المتأخرة.

قالت فيروز: لا، دعك من هذا، دعنى فأنا أريد الاحتراق، اتفقنا.

وعندما جاءت فيروز بالعود وأرادت أن تفعلها هم واقفا ليبتعد عن مرمى عودها غلا أنها أسرعت عليه عدة مرات متتالية سريعة حتى أنارت النار جسده كآدمى للخلف وهو يشيح بيديه ليبعد عنه النار المتناثرة، ليراه من يبتعد عنهم لمسافة معقولة.

قال صابر: هيا، قولي الحقيقة وأنفذي وعدك.

جلست فيروز وأسندت ظهرها للشجرة التي كان تحتها مجلسها المعد مسبقا منذ أظلت هذه الشجرة من يجلس تحتها نهارًا من حر الشمس ثم ليلاً في هذه الأحوال قبل أن تقول له عما وعدته.

قالت فيروز: أنت والقدر.

قال صابر: لم أحدد قصدك بعد، وضحي درجة بدرجة وعندما أحدد ولو بدرجة مرضية سأخبرك أو ستعرفي بنفسك إن أمكنك، أستعرفي؟

استطاع صابر إثارة زهوها حتى لم يمنعها من مواصلة شرحها وهى تفكر بحالها وتفند ما قالته، فما ظنك أن يتكلم، ولو تكلم سيكون مقارنا وإما مفرقا أو موفقاً.

قالت فيروز: كنت إذا قلت لك شرطي قبلها خفي الإرادة إلا في حمايتي كحارس فقط هذه الليلة، وبعد أن أطلعتني فرضت إرادتى على إرادتك بشرطي فذكرت القدر أنه يفرض علي الشروط بعد نقل الكتر أيضًا.

قبل أن يتكلم صابر جاء عامل يستفسر عن هذه النار التي تطايرت وعلى من فيها، وهل حدث مكروه لأحد منها؟

قالت فيروز: اطمئن أيها الرجل الشهم، لم يتأذى أحد، هل مازال كثير من الوقت حتى ينتهي الري؟

قال الرجل: أقل من نصف الأرض يا فيروز هانم.

قام صابر وأمسك ببعض الأعشاب الجافة من طرف وأشعل الطرف الآخر ورمى الشعلة في الترعة وهو مطاطئ ينظر إلى منسوب الماء.

ذهب صابر ناحية الرجل ورفع ذراعه على كتف الرجل وأشار عليه بالري الخفيف في النصف الباقي دون إشباع بالغمر على ألا يترك بقية الأرض بلا نشع يبللها الماء، وفى الرية القادمة سيرويها في أول الدور إن شاء الله فيستوصى ويوصي بغمر هذا المنتصف بقدر أكبر قليلاً حتى لا ينتهي الدور وتجف المياه قبل أن ينتهوا من ريها فتذبل المزروعات وتضمر الحبوب بها، وربت على كتفه وهو ذاهب ليفعل ما نصحه به صابر أفندي فهو ذو خبرة مجربة وليبلغ إخوانه أيضًا بما سيفعلوه بغض النظر عن خبراتهم المكتسبة من الممارسة هذا إن أبدوا لزميلهم آراءهم حتى لا يحدث بينه وبينهم أية مشادة في نقاش قد يصمم فيهم أحدهم على رأيه في أية طريقة للري أخرى.

قالت فيروز: أنت حازم فى حسم له منهج مختلف، وأنت

أقرب إليهم مني مع حفظ الأسرار بالطبع.

قال صابر: قد يكون كما قلتي، وفي رأيي كل مهتم بعمله يفضل أن يكون حاسم فيه، وعلى العموم يجب أن يكون كلٌ منا حازم في عمله الذي هو سبب في رزقه، ولكن بمناسبة الرزق المأكول، قد أعجب العمال بالطعام بشكل يدعو للنشاط وحين يرجعون سيتحدثون عنه لعدة أيام.

قالت فيروز لذيذ لهذا الحد يا صابر؟.

قال صابر: نعم بالنسبة لهم هو أفخر ما أكلوه حتى على موائد الفراح الكبيرة، بل وموائد الحاج مندور يرحمه الله التي يتحدث عنها من أكل منها ليومنا هذا، إن الطريقة والذوق يشهيان الطعام ويجعلاه ألذ طعمًا، فإن الذوق والتذوق منشأهما واحد مثل الطعم والطعام الذي نتحدث عنه.

قالت فيروز: كان والدي يرحمه الله يحب أن يتناول إفطاره بالفطير المشلتت وعسل النحل والأسود مع الحليب في أغلب العشاء، يزيد على هذه الأنواع طبق السمن وبعض الأحيان كان لا يعجبه السمن لأنه ليس قديمًا بما يكفي ليكون لذيذا،

بالفعل يا صابر، طعمه كان في منتهى اللذة، لكن أمي يرحمها الله كانت تمنعني، غير أن الفطير المشلتت كان يصنع بالسمن البلدي وكانت أمي تتحاشى أكله وتمنعنى من تناوله أيضًا وكذلك فردوس لكني ذات مرة وخلسة منها جربته فأكلت كمية كبيرة حتى انتفخت بطنى فى ألم فهربت خلف القصر، وتحت الأرض بمكان رأيت والدي يخرج منه ذات مرة وعندما رآني قد رأيته جعلنى لا أمشي حتى أحلف بالله أن يكن سرا بيننا فقط، ولما اشتد الوجع خرجت رافعة ذلك الغطاء التحتي وحمدت الله أن أحدًا لم يغلق الغطاء الفوقي الثقيل جدًا فردمت بالتراب مثل أبي وخرجت وقد استجوبتني أمي وفردوس عن بطني.

قال صابر: معدتك رقيقة يا فيروز، الحاج مندور نشأ في شدة عيش وقوة وكم كان هذا الفطير المشلتت مطمحًا له قياسًا بهؤلاء الآخرين في يوم ما، وإني أختاله الآن بعدها من الفاخر، باقى الناس ولو أكثروا من أكله بعد تملكهم أجزاء زراعية بقدر يمنعهم عن التمادي، فالسمن البلدي ثمنه مرتفع

وقيمته ومذاقه بخلاف الزيت الذي هو أرخص وقد صار أرخص أكثر بعد الثورة مع مرور الأيام بعد ابتداع بطاقات التموين السلعي المدعم.

قاطعته فيروز بعد شعورها بالملل وعدم جدوى هذه الأطروحة هذا الوقت.

قالت فيروز: ما رأيك لو ذهبنا ناحية الكتر في هذا الوقت الذي يكاد يبزغ فجره.

فودت لو بالفعل ذهبت لهناك حتى تسمع ذلك الديك المزعوم الذي سمعت عنه مرة وحيدة وهى تمر بجانب والدها والمغربي وكان يضحكان أيضًا، فقررت أن تخبر صابر عن الجائل بخاطرها حين سألته.

قالت فيروز: أتعلم عن ديك الكتر أية قصة من أبيك أو المرحوم أبي عندما كانا يتحدثان أمامك - في هذه الأشياء.

قال صابر: لا، إنما لمحت في أحد الكتب عنه شيئًا موجزًا، هل سمعتي أية قصة عنه حتى أقارن، إذا سمحتي يا فيروز أن تبدئي أنتي.

قالت فيروز: لا مانع، حدث كذا وكذا وأنا أمر عليهما وسمعتهما.

قال صابر: بالتقريب، إنه يخرج في السحر كإعلان عن أنه هنا كتر، من النوع العربي القديم طبعا، فهو كما ذكر الكتاب يخص الكنوز التي يستخدم في رصدها وإخراجها طلاسم وعزائم تتلى باللغة العربية فقط، لكني سمعت عنها في حوار دار بينهما عن كتر آخر هنا، لكنه ليس عربي وفقط.

قالت فيروز: قد سمعت هذا أيضًا بالفعل.

قال صابر: إنك كنتي تتعمدي التنصت عليهما كل مرة!!.

قالت فيروز: ليس تمامًا، لكن المغربي كان يجذب كل انتباهي عندما يأتي عندنا فكنت أداوم مراقبته وسماع ما يقوله كلما سنحت لي فرصة.

قال صابر: لكني أعتقد أن ذلك يكون قبل أن يفتح أي إنسان الكتر لأول مرة، غير احتمال رؤية العمال لنا، فلسنا مضطرين، لسنا مضطرين هذه الساعة.

قالت فيروز: أتعتقد أن هذه الكتب من كتب السحر

البحث.

تردد صابر في الرد وقرر أن يوصلها، فقد يمتد وقت الري حتى بعد الظهر وأخبرها برأيه فوافقته، وفى ضوء السيارة أشار ناحية العمال بيديه فإنه سوف يعود مرة أخرى وبسرعة عندما أدار إصبعه بيديه في الهواء.

قالت فيروز: وأنا نثرت عليك النار حتى يراني أحدهم فأسأله عن المتبقي من الوقت كما سمعتني، أظنني عدوانية يا صابر!!.

أخطاء بمثلها في وقت غير مناسب عندما دخل حجرتها بلا سابق إنذار ولا أسبقية حدثت من قبل، بل وقبلها على خدها بلا أية همسة لأي نوع من الحنان قبل ذلك أيضًا، ما كان يعتمد إلا على ما تراه فيه منأواصر الصداقة وحفظ العهد، أنسى وقتها ما أحدثه فعله طول اليوم - يومها - من استنفار فيروز عليه وعلى نفسها وما صنعه القدر بها في ظروف غير متناسقة لتسير فيها، تتحاشي هنا وتتخطى هنا وهناك تتلمس طريقها وتستأمن بما يشبه الدغل حولها، إنها في محن بدأت

تحتاط لها، ومحيطها هذا ما قابلت فيه من قابلت مخيرة، وأنا منهم وإن كنت أكثر التصاقًا بها بعد فردوس إلا أنها تعتمد على مجبرة أيضًا، وأنا صابر ابن الشيخ حامد ولو بهذا الكتر وجوائره، كما سمعت عن الذهب والإنسان في أعظم الأحيان، يذهب عقل بعضم وإحساس آخر ويمت قلب غيرهم أو منهم، إنه يبدل السرائر ويحول الضمائر إلا القليل ممن يستطيع احدهم التحكم فى نفسه والتحكم في غيره للسلامة، فهى عند كل متحكم في أي نوع من الناس أول ما يصنعه في الحسبان، فإنما كانت وجهات أعماله ومصالحه يعرف أن سلامة من معه وحوله بالنسبة للمجموع هي سلامته شخصيا، لكن الطامة تكون عندما يجد أنهم في وجوه شتى يعادي بعضهم بعضا، وقتها لا يستطيع السيطرة عليهم، فالهروب ساعتها أو المواجهة، وهي في المواجهة لن يأمن انقلاب بعضهم أو كلهم عليه، فإما التصفية أو التصافي أو الضياع إنه يشبه الحكم ويميل إليه، ويستميل كلٌ منهم الآخر، فإن وجد حائلا سعى إليه بأية طريقة في أي عالم

بتعدد الطرق، حتى في حكومات التشريعات السماوية، لكنها تعتمد على القول بالحسنى وإما الجمع من المال بالقوة كفرض من فروض السماء لا نقاش فيه، لأن بالحسنى يعنى من الإحسان، فأنت محسن إذن فأنت صالح، والغاية هى الصلاح الذي يجب تطبيقة بأية طريقة، أما الطرق الأخرى فلكل منها عدة أساليب - تتشابه أو تتباين - كلها لها منحنياتها والتفافاتها، فهذه لا تكون في اتجاه واحد بشكل ظاهر إلا في المواجهات في الأعم الغالب، أحس صابر كأن ملكاً نورانياً يملي عليه ما يفكر فيه، إنها توليفة ما اعتاد على جمعها قبل هذه اللحظة أياً ممن يعرفهم فى حياته أو سمع عنهم، حتى والده الفقيه مع معايشته لهذ القصة العجيبة، إنها فيروز السبب، نعم، لو هذا الذهب يصبح أجيالاً كالناس، فهي كانت ابنة الذهب، ثم ورثت منصب الأمومة عليه أو جيل الذهب الجديد لكنها كثكلى حتى تخرجه من القبر، كأنه دفن وهو حي وهي تريد إخراجه قبل موته بالفعل إلا لو ماتت أو فقدته للأبد، إنها فيروز لا محالة وليس الذهب نفسه الذي أثر

على أفكاره بتفاعله مع ما تربى عليه وجبلت عليه نفسه بإملاءاتها المكتسبة.

شعرت فيروز بصابر وقد ذهب إلى حدود بعيدة بخياله، أو يفكر في شيء لا يستطيع إدراك شيء منه بأية هفوة قد تطفو علي سطح هذا الوجوم الرهيب بشروده الشاسع في تتبعه، جذبته ناحيتها في لهفة فاضت دوافعها كأسرع ما تكون من مثلها، فحالما شدته مشدوهة بهذا القدر من الشرود في غموض أحسته ناحيته بشكل ما عادت تتحمله بما فيه من خوف على فردوس كأقرب ما توجب الخوف عليه بعدما رأت أوراق سفرها، هذه الطريقة التي كتبت بها ورقة مفردة مع تاريخ السفر أوقعتها في حيرة لم تعدها، هذه الورقة بلا توقيع كأنها رسالة لها بالخصوص ولما التفت إليها نبهته لأنه جذبها.

قال صابر: إنك التي فعلتي ما تنبهيني إليه يا فيروز!!.

قالت فيروز: لولا لمحات التبلد - ولست أقصد ما يلمح لما يشبه القبلة - التي تبدو عليك بين الحين والآخر كهذه

الأفكار وتلك التلميحات الباردة.

قال صابر: أصبحتي تحاجي كثيرًا كما ألمح أيضًا، اسمعي يا فيروز، أنا لن أتحرك قبل أن أعرف ما هذه الأوراق.

قالت فيروز: سنظل إذن تحت هذه الشجرة واقفين للأبد.

قال صابر: لكن لماذا كل هذه السرية؟

قالت فيروز: يكفي أن أراه سرًا ولو حتى حين.

قال صابر: إلا تريدي مناقشتي كما تعودنا في الأيام الفائتة قريبا.

قالت فيروز: كان قريبًا أو بعيدًا، نعم، وليست هذه ما اعني إياها عمومًا.

قال صابر: إذن سأنزل من السيارة وأقف تحت الشجرة نفسها إلى الأبد أو تخبريني بما في هذه الأوراق غير العادي.

قالت فيروز: أرجوك يا صابر، الأمر في غاية الخطورة على حيا إنسان.

قال صابر: يريدون قتل من؟ وما مدى خوفك عليه أو

على أي شيء أو لأي شيء إن لم تريدي إخباري أيتها العنيدة والسديدة معًا.

قالت فيروز: تحاول ألا تجرح شعوري إذ أنا مجروحة بالفعل ولا أتحمل هذه المناورات في هذا الموضوع الذي تدور من حوله.

قال صابر: اتعلمى أنى وصلت حينما جذبتني - وإنى لم أكذبك - إلى عوالم نورانية أوصلتني إليها عوالم عظيمة وطاغية وحائرة بسبب ما وضعتني فيه أفكاري في سبب حالتك منذ خرجنا من عند بخيت أفندي وقد قرأتي ما فى هذه الأوراق اللعينة.

قالت فيروز: صدقت، ملعونة بلعنة من كتب هذه الورقة بالخصوص، لكني لا أعرف أكان خالى هانى أم دست في الأوراق أن أشار عليه أحدهم بهذه الورقة؟ أو باختيار من هذا أو ذاك أ، تلك.

قال صابر: بدأت وضع يدي على ما كان يخرج عن عالمي أو أخرجنى من عالمك حتى ما عندنا معا إلا جسديا.

قالت فيروز: ما وصلت أنا وصلت إليه!!.

فكرت فيروز غذا تكلم صابر بما فى الورقة وأقنعها بما لا تريد إلاه مع فردوس فإنها سترفض، عندها قد تحدث ما لا تحب حدوثه كخسارته كشريك، أو تنقسم الشراكة حتى تنتصف انشطاريا وتتباعد، وها هى قد تعادي آخر قريب لها، خالها هاني مهما كانت صفته، ماذا عنه لو أصر على رأيه؟

قال صابر: غلى ما وصلتي؟

قالت فيروز: ما وصلت لأي شيء مجدي، هل من الممكن أن تظل واقفاً هنا حتى يرجع الفلاحون لبيوتهم؟!.

قال صابر: مما لا ريبة فيه البتة.

قالت فيروز: نقصد بتاتا بتاتا كما كان يقول أبي يرحمه الله إذا أصر على شيء أو أصر على النفى، أبي بهذه الكلمة صاحب فصحى إذن فى بعض الكلمات التي ظننتها عادية بحكم العادة.

قال صابر: وكانت عادية بالنسبة له مثلك تمامًا ولمن قبله وغيرهم في أي زمان ومكان بدرجات متفاوتة، لكني لن

أتحرك أيضًا حتى يشاهدني كل الناس ويعلن الحاضر الغائب ويستمر التساؤل وتنسج استنتاج كل من له رأي القصص الخيالية والحقيقية إن صادفت الحقيقة، ساعتها لا أنكر عليك الندم لأنك لم تخبريني حتى تسببتي لمن أردتي حمايته في إيذائه عندما يصل الكلام للعدو أو الحبيب، فإن لم تلحظي يا فيروز أن كليهما عندما تنكشف أمور كأمورنا هذه يكونا كأنما تضادين ضد المخادع ما يراه كلاهما فهيا، هيا يا فيروز أرجوك، أخبريني.

قال فيروز: عندي شرط واحد.

قال صابر: اجعليهم عدة شروط هذه المرة، سأوافق.

قالت فيروز: تحرك هيا، هيا يا صابر.

قال صابر: ما عاد النقاس يتسع لنقطة أو حرف، لن أتحرك واقفا.

قالت فيروز: سنتكلم في القصر، إنه وعد.

قال صابر: سأتي بلا جدال، إته وعدك، لأراه من زاوية جديدة.

ضحكت فيروز بصوت خفيض يخالطه ألم قد عز على صابر مناهضته، جعلها تقود ما تبقى من الطريق ليحول دون شرودها بانتباهها، إن فكرت قارب أن ينهش اتزانها إن لم يقف بينها وبينه مدافعاً وبأي وسيلة أمكنه ذلك، وجدها به يؤثر فى تفكيره الذي سيحارب به ما يشغلها في الأساس، إنه توازي لشيئين لا يجديا نفعاكلاهما، يريد صابر أن يريح كلٌ منهما الآخر بإيجابية، جذب نفسه من تأثير الموقف وجذبها من زراعها ومد خطاه.

قال صابر: هيا لنستخدم نفس الطريقة في النقاش التي ولدتها جديتنا سريعا هذه الأيام، لنجعلها جدية نتحدى بها طارئ، إني متفائل بها صدقًا، لم أكذب عليك عندما قلتها لم إنها .....

سكت صابر قليلاً حتى وصلا للمكتب ثم أكمل جملته بما أراد لأدائه.

قال صابر: هنا، هنا يا فيروز تناقشنا وتصادقنا فيما بيننا ومازلنا.

قالت فيروز: نعم، هنا يا صابر يريد أول الجد في حياتي - بما يواريه - ما تعلق به من شبهات، بدأناه معًا لأجلي ولأجلك، وبعد كلمة (سنرى)، التي علقنا بها بعدها، أكاد اكتشف ما أقوله بالفعل بعد أمام فتح الكتر بخوض التجربة وجلب بعض الذهب، كانت متعة بخطورتها مثيرة تلهفت على ممارستها حتى عشتها وأرضيت تطلعي المغرور، لكن بمجرد أن تحاوطنا بخطر هذا الكتر بدون مشروعية أو قوة كافية واعية حتى، وخطر علينا من قبل المنتفعين به من ورائنا - أو ورائي كما تشاء - من ناحية أخري من وراء المشروعية أيضًا مع خطره، لن أتركه لم قد يستخدمه بغير مشروعية في اللامشروعية حيث تكون بصمتنا كمشتركين بلا أدنى نفع، وقد يعتبروننا شركائهم في الخروج عن المشروعية، وقد يكون الاتهام مزدوجاً فتقع بين الاثنين، ساعتها ستنجز، غير هذا المغربي الذي كان ينوي سرقته جملة واحدة إلى حيث لا ندري، ويستخدمه أو يعطي منه أو يتركه لعدو وقد لا يكون بعرفه أو حتى يعرفه أو يعرفه حتى.

مد صابر زندانه الأيمن بإمالة بسيطة لأسفل باسطًا كفه لأعلى يشير بأصابعه مدًا وثنيًا في تلاحق، كان ذلك حينما أراد أن يقطع حديثها بالإشارة قبل أن يتكلم.

قال صابر: أعطيني الورقة أو أشتري لي على ما ليس بالطبيعي فيه مما أقله لهذه الدرجة التي رأيتك عليها، هيا لننجزها.

قالت فيروز: سبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تهللت أسارير صابر حتى لحظته فيروز قبل أن يتابع.

قال صابر: أرجوك أعطيني الورقة أولاً أيتها المسبحة المحوقلة.

قالت فيروز: لماذا قلت أولاً وقد تهللن أساريرك؟ هذا أولاً أيضًا أما ثانياً، ما معني المحوقلة؟

قال صابر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قالت فيروز: فهمت، خذ الورقة التي لا أفهم ماذا يقصد بها، ولماذا وممن؟

قالت صابر: نعم، كلٌ يفهم حسب ما وعى عقله.

مازال صابر باسطاً كفه لكنه كف عن تحريك أصابعه عندما مدت له فيروز تلك الرقة المطبوعة على الآلة الكاتبة بمنتهى التمكن، لكن صابر توقف قبل أن يبد القراءة.

قال صابر: ما هذا، إنها مكتوبة بالفرنسية.

أعطاها لفيروز وهو يضحك ببساطة.

قال صابر: ترجميها لي جملة بجملة فأنتي أفهم مني بها.

نظرت فيروز فيها من جديد دون أن تتكلم حتى أشار إليها صابر عدة مرات وهو يراها تهبط بعينيها حتى أسفل الورقة ثم تصعد وتهبط مرة أخرى بسرعة قراءتها، أخذ الورقة وهو ينظر فيها ويبتسم وينظر لفيروز وهى شاردة تنظر إلى ما خلف النافذة، فأعطاها الورقة مرة أخرى ووقف جانبها لاصقاً كتفه بكتفها وهو يطلب من البداية فقط وليس إلا، بدأت فيروز فى قراءة الورقة وهي تحد تركيزها ونظرها وتسمع صابر مترددة.

قالت فيروز: الآنسة فيروز العزيزة، إذا أردتى بقائك كما

أنتي فافعلي ما ينبغي بكونك وريثة مندور باشا كما كان يفعل وفعلتي ولو مرة واحدة مع الطربوش، أي تغيير سيتبعه رد معاكس بنفس الصورة للأفضل أو للأسواء كعادتنا، لك أن تتراجعي في حالين لا غير:-

١. إذا تسببت السياسة في عدم التواصل نهائيًا.

٢. عجزك عن الإدراك لأي مكروه ولا بأس.

مع علمك أن هاتين النقطتين لا يتحملا إلا ما يعنياه فقط، هذا لفكرة التراجع، أما فكرة التقدم فلها نقطة واحدة فريدة إذا حدث ما قد يكون مستحيلاً لأي طارئ، هذه النقطة هي:-

١: خذي من هدايا خطيبك حتى يعود، فشكلى طعامك اللازم على قدر حاجتك، بالنسبة لفردوس فابعثى بها للمطار ولا تدخليه معها، شكرا.

ملحوظة: لعدم حدوث ما يقلق فهذه الرسالة قانونية وحقوقية.

قال صابر: ما هذا الكلام؟ أعتقد أنى كنت سأفهمها

بالفرنسية أفضل.

قالت فيروز: إنى ما فكرت بالتفصيل والتحليل إلا فيما يخص فردوس يا صابر، إنها الآن أهم وكل آن، إنها مربيتي وأنا أعلم كيف جاءت، كما تعلمني منذ جئت للدنيا ووعيت.

قال صابر: ما رأيك لو أحرقنا الورقة جملة وتفصيلاً ثم نقتل بخيت أفندي، وإذا سألك أحدهم مثلاً فستقولين ما أخذت منه أية أوراق، فى الحقيقة إني أكره هذا الرجل.

قالت فيروز: أتكرهه بشدة أم تكرهه فقط!، ستفرق وقت قتله وفي الطريقة والأداة المستخدمة وهذه الأشياء، ألم تحدثي بكرهك لهذا الرجل على الخصوص.

قال صابر: أتحبين سماع أخبار الحوادث وقراءتها؟

ضحكت من قوله وما خرجت من حيرتها بعد، فقد وجدها تعرف كثيرا عن الجرائم في جملة، بل جرائم القتل خاصة، قبل أن تدعه مغاضبة قام بمخاطبتها ملاطفًا وجادًا.

قال صابر: دعينا من هذا وتعالي لننفذ كل نقطة ونحللها

وحدها ثم نربطها بغيرها بعد ذلك، فقد يكون ما نظنه ذكاء نجده غباء والعكس، إلا إذا كان لا هذا ولا ذاك ولا علاقة باستعراض عضلات نهائيا، قد تكون الظروف سياسية بحتة بالفعل ومتعارف عليها في هذه الأوساط، وقد دخلت فيه – وهي تساوره الشكوك في الأساس – بعض الريبة فيك أو ممن يحيطون بك ممن تميلين إليهم، ولو كان كذلك، فهذا لماذا؟

علقت فيروز في أناة جادة حين قاولته بها.

قالت فيروز: ما هذا الذي لماذا؟ أو كأنهما متفرقين.

قال صابر: لماذا هذا بهذه الدرجة، إنهم في شدة الصرامة والعنف.

قالت فيروز: هو ذا.

قال صابر: نعم، كان وجدك على فردوس لأنك توصلتي لهذا أيضًا.

قالت فيروز: ولماذا كان تعجبك يا صابر؟ استوحيت شبيه هذه الأفكار.

قال صابر: إنها عدة أشياء غريبة الشكل ومظلمة خرجت على رأسي وقلبي كالخفافيش تخرج من كهف مظلم فى وجه أحدهم على حين غرة، أو كالذئاب في ليلة مظلمة على طريق معزول.

قالت فيروز: كل هذه الأحاجي في كفة وأحجية فردوس في كفة أخرى، وهذه الكفة هي الراجحة عندي بكل ثقلها لدي.

قال صابر: أتقصدين ألا نناقش حتى قضية الجوع عذع التى ذكروها ولو كانت ستجوع هي أنت، مع أنه لن يحدث فلديك أرضك وليس كل الناس متشابهي النوايا والطوايا.

قالت فيروز: نعم يا صابر.

قال صابر: ولا بالتوازي حيث نفكر في المشكلتين وتأتى البقية بعد.

قالت فيروز: وإلا نقطة الذهب والخطيب هذه حتى!!، أرجوك، إن فردوس بالنسبة لي أهم ولا أدرى في هذا عيباً، مع عذري لك إن لم تشعر بمثل شعوري.

قال صابر: لا يا فيروز، حتى وإن كنتي تحتالين على أو على غيري بطريقة مدهشة إلا أنى أتحول لشعورك بما يكفي للشعور بك من ناحية فردوس، فقط ما يحيرني إنه كيف قد يصل إلي شعوري نحو أبى فى مرضه هذا، وحين أتخيل أنه سيفارقنى فى أي لحظة إذا لم تتحسن صحته، غير أن المرض وحده يثير الشجن لى وعلى لدرجة كبيرة، المرض بغيض، أدعو الله ألا يؤثر في ولا فيك بالطبع، إنه فتنة نكرهها مثل الذهب كفتنة نحبها.

قالت فيروز: والأعزاء عليك وأحبابك وأصدقائك يا صابر، ألا يكونون بما يشبه هذا القول فى بعض الأحيان.

قال صابر: تقصدي فتنة أيضًا، نعم، في بعض الأحيان كما قلتى تماما وحينما تتطلب الظروف مسايرة بعض الأمور مهما كانت حرجة من أدل الحفاظ مستقبلاً على هذه العلاقة كما ينبغي لها، بالطبع إذا أردتى الاستمرار فيها لو كان لك في هذا إرادة أو اختيار والحكمة تقولها، احذر من عدوك مرة وأحذرك من صديقك ألف مرة، نعم، إنه قد يضر لأي سبب

خفي عنه أولاً من حيث لا تدري أو تأخذي حذرك.

قالت فيروز: هل تعمل بهذه الحكمة يا صابر؟

قال صابر: على قدر ما أستطيع وأعرف، وضعي تحت أعرف عدة خطوط.

قالت فيروز: وكيف أعرف؟

قال صابر: لا أعرف، وأقصد الشرح لك فى هذه الآونة، غير التلقائية.

قالت فيروز: المهم، هل فى هذه الورقة تلقائية فى رأيك،بغير مراجعتها.

قال صابر: قبل أن أجيبك برأيي أحب أن أخبرك أني أعشق حوارتنا هذه مرة بعد مرة في أي ظروف على ما أقدر لها، والآن سأجيبك، نعم، في رأيي وبغير مراجعة تفصيلية أن بها تلقائية اكتسبت من المزاولة لهذا العمل فى طول ممارسته بهذه التشعبات الملتوية في مثل التعامل مع هذه المعطيات.

قالت فيروز: ومع الموروثات إثر التفاعلات المسببات

بالأخص.

صعق صابر بشدة وهو يضع شفته السفلى بين صفي أسنانه.

قالت فيروز: لأنها الحقيقة حتى عندما يتشاجر الورثة - إذا ما سمعت - على شيء من الميراث جعله صاحب التركة فوق أحقية أحدهم شرعيًا حتى فيما يتوجب عليه عدم المعارضة فيه فى مثل هذه الظروف.

قال صابر: أتقصدين أن يرضى الجميع ثم يتحدثوا فى المياه الصافية بعد أن ينسى المحزون وترقد الشوائب.

قالت فيروز: نعم، وتختفي أسباب الموت فى حالاته غير السوية أو العادية.

قال صابر: موضوع فردوس له تأثيره حتى في أسبابك التحليلية للجدال.

قالت فيروز: نعم يا صابر، إني أخشي مناقشة الموضوع كلما أردت.

قال صابر: آه، لا علينا البداية هذه اللحظة، سأبدأ أنا، وعليك ألا تتركني أتكلم، علقي فورًا ولو بالإشارة عند أية لفتة في حديثي حتى أعرف أنك لم تشردي بعيدا عن الحوار.

فأشارت فيروز بالإيجاب.

قال صابر: في البداية، ستدعي مرض فردوس الشديد والمفاجئ حتى تفوت ميعاد السفر ثم نرى ما علينا فعله بعد ذلك.

قالت فيروز: وإذا سألت فردوس عن السبب مع شوقها لرؤية ابنها ووطنها، لو رأيت الفرحة في عينيها كما رأيتها ما قلت ما قلته.

قال صابر: سيطول وقت النقاش، إنها لظروف وعليها أن تعرف، لا تضعى هذا إزاء تلك، ليس في مصلحتها.

قالت فيروز: ولو يا صابر، لنجعلها آخر الحلول وهذا لو سمحت.

فكر صابر قليلاً فى آخر كلمة في جملتها الأخيرة، وهي صمتت، فعليه ألا يفعل إذن فيفوت عليها فرصة اللف

والدوران حول ما يتحتم فعله للخروج بقردوس من هذه الورطة وبأية طريقة ممكنة، هذا هو التفكير السليم والتعقل العادي في التوصل للحل.

قال صابر: لا صمت بعد.

لم ترد فيروز حتى تذكرت اتفاقهم الذي لم يتعد عليه دقائق حتى بوقت صمتها وقد بدأ صابر في مط شفتيه والزهق، فالتقطت من أفكارها بنتًا بسرعة.

قالت فيروز: ولن أفكر حتى فيما قلته،

قال صابر: ومن الذي قال؟ أنا قلت لا صمت بعد، أن قلقى إذا صمتت، ثم قلتي الجملة الأخيرة وأخرها كلمة (قلته)، فمن الذي قال فينا؟ وماذا قاله؟

ابتسمت فيروز ورفعت يديها لأعلى بزنديها وهى تشب على أصابع قدميها وقد ظهر عليها علامات الاغتباط والتباهي.

قال صابر: ما سبب هذه الغبطة يا ترى؟

قال فيروز: قلته، أقصد كلمة قلته، إن الجملة تدعو لعدم التفكير، وهذا ما لا تريده حتى تخرج بحل المشكلة، أما كلمة قلته هي ما اعتبره انتصار بالنسبة لي، فأنا لم أعرف قصدى منها وهذا ما قصدته بالضبط بصراحة حتى أصالحك.

قال صابر: بالضبط والتمام، لكن لماذا؟

قالت فيروز: سأقول لك الصراحة لأني بدأت أتخلص من شعوري المحبط بالتدريج، فبصراحة عندما اتفقنا ألا يرغمنى قلقى الزائد من وجهة نظرك طبعا فقلقي على فردوس يختلف وقد يوقفني عن التفكير في إيجاد حل معك حتى أعلق على آرائك لأنى علقت علي جملتين وحيدتين فوجدت أنى سأفكر فى اتجاه يبعد عن اتجاهك، هذا الشرود مرة أخرى بلا طائل وأننا كما تعلم قد اتفقنا على التفكير معًا، و لم أريدك لتلاحظ رجوعى لنفس الشيء، وفي لحظة عابرة توصلت لتلك الكلمة وهى ما قلته، والتي جاءت في جملة، ولن افكر حتى فيما قلته، وعندما لم أفهم هذه الكلمة أعدت نطقها عليك بسرعة وحتى لا أنسى أيضًا لأني أكره التشتت، أكرهه دومًا.

قال صابر: لا تأسف إذن، أنا أتأسف.

أشار لها بالتأسف لو أرادت فلم تجيبه وقد طرأت لها فكرة مباغتة فالتفت بعد أن أدارت ظهرها له، مما جعله يستفسر عن السبب في رد فعل كلامى يكاد يلحق برد فعلها المبهم حين هذه اللفتة المفاجئة ثم أكمل.

قال صابر: ماذا، ماذا حدث يا فيروز، هل توصلتِ لشيء، أرجو ذلك.

قالت فيروز: لا أعرف، كيف أبدأما أريد، لكننى يجب وبل يفرض على المعرفة.

قال صابر: آه يا فيروز، ولا تفهميني كما يسول لك فكرك وفقط، قصدي إن هؤلاء الناس على قدر من المعرفة، ولو قليلة، إنه تنظيم ليس في كتابة الورقة اللعينة فقط، بل في كل تصرفاتهم المتعلقة بها تنظيم بشري كالبناء وليس كالكهف المستخدم وكلاما للعذاب.

قالت فيروز: نور الله لك، هو ذاك يا صابر، لكن مع ذلك ...

قال صابر: ماذا الذي مع ذلك.

قالت فيروز: سأعمل بكل ما أوتوا أهل الوفاء والقوة، وعكسها إذا تطلبت الحيلة للحيلولة دون الوصول لفردوس بأذى.

قال صابر: ولما الأذى بالأخص؟ لما ذا لم يكن الإصابة بسوء مثلاً.

قالت فيروز: طالما هذه أخلاقهم - فإن هؤلاء الناس سيكون ما يلحقونه بفردوس بالغ الضرر.

قال صابر: إن كلمة أذى تعبر عن ضرر يحدثه أحدهم لم لم يتوقع منه الضرر وأتاه من مأمنه منه.

قالت فيروز: قصدت الكلمة ما أقصده تمامًا، إنى مأمنها يا صابر حتى لو لم تقتنع هى بذلك، إني لأشعر كأعظم ما يكون الشعور بذلك الآن.

قال صابر: سنتدعي بها المحن كأننا شيء واحد يفكر ويتعقل ويختار أسلم المتاح أمامه ليتعدى محنته وينهيها أيضًا.

قالت فيروز: بالنسبة للإنهاء فلن يتم إلا بعد نقل الكتر حيث لا يعرف سوانا.

قال صابر: إذن علينا الآن أن نتعداها على الأقل، أريد فكرة كالتي حدثتك عنها منذ قليل نمررها بدقة حتى نستطيع نقل الكتر.

قالت فيروز: لولا هذا الرصد اللعين لحفرنا الكتر دون عواق قبل ميعاد السفر الذي يداهمنا، إننا نحتاج لهذا السبب وجود هذا العشب المستخدم كالبخور، فمن أين لنا به الآن يا ربي؟!.

قال صابر: ألا تخاف أن يسمعك جندار صاحب رصد الكتر؟

قالت فيروز: لا، إنه طيب لو كان كما رأيته في الحلم مع والدي، كان ظريفاً بالفعل رغم ما بان عليه من تشدد إذا أرغم، ومع ذلك فهو بعيد عن الكتر يحميه حتى لا يحفره أحد في غيابه فلا يجد شلالات ماء تداهمه ولا غيره، ألا يستطيع أحدهم فعلها دون هذه الخطوط التي ندرسها في غياب

الرصد؟ ثم أني ما عدت أخاف شيئاً مع خوقي علي فردوس من المجهول.

قال صابر: ياه، ما هذا المنطق المعبر، ألهذه الدرجة تحبينها وتقدرينها يا فيروز، هل قلتي لفردوس هذا؟، لا رغو.

قالت فيروز: هذا ما يستوعبه شعوري ناحيتها ويستوعب هذا الشعور عقلى فى تفسير الأسباب لأنها مربيتي وتحبني و لم تر ولدها كعامل إنساني مساعد يحفز من عطفي عليها منذ سنوات طويلة وهي مرغمة على ذلك، لكن المخفي عن عقلي من أسباب باقي هذا الشعور الجارف ناحيتها يتعاظم كقوة لا يستهان بها تسيطر على خلجات نفسى.

قال صابر: ياه، نعم نعم، كانت حالتك تدل على ما تقولينه، وما زالت إلا ببعض تحسن منذ بأدلنا المناقشة لصالح فيروز، آه، أسف يا فيروز، أقصد فردوس، كأني أحسست للحظة حينما أتابع مشاعرك نحوها فى قفزاتى هذه لألحقها بأخواتها، أنك تحبينها كنفسك، أو أكثر.

قالت فيروز: أتظنها الحقيقة يا صابر؟

قال صابر: دعك من شعوري، علينا بعقلنا الاستمرار المجرد من هذه المشاعر التي تسبب في إعاقتنا منذ ما خرجنا من عند بخيت أفندي، ليته ما بعث بجاره لنذهب إليه، لو أعلم بمرضه وأنه سيمنعه من المجيء لهنا منذ كان في محطة القطار، لأتيت به ولو على محفة في صندوق سيارتك.

قالت فيروز: ليس لهذه الدرجة يا رجل، إنه كبير السن أيضًا، لكن قل رأيك بصراحة، ماذا لو أبلغت ممدوح حتى يحدث التخابر لمعرفة سر هذه الورقة لمصلحة فردوس.

قال صابر: الآن ..... الآن تأكدت وبالعقل مدى حبك لفردوس الذي يصل لأبعد من حبك لنفسك إن كان وراء حب النفس شيئًا، تحبينها أكثر من أي إنسان يا فيروز وأقصد ما أحدد أي إنسان، ولو كان هذا يرجح كفتك عندي ولن أخبرك بالسبب حتى تنتهي من هذه المعضلة.

قالت فيروز: قد بدأ الشك في وحدة مصالحنا يساورك.

قال صابر: لا يا فيروز يا ابنة المرحوم مندور باشا وحفيدة سميح باشا وابنة أخت هاني باشا، ليس صابر ابن الشيخ

حامد صاحب الظن بلا حساب، إن بعض الظن إثم، إنه بقياس العقل الحب بأية طريقة إذا أرغم على وضعه في حسابه، فممدوح يتوصل لأسرارنا بالتحقيق فى فردوس، هذا إن لم يكن عنده منها جزء ولو ضئيل لم يرد إخبارك به لظروفك وأحوال الثورة لأي سبب خفى كان أو جلي بالنسبة له.

قال فيروز: لا أحبذ ما تقوله، ولا موضوعيتك فى الحديث ككل عن ممدوح.

... أول شطر في الجملة السابقة جرى على لسان فيروز بطريقة عادية، لكن الشطر الثاني جرى منها على لسانها بسرعة وهى تشيح بوجهها عن صابر في رفض غير موضوعي التعقل فى رأي صابر، فقد فسره على أنه تعبير حركى وليد الأنوثة لا غير، ثم راجع نفسه حتى لا يقع في نفس ما يريد إقناعها فيه وأحال ردها كله إلى تفاعلها معه ومع الموقف بخبرات سابقة هو جزء أساسي منها، قرر الدخول فى صلب الموضوع حتى يقف بنفسه أمام نفسه كمواجهة النار بالنار

وعليه إثباته لنفسه بعقله، لعله يوفق.

قال صابر: سنطلب منه استخراج جواز سفر مصري وجنسية مصرية لفردوس ويجعل تاريخ السفر نفس المدون فى جوازها الفرنسى، على أن نطلب منه مع ذلك أن يعمل على حمايتها كمواطنة مصرية تتعرض حياتها للخطر، ما رأيك؟

قالت فيروز: اسمع يا صابر، لو كانت أفكاري متضاربة، إلا أني لست ضعيفة لحد الاستغناء عن الكتر قبل أن أحميه من ظل هذه الظروف، إن هذا الكتر لو تم نقله كله إلى فرنسا مثلاً فلن نستطيع في هذه الظروف السياسة أن نسترجع منه قيراطاً واحداً بأي الأساليب، إمكانياتنا فى هذا الصدد الآن تكاد تكون معدومة.

شعر صابر بقربه من تحقيق هدفه في إقصاء شبح ممدوح وقدراته القيادية عن تفكير فيروز فأراد أن يستمر بإظهار ما أراده لها في صورة منظمة تشبه هذه الورقة موضوع البحث.

قال صابر: إذن فإن إبلاغه بهذا الأمر سيترتب عليه كـــقرب ما أستطيع قوله لك وأسرعه هما نقطتان:

١. عدم معرفته السابقة ستجعله يرتاب من ناحيتك ثم يحدث ما نخشاه.

٢. معرفته لما نفعل بأية درجة - وذا ما أستبعده - سيحدث نفس التأثير بسبب عدم إبلاغه إلا بعد هذا الطارء، ساعتها لن يهمك حبك لفردوس- مثلى - من عدمه.

قالت فيروز: ليس إلا ما اقترحته أنت من إيجاد حل مؤقت حتى تنتهي من نقل الذهب إلا أننا سنعود لنقطة البداية، العشب.

..... شعر صابر إحداث بعض التأثير على فيروز حتى اقتنعت برأيه إلا من بعض تشويش في أفكارها والدليل أنها أدخلت العشب فى الحل المبدئي مع أن العشب لنقل الذهب هو الحل المبدئي المطلوب للوصول إليه قبل نقل الذهب وإلا لن يكن له لزوم بعدها، يستطيعا بعدها فعل ما يروق لهم بهدوء، هو وفيروز وفردوس التى ربطتها وبكل شيء يتعلق بها، كل ما يصبو إليه ويسخر له كل تفكير عملية نقل الذهب حتى يستطيع وضع هذا الثقل عن كاهله وفوقه فيروز

التي تعتبر نفسها والثقل المزعوم شيء واحد وإن لم يكن كفردوس الآن.

غاصت فيروز في أفكارها مجدداً مما أثار حفيظة صابر حتى صاح فيها.

قال صابر: لا أرجوكي فيروز، كفاكي أتوسل إليك إني.....

قبل أن يكمل اعتراضه عليها أشارت إليه أن يكف عن صياحه ثم بالصبر قليلاً قبل أن تشرح له سببها.

قالت فيروز: ما رأيك لو زرنا جدي سميح باشا غدًا، اتصل بممدوح ليسهل لنا من جديد هذه الزيارة ثم أحدثه في ما من شأنه أيضًاح ما بهذه الورقة، صدقني إن لم نجد لديه تفسير ففطنته قد تفيدنا ولو قليلاً، عنده إذن بالاتصال المباشر في مثل هذه الأمور دون الرجوع للقيادة العليا، قد أخبرني بذلك من قبل ودليلي حينما عرف خالي هاني ونفوذه في فرنسا وارتباط سفر فردوس وسفري لهناك بالأمور السياسية وهذه الأمور المتداخلة.

قال صابر: ليس هذا وقت تلاعب، أقصد بالأوراق، لأنه اختيار الأوراق والتي نريدها ويريدها التصرف الصحيح.

قالت فيروز: لا تتلاعب بالألفاظ يا صابر من أجل ما يجول في عقلك، أنا لا أتلاعب بك ولا بأي أحد تجتمع عليه مصلحتي مع مصالح ما أراه أو نراه صالحًا، أتعلم يا صابر أنك أريتني نصف الطريق.

قال صابر: الله أكبر والحمد لله.

أراد صابر أن يستطرد معبراً عما قالته فيروز في حقه لتوها إلا أنه وجد طمأنينة لكم وجدها بذكر الله ففضل أن يستبقيها في قلبه، لكن سرعان ما تغير ما في قلبه عندما ذكر ممدوح مرة أخري، كأنه أمس يتعاط الحقد، أمر محزن، فإن هذه الصفات المظلمة ما كانت تجد لقلبه الطريق السهل من قبل.

قالت فيروز: أتعلم النقطة الأهم يا صابر، ذات النقطة في هذه الورقة البغيضة التي يتضح أنها نقطة لم يكن لها لزوم أو كان في إمكانهم استبدالها بغيرها (حتى أجد طعامي)، أتذكر

هذه النقطة الوحيدة؟

قال صابر: آه، إن لم تجدي شيئًا فخذي هدايا خطيبك وتصرفي فيها حتى تستطيعي إطعام نفسك، أليس هذا معناها.

قالت فيروز: من خطيبي في تحليلك لهذا الكلام؟

قال صابر: ما خطر ببالي، أنا أو ممدوح.

قالت فيروز: أما ما خطر ببالي مع ما خطر لك شيء أهم بالنسبة لهم وإن وضعنا -كما في حسبانهم- هذين الرجلين هما (أنتما)، لألجأ لأحدهما في وقت عدم إمكانية التصرف في الذهب، الذهب هو الشيء الأهم، فإن لم تكونا في خاطري أو قلبي إلا الذهب، فعلي أن أشكل ما آخذه منه وهو القليل منه لأني سأبيعه هنا على قدر طعامي، هل فهمت يا صابر فيما حاولت تفسيره بهذه النقطة.

قال صابر: نعم، نعم، لكن لماذا سنذهب لممدوح؟ أقصد بعد ما قلتيه؟

قالت فيروز: أعتقد أنهم يعلمون عني كل شيء؟

.. قصدت فيروز علاقتها بممدوح وصابر وإمكانية استخدامها لهما معاً في مصلحتها من الناحية العاطفية وهذا لم تشاء إظهاره في كلامها مع صابر، الأشياء الأخرى مثل امتلاك القصر والأرض لوالد صابر الذي يوشك على الموت كمالك بالاسم وهذا ما تريد إظهاره لصابر مع قدرات ممدوح الأخرى

قالت فيروز: يعلمون لمن القصر والأرض في الأساس، أقصد باسم من ومثل ممدوح.

قال صابر: وهل يعلم ممدوح؟

قالت فيروز: ألم يكن بلجنة الجرد منذ أكثر من عامين!.

قال صابر: ظننت أنه كان مشغول بموت الحاج مندور أكثر من ذكر الأسماء كما ذكرتي لي ذات مرة.

قالت فيروز: لو أنه إنسان جياش المشاعر إلا أنه ليس غبي لهذه الدرجة.

قال صابر: ولعله ذكي أكثر من اللزوم.

قالت فيروز: ولو، إنه رجل عسكري وسياسي طالما يحكم العسكريون، لذلك أجده مشغولاً بما يمنعه من هذا التشتت إلا.....

سكتت فيروز وقد ظهر عليها الخجل أمام صابر حيث لمح احمرار وجهها، استطرد صابر وقد فهم ما تقصده.

قال صابر: ماذا لو كان له امرأة وليس في حاجة لأخرى.

تغير وجه فيروز لتلون تعبيري أظهره لون وجهها مرة أخرى، لكنه هذه المرة إلى ما يشبه الغبرة مما نطق صابر بطلب الستر من الله ثم تمتم.

قالت فيروز: ماذا تقول يا صابر؟ اتفقنا ألا نفكر في صمت أو كما فعلت هكذا بعبوسك.

قال صابر: استعيذ بالله من الشيطان حتى لا يدخل بينا من جديد فيعكر صفو تفكيرنا مثل كل مرة.

.. رفع صابر يديه كالداعي باسطًا كفيه ناحية فيروز قبل أن يستطرد.

قال صابر: ألم يحدث كثيرًا خلال هذه المناقشة الطويلة المكثفة!.

قالت فيروز: قص هذان التعبيران مرادي، توصلت لسبب التعبير الأول حينما أحمر وجهه خجلاً لأوصل لك مرادي ولم نتوصل لمرادي الثاني حينا تغير وجهي للتعبير الآخر الذي جعلك تستعيذ.

شعر صابر بالخوف من فيروز لسبب يجهله، إنها أول مرة تتحدث معه، إن كان يخاف عليها أكثر وليس منها وما كانت إلا هذه الكلمات الأخيرة التحليلية، إنها عظيمة التحكم في تعبيراتها، تري ماذا هناك في أعماقها الغائرة؟

قال صابر: فماذا تقصدين من هذه الزيارة يا فيروز؟

قالت فيروز: معرفة ما جهلته وأردته أنا، أريد أن أعرف لو في حياته امرأة يركن علي صدرها آخر كل جولة أم لا وهل يستريح معها أو لا ، فهمت.

قال صابر: مع الأسف يا فيروز، لكن ممدوح بلا سوار بنصر بيديه.

قالت فيروز: فهمت مع الأسف، نعم، لكن علي معرفة هذا يا صابر فقد يكون مقصوداً.

قال صابر: اختلط الحابل بالنابل والرقي بالدونية، لله الأمر من قبل ومن بعد، المهم إنقاذ فردوس.

قالت فيروز: أشكك للأبد، وإني لأتمنى ما ذكرته.

رجع صابر لصورة سميح جد فيروز، ذلك الرجل شديد المرض والبؤس، تلك الأمثال على الناس أن تتعظ بها وهو أولهم، كيف لم تتذكره كما يفهم هو هذه المشاعر بالمقارنة مع مرض والده مثلاً، فقرر أن يسألها.

قال صابر: لم تذكري جدك سميح باشا سابقاً شفاه الله وأظهر براءته بأي مشاعر حتى!.

نظرت إليه فيروز في خليطين من الاستهزاء والاستغراب معاً مما جعله ينظر تجاه الأرض قبل أن يفهم قصدها من هذه النظرة بسبب تملقه لها في جدها كأنه يدعوها لاجترار ألمها نحوه وهو يعلم حقيقته وسبب ما آل إليه في حاله، لكنها تكلمت معه على ما لم تلمح له به.

قالت فيروز: لا أكذب عليك أن أخبرتك بأني أتمنى له الخلص من ألمه!!.

obeikandl.com

الفصل الثامن

قالت فيروز: تمادى جدي في المرض وتمادى به علينا جميعاً، أليس كذلك؟

أرادت فيروز إضفاء بعض الترطيب على جو الأسي الذي حف غرفة جدها وكسر الصمت الجاثم فوق الأعين والألسن والقلوب، إلا فردوس، كأن هاتين العينين الجامدتين وليدتين الحضارة الغربية، أبيا طوال هذا العمر إلا بإخراج ما ينمان عن صاحبتهما، إنها مع ذلك في منتهى الطيبة، ليس ككلمة (إنها هكذا لكنها طيبة)، لا، إنها بالفعل في منتهى الطيبة من الداخل والخارج، فإنها بنفس مقاييس الطيبة والصلاح في أي مكان وزمان الوحدة، واحدة، لكنها أشياء طرأت على الإنسان عبر تاريخه الحضاري بما يغص به ويغلى بداخله ويجمد في أنحاء من أركانه وتناقل كل هذه الأشياء وغيرها حسب ما تقتضيه لصالح كل جزء منها على الآخر فيما ينقصه أو يزيد عليه بأساليب مختلفة ومتنوعة، بالأعراق وبالقوميات والأجناس والشعوب والقارات ومناطق المصالح

من ناحية، ونفس مناطق المصالح كحلقة وصل والمصالح بمفهومها ومفاهيمها والمعتقدات والمقدسات والأديان والمبادئ والأخلاق والثقافات واللغات والآداب بما تحويه وحتى التاريخ والجغرافيا وعلومها وما بها من ثروات ومجاورات والعلوم المتبادلة مع كل هذا، وكل هذا لزوم أساسيات كل إنسان وتنميتها، هذا العالم الذي تعيش فيه فردوس، والشرير يحيا بنفس الدائرة ونفس ما فيها ويختلف مفهومه الواحد أيضًا باختلاف كل ما ذكرناه، نعم، كانت فيروز التي تفهمها بهذا المفهوم وإن لم تدرك كنهه،إنها حزينة مثلها على جدها سميح ومثل ممدوح، وصابر بالأخص، لكنه بكل ذلك التداخل ما يجعل أي إنسان يظن في الآخر في اختلاف عنه ولو بجانبه ويجالسه، يشعر تجاهه بعكس ما هو حقيقي أو على الأقل بعدم اكتراث كما يفهم من الغرب، أو بالتبادلية المنحازة أو ما يشبه البله كما يفهم الغرب عن الشرق، وما بينهما وما ترامت أطرافه بتباينات كهذه، إن فردوس مغلوبة على أمرها بمنطق كل هذا الأماكن، في أي زمان أيضًا، لكنها تنقص أو

تؤيد بدرجات مختلفة، لكنها ما ذكرناه.

قالت فيروز: مالي ومال ما أفكر فيه يا ترى. أيتها الزمالة.

لم يتكلم أحدهم ولا ابتسم حتى، نظرت فيروز لممدوح، إنه رجل رقيق في خشونة داخلية، ثم نظرت لصابر، إنه رجل عكسه تماماً، (وليس كما نفهمه نحن الآن بعد أن أصبحت كلمة عكسه شبه دراجة المعني) بل إنه رجل خشن في رثة داخلية، إنه بالنسبة لما ترتب عليه فكرها هذه الأيام على اختلافها، إلا أنهما متعادلين، وهذا بالنسبة لها في إطار المقارنة ببعض شمولها،لا، بل أغلبه في مثل المقارنة في هذه الظروف المحيطة... تكلم صابر وهو لا يكاد يمسك بمخارج ألفاظه متململاً.

قال صابر: إن هذا الرجل في حالة ما رأيت أو سمعت مثلها، ولو في حياتي جللين وعلى اختيار أحدهما كالموت وهذه الحالة لاخترت الموت.

قال ممدوح: أنت مندفع يا صابر، قلت لي ما يشبه هذه الكلام من قبل على ما أذكر في الزيارة السابقة، لكني في أذني

همساً.

كأن ممدوح يتكلم وهو يشير بيده للجالستين معهما عن قصد واضح بعد قوله.

قالت فردوس: كلنا بشر يا حضرة الضابط الكبير، إننا فقط مختلفون ولسنا متخلفون.

نظرت إليها فيروز وحدها وهى تعرف أن لفردوس خبراتها في الحياة وعلى قدرها، كعباءة مطاطية على قدها، إلى الناحية الأخرى حيث يقابل مقعد فردوس السرير الذي يرقد عليه وإنما لم تشأ إخبار صابر برأيها في حالة جدها آخر مرة زاراه فيها وهو يعلم حالته ويشعرها أمامه أو يكاد، فما بال هذا المرة، هذه جثة جدها بها كقلب ينبض، حتى ملامحه قد غاصت بين هيكله العظمي وقد فغر فاه، يكاد لا يرى صدره جراء تنفسه، كم مرت مثل هذه الأمثلة على مر التاريخ، لكنها مراحل تكونه من البشر بأعمارهم القصيرة، منهم من لم يشاهد أية حالة كهذه في أية حياة كانت إنما كتبت المعايشة على كل الناس، مع بعضهم ومع خلافهم وبأية

طريقة، أما ما كان يفكر فيه ممدوح فكان مبهم أكثر منه متحفز للرد مثلما فعل مع صابر، كأن باحث لا يستطيع من معه- عما يبحث- أن يعرف كيف يتلمس ورائه أي بغية.

قالت فيروز: هل شاركت في حروب يا ممدوح؟

قال ممدوح: أنا لا أحب التباهي بهذا، ولا راحة على العموم.

قالت فيروز: على العموم!، نعم، لكنها كلمة وليدة الاشتراكية ككلمة دارجة ومستخدمة في كل الأوساط الآن.

قال ممدوح: حددي طلبك يا فيروز وسأجيبك عما تريديه إن أمكن.

قالت فيروز: لا أفهم فيما تفكر في إطراقه طالت إلا عندما حدثت صابر.

قال ممدوح: وما ارتباط فيما تذكرين؟

قالت فيروز: مشاهدة الدم ومعايشة القتال على ارض الواقع وما يتبعها من مشاعر وأحاسيس مع ما يتطلبه الموقف

قد يكون أثر على عدم تفكيرك في مثل هذه الحالات إلا بالواجب المتبع والبحث، هذا إلا في وقت تستطيع فعل أي شيء نافع أو مساعد.

قال ممدوح: مارست الحرب يا فيروز قالها ممدوح وهو قد بدا عليه الآسي المحسوس بدرجة الحاسة السادسة لفيروز التي تنمو سريعاً منذ تفاجئت بالألوان الحقيقية لحياتها من حولها كحقيقة الألوان بتمويهاتها فبدأت فيروز تغمض وتتجاهل الواقع وهي مأخوذة به، حالة تشبه سطوع الشمس في عين لم تشاهد النور منذ فترة طويلة عبر قوس قزح إذا ما رأح العين من ورائه وخلاله هذا الضوء، فمن تراه يستطيع ولا يفعل، هذا إذا استطاع فعله.

قال فيروز: أرجوك أن تكمل، آه.....

جته فيروز وهي تلتفت ناحية جدها، ثم تأوهت كتعبير عن لفت نظرها مع لفتتها لجدها وحالته، التي قد لا تستدعي أي كلام جانبي في رأيه، ورأيها أيضًا، لكن ممدوح أعجب بهذه الحركة متوازية رد الفعل ومتزامنة معاً، إنه يعجب بها

كل مرة بجد يدفعها، لكنه حاذر أن تلمح ما يفكر فيه بعدما عرف عنها ما عرفته عنه بالفعل وما ستعرفه بلا شك، لو بأي قدر، فهو بالفعل قد قاس من هذه الحرب اللعينة، حرب ١٩٤٨م، تلك الحرب التي قاسى فيها كل الشعب إلا من قامت عليهم الثورة من الأغنياء في الأصل وهو أقلية، ومن الفقراء من مرورا حركيا هذه العملية القذرة، وكلاهما مرتزقة، لكن هناك شيء مهم، في حرب ١٩٤٨ كحرب له خاصية متحرفة ومنحرفة. كان مثل هؤلاء العامة المرتزقة يكادون يكونون منعدمين العدد، إنها من كبار الشرق والغرب ذوات الشبه في السرائر والضرائر الضارات الضاريات في الفساد والإفساد. تلك الحرب التي كانت أشد قسوة علي أمثال ممدوح من المحاربين في قلب المعركة الدامي، إنه في صفقة السلاح الفاسد الشيطانية، كانت فيروز قد صمتت وتأوهت وأرادت أن يتضاءل تكمل كلامها قبل شرود ممدوح الذي شعرته هذه المرة بطريقة مبهمة كليًا، لكنها على الأقل شعرت به، عندها بدأ شعورها يتضاءل،

فأكلمت.

قالت فيروز: شعرت بك يا ممدوح، فيما سرح خيالك بعد سؤالي لك؟

قال ممدوح: فيما ذكرتني به يا فيروز، الحرب، إنها حرب من الحروب لها مآسٍ خاصة ومؤثرة في إسالة الدماء والعزائم والثقة في الناس جميعاً، إنها الخيانة المتجسدة، لكنه جسد فترهل بثقله من كثرة ما يشم به من الأموال المحرمة واللحم الميت بالمعرة، جثم علي قلوبنا وأجسادنا مرة بأول طلقة فاسدة.

قالت فيروز: لا يا ممدوح، تعبيرك شمولي، كأنهم جهلة وما يعرفوه مجرد حبر على أوراق أو ذاكرة مركونة في أفخاخهم المتطوعة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كأنهم يشربون كؤوس الخمر لينتشوا بها وهي الدم العفن المحرض على تجرعه.

قال صابر: صدقيني يا فيروز هانم، هكذا ذكرهم القرآن بالضبط، هم المنافقون.

قال ممدوح: إنهم أكبر الأخطار بغبائهم حتى على أنفسهم

فيما بعد كعبرات.

صمت ممدوح قليلاً قيل أن يتأسف على طول الحديث ثم يصمت مجددا، لكنها لم تكن الحقيقة والتي لاحظتها فيروز أخيرا و لم تجدها إلا من جنس ما فعله ويفعله معها، إنه إنسان صادق وإنسان قبل كل شيء كخصوصية أعمق قليلاً، بل كثيرًا، في شخصيته وكضابط أو مؤدي لأعماله بلمسة إنسانية ما تحتويه به على الفطرة السليمة دون تشويه،لكن من يكتمل في هذه الناحية. الكمال الإنساني إنها لم تكن حقيقة آسفة لطول حديثه لهذا، كانت الحقيقة أنه استغرق في الماضي متذكرًا إياه وننسى أن هذا المريض من أكابر من فعلوا هذه الجريمة النكراء والخيانة الفاحشة.

قال صابر: إنه الحرام على الناس والنفس خاصة الذي يذهب بالناس للهاوية.

ابتسم ممدوح في إعجاب وسرور بخلفية صابر الداخلية المتدينة وهو يذكر والده الشيخ الأزهري الذي ربى ولده على الإصلاح ولو كان لغوي ديني فقط، فالضمائر كشفها تحتاج

أدوات واختبارات، نظر إليه ويسأله عن والده حال تفكيره السببي ومازال يبتسم.

قال ممدوح: كيف حال والدك شيخ الأزهر الجليل يا صابر؟

قال صابر: الحمد لله، إنه أفضل قليلاً من.....

صمت صابر قبل أن يكمل كلامه بكلام يشبه ما حثه ممدوح على وجوب كتمانه عن ذلك المريض المسكين ، فكف صابر عن مقارنة المرض.

لم تكن فردوس على دراية بما أخفته عنها فيروز من أمر تلك الورقة المطبوعة علي الآلة الكاتبة بلغتها الأصلية، رفض صابر أول الأمر عندما طلبت منه فيروز حضورها معها لزيارة جدها لإحساسها بالخوف عليها لأن هذا الخوف غير مبرر، إن هؤلاء الناس إنما يريدونها أن تسافر وحدها، أي أنهم يريدون هذه الفعلة التي لم تتأكد منها، أن يفعلوها هناك عندهم، لكن فيروز تحول طلبها إلى إصرار حتى أرغمته لأسلوبها فاستجاب له تحت ضغط إصرارها المشتد لكل

محاولة منه لإقناعها بتركها، حتى نادت على فردوس وأخذت رأيها في زيارتها لسميح باشا فأبدت رغبتها في ذلك، بل وأنها تزوره أشارت لحظتها لصابر بأن إحساس فردوس يكمن تحته محبة لهذه العائلة رغم كل شيء، إنها ما تسميه العشرة يا صابر، أشار لها صابر بأنه هناك شيء أخيراً خطر بباله وعليه إخبارها به وأشار لفردوس بالمضي، قال لها إنهم قد يراقبوا ويشعر أولئك الناس بخوفك على فردوس فيرتابوا في أمرك من ناحيتها وناحيتهم، وأحسي الشكوك أيضًا في نواياهم، كان رد فيروز عليه بكلمة واحدة- لا عليك- نفت بها تحمله المسئولية عن أخطائها إذا وقع لفردوس ضرر بسبب هذه الزيارة.

قال ممدوح: على الرحيل بعد إذنك يا فيروز وبعد إذن الحضور فإن عندي ما أفعله الآن وحتى موعد سفري، هل لك أية طلبات قبل سفري وحتى عودتي يا فيروز.

قالت فيروز: بالطبع لي أن أسالك كم ستغيب وليس لي أن أسألك أين ستسافر ولماذا.

قال ممدوح: ليس الموضوع بالسر، سأسافر على رأس مجموعة من الشباب المنتقي من شبابنا للتفاعل مع الشباب في الهند كامتداد للدول الصديقة لمصر والتواصل السياسي والثقافي كمؤيدين في كثير من القضايا، غير أن الهند صديقة لعدة دول اشتراكية النظام وغير منحازة.

ذكر ممدوح عدد من الأقاليم التي سيزورها الوفد بالهند وبعض شئون التجارة المتبادلة وإن كانت أقل أهمية في الوضع الراهن،

قالت فيروز: لي عندك رجاء واحد يا ممدوح فلا تحرجني فيه مع صابر أفندي، إنه شاب مثقف ومهذب وبسيط الأسلوب وعلى خلق كما تعلم، غير مواهبه في الحوار والإقناع.

قال ممدوح: هل تريدين أن تزوجيه عن طريقي يا فيروز

قالها وهو يبتسم في مداعبة رزينة لصابر وربت على كتفه مما آثار غضب صابر أمام فيروز لكنه تمالك نفسه عندما عض على شفتها العليا بسرعة وقبل أن يلتفت ممدوح ناحيتها مرة

أخرى قبل أن تكمل كلامها وتعليقاً على كلام ممدوح.

قالت فيروز: ليس بالضبط.

ما أرادت فيروز أن تدخل في حوارات جانبية بأية حال إلا ما خطر ببالها لحظة ما ذكر ممدوح الهند في كلامه، فقد تذكرت شيئا مهما قد ينقذ عملية نقل الكتر في أقرب وقت ممكن ولعله السبب الذي كان يقف حائلاً بينها وبين فكرة صابر بادعاء مرض فردوس وعدم قدرتها على السفر في هذه الحالة، إنها كانت فيس شبه يأس من إخراج الكتر لفترة طويلة، فماذا ستدعي بعد ذلك، أتدعي موت فردوس، وحتى إن ادعت ذلك فأين ستهربها للأبد أو أقرب، لذلك أكملت فيروز كلامها بالدخول في الموضوع مباشرة.

قالت فيروز: أريدك أن تصحب معك صابر في هذه الرحلة الوطنية حتى تستفيد مما ذكرته لك ويستفيد هو من هذه الرحلة أيضًا، إلا أني أريده أن يجمع بعض المعلومات عن نباتات عطرية وزيتية أريد زراعتها هنا في أرضي التي هي أرض مصر كلها، إنه مشروع مربح للفرد المزارع وللدخل

الوطني كله، ما رأيك يا ممدوح؟

قال ممدوح: الآن استطيع إبداء إعجابي بك المتزايد بكل صراحة ووضوح.

تململ وتقلقل صابر في جلسته وظهر قلقه إلا أنه التزم بهدوئه مرة أخرى حتى يقف على حقيقة الأمر بعد ذلك من فيروز بعد أن نظرت إليه فيروز عندما أرادت معرفة رأيه في هذه الرحلة بالحديث معه وليس بالإشارات.

قالت فيروز: ما رأيك في هذه الرحلة الممتعة في عاصمة الهند وأقاليمه يا صابر أفندي، ستفعل ما كنت تريد، ألم تكن فكرت في الزراعي لتحسين الدخل وكمشروع وطني مربح معا.

نظر إليها صابر وصمت قليلاً قبل أن يجيبها، فهو سريع البديهة لكنه ما ذكر مثل ذلك من قبل، لكنها طالما قالت فإنها تريده أن يجيبها بالإيجاب لشيء في عقلها ستذكره له أكيد.

قال صابر: نعم يا فيروز هانم، بالضبط.

قال ممدوح: لا بأس، سأعمل على هذا سريعا بغض النظر عن صاحب الفكرة.

قالت فيروز: أنت أصحاب الفكرة الأساسية يا ممدوح من أجل نهضة مصر وما فكرت إلا في إطارها، فكرتي في سفره وفكرته في أسلوب الزراعة وخبرته عن المناطق التي توجد بها هذه النباتات والمناطق التي تصبح بها زراعته.

قال صابر: وأين لخبرتي المتخصصة المحددة في كل هذه الخبرات التي جمعها حضرة الضابط من الشباب المصري الواعد.

قال ممدوح: أشكركما، سوف اتصل بك يا فيروز لتخبري صابر بموعد الرحلة وأي شيء قد تحتاجينه لم تتذكريه بعد، إلى اللقاء.

سلم عليها ممدوح وحول نظره للمريض الميئوس منه بلا وعي ثم مضى مسرعاً.

قال صابر: هيا بنا لندعه يريح أعصابه.

قالت فيروز: وهل يشعر بشيء، هيا بنا كما قلت، هيا يا

فردوس.

ذرفت فيروس دمعة قبل أن تقوم من عين قد زردت، همس صابر في أذن فيروز بكلمة فبادلته بمثلها إذا قالا تعليقاً عليها.

قال صابر: قد دمعت عينها حمراء من قبل الدمعة وإن كانت الدمعة لا تجعل العين يتحول لونها للأحمر المتوقد هكذا.

قالت فيروز: لها الحق في أي ادعاء منك عليها، عرفته أنا أو لم أعرفه.

شد فيروز يدها لتنهضها قبل أن تتدهور حالة المبكي هذه في آخر الزيارة.

قال صابر: تخشين أن تهيج فردوس مشاعرك فتبكين يا فيروز.

قالت فيروز: ولما لا؟

في القصر احتدم النقاش بين صابر وفيروز حول السفر المفاجئ لصابر الذي أستغلهم منها مغاضبًا.

قال صابر: كنت سأنجرف للسهو عما كنتي تريديه مني يا فيروز رغم أهميته القصوى، على أية حال فأنا لا أعرف اللغة الهندية.

قالت فيروز: سيكون معكم مترجم.

قال صابر: ماذا على فعله عندما أريد الانفكاك عنهم لأشتري البخور.

قالت فيروز: سنأخذ المترجم في أي وقت راحة وتوضح أن له أجراً كبيراً إذا ساعدك في هذه المهمة الوطنية.

قال صابر: وإذا لم أستطيع إيجاد وقت فراغ كافي؟

قالت فيروز: تنفصل عنهم على موعد بميعاد السفر حتى تتقابل معهم، هذه أقصى مدة عليك أن تتصرف فيها دون جلب بذور، بل البخور فقط، قد يتطلب نقل البذور أي إجراءات لكني لا أعتقد أنهم سيلتفتون لبعض البخور الهندي.

قال صابر: الضابط ممدوح سيكون مشغول في العمل التوافقي.

قالت فيروز: نعم، أسمع يا صابر عليك أن تستشيره في هذه الأمور وأنتم في الطريق أو خلال الرحلة وكيفية تسهيلها عليك هناك.

قال صابر: إني أفضل تسهيل مترجم آخر أثناء تجوالي، إلى وصولي للنبات المطلوب في الأساس.

قالت فيروز: ليس هذا المهم ولو كنت تجده أهم، الأهم محاولة إحضار بعض بذور النباتات العطرية والزيتية قدر ما تستطيع كيفاً وليس كماً، قدر ما تستطيع، هه.

قال صابر: نعم نعم، سأفعل أقصى ما أستطيعه حتى أستنفد حيلي فيها قبل أن أنتقل لخطوة بديلة.

قالت فيروز: تمم الله فعلك بالنجاح.

قال صابر: إن شاء الله ستتم بالنجاح من أجل فردوس وقبل كل شيء.

قالت فيروز: هذه من أجل فردوس ولكن آخذ حقي منك.

قال صابر: لكم أنا في غاية الشكر لأخذك هذا الحق الجميل المأخذ.

قالت فيروز: أشكر فردوس على هذا الحق أيضًا لأنها وراء دافعي لأخذه من باب الترقيق لا الاسترقاق.

سرحت فيروز بخيالها عبر هذه الرحلة من ناحية كنهها لممدوح فحادثت صابر.

قالت فيروز: أرأيت إعجاب ممدوح بي واعترافه بذلك منذ أول مرة شاهدني فيها.

قال صابر: لا تعتقدي مما يعيه أو يعينه قلبك من هذا الإعجاب شيئاً، أعني التريث.

قالت فيروز: إياك والغرور كما أوصي نفسي ولا تخلط العقول بالقلوب بغير سبب.

قال صابر: لست أراني في حالة تسمح لي بتشتت أو مراوغة بلا جدوى.

قالت فيروز: قبلتني مرة واحدة وعلى وجنتي وفعلتها مثلك

معك بغض النظر عن تواريخ أو أحداث أدت لذلك أو حتى من بدأها، ولست بالأضعف.

قال صابر: أنا أم أنتي، أتراها القبلة تلك الأضعف؟؟

وجدت فيروز إنها تنقاد في الحديث كأنه رغماً عنها، إنها فضولية وهي تعرف نفسها جيداً، لكن الحديث أخاذ للغاية وشيق، ترى، هل يشعر بهذا صابر، لكن الرد جاء سريعاً.

قال صابر: إني أتكلم عن القبلة ذاتها بخصائصها ونوعيتها وتشابهها وتنوع مقاصدها واختلاف أحاسيسها المصاحبة ودوافعها.

قالت فيروز: تقصد بالمعنى، القبلة القبلة أقصد.

قال صابر: نعم بأحمالها دون اختيار محمل أو دافع واحد، وليست القبلة المجردة في ذكرها أو تمثيلها أو ما إلى ذلك.

قالت فيروز: آه، اسمع يا صابر لا أريد أخذنا من أطراف القضية بطريقة غير مدروسة أو بدائية ينتج عنها فشلنا إلا كمن يترك الامتحان بإرادته وهو يعرف كيف يجيب علي الأسئلة أو الذي ظلم فيه، اتفقنا.

قال صابر: اتفقنا يا فيروز، تفضلي بالإضافة.

انتقلت فيروز بصابر مرة واحدة إلى الحديث عن الرحلة كما فهمها صابر.

قالت فيروز: احرص على المال الذي ستأخذه معك أرجوك يا صابر.

قال صابر: ماذا تقصدين. وهل سأخذ معي كثيراً من المال؟

قالت فيروز: نعم، ستأخذه من أجل الغطاء على شراء البذور والقصد الرئيسي معا.

قال صابر: القصد الرئيسي هو شراء عشب البخور طبعاً.

قالت فيروز: بالطبع، لكن هناك ما هو الأهم، ستطلب أغلى نوع من البخور كالمستخدم في إخراج الكنوز من شجرة الجن، لكن عليك.....

قاطعها صابر مستنفراً.

قال صابر: وكيف عرفتي هذا الاسم، إني لم أقرأه في هذه

الكتب.

قالت فيروز: إنه الاسم المشهور به عند بعض هؤلاء الناس هناك وهي نادرة لا توجد سوى في المغرب والهند وقد سمعت أبي والمغربي يقولان هذا ذات مرة، هلا دعوتني لأكمل كلامي الآن.

قال صابر: تفضلي

جالت فيروز وهي تطوح بزنديها سوياً في حجرة المكتب ثم جلست متكئة على ذراع الكنبة الوثيرة الكساء المغطاة فوق حشوها الأوثر ذات الفخامة وكأنها تدعو للراحة وحدها بلونها الأزرق الداكن قبل استكمالها الحديث مع صابر.

قالت فيروز: إذا وجدت البائع متردد وليس بالمستغني فاسأله عن مكان آخر وأنت تزايد له في مقدار المال قدر المستطاع ولا تنسي الاحتيال على من يتواجد ممن معك بإبعاده كالمترجم مثلاً أو حتى من أصحاب البلد قد ترتاب فيه، خذ حذرك فلن أتواجد لأحذرك.

قال صابر: كنتي تستطيعي السفر بدلاً عني، لكني غار بك.

استفسرت عن معنى الكلمة الفرعونية مثل الجملة وهي نبهه لبعض تعاليه.

قال صابر: إني أبغض التعالي والكبر لكني أنساق بسياق الحديث على ما أظن، أما هذه الكلمة فما هي إلا مفردة من مفردات تشابهها كثيرة أثقلتها بقواعدها.

قالت فيروز: سأكتب بعد إحضار التمثال المرمري أو نقل الكتر، أيهما أو كلاهما حسب الظروف قصة أدبية عن هذه المغامرة أو ما يشابهها لو دعت نفس الظروف لهذا الأدب وتعبيراته وطوايا أيحاءاته وفلسفته أرضي من المادة العلمية الضيقة، لكن تباين واختلاف التوجهات لا يجعله أدباً عالمياً شاملاً- دون.....

قطعت فيروز كلامها لتعاود شئونها في الغبطة، فسألته قبل نسيانها للكلمة.

قال صابر: معناها هو، كما تشائين أو على كيفك أو أنتي

حرة أو ما شابه هذه الألفاظ من معاني مرادة مثلاً، أتعلمين أني أحببت الأدب الحديث عن الأدب القديم في أحيان كثيرة، قد وجدت به التحلل عن المتون في صالح المعني، هلا أكملتي لو تسمحين، أجد حديثك طيب فخبراتك أفضل.

قالت فيروز: دون الحساسية المفرطة في تناول أو انتقاد العمل أو النقص الخارجي عنه باتجاهات شتى ومصالح في حقيقتها كتلك المصالح المزيفة التي تحرمها الشرائع والتشريعات العالمية وأخرها الندم، إنها مزيفة لذلك.

قال صابر: لا فض فوك، وقد تذكرتي دون أن ألمح أيضًا.

قالت فيروز: إني كبيرة وقارئة ياه، ولدى لمحة إيحائية فوق هذا كله.

قال صابر: قولي كبرتي وقرأتي وأصبح لديك لمحات إيحائية لها وزن وقد لا تعترفي بمعرفتي أن تصبحي أديبة بهذه الطريقة.

قالت فيروز: لا يا صابر، إني متواضعة للغاية.

ابتسم صابر قبل أن يعلق على كلامها

قال صابر: نعم نعم يا أستاذة فيروز، ودليلي أداة النداء، يا.

قالت فيروز: اعذرني، فقد أصبحت أندمج كثيراً وبسرعة هذه الأيام.

قال صابر: أعذرك دائما بالقول والفعل.

قالت فيروز: لكني لن أعذرك بالقول ولا الفعل إذا فشلت في هذه الرحلة التي جاءت لنا من المساء.

قبل صابر يد والده قبل أن يتوجه لحجرة نومه لكنه بعد استلقائه على سريره سرى بفكره الليل في هذه الرحلة وما يتوجب عليه فعله بعد إبعاده لتلك البهجة التي تطغى على الخيال في القلب وتستخدم العقل فلا تدع له للمحاكاة العملية الجادة من مجال ولا فرصة حقيقية مطلوبة وعلى الأخص إذا كانت الرحلة ممتعة ــ إنه العمل ولو بأية صورة وكما يقوم، هم القائمون جادون ومتفانون فيه كمتقدمين به وبهذه الطريقة لتي تجعلهم فوق من هم أدناهم في مجالهم، نعم قرر التخلص من محاكاة الرحلات المدرسية والخلوية

والشاطئية، إنه في حاجة للمحاكاة التي قد تفوق يوم فتح الكتر مع المغربي وفيروز، إنها مثله مغامرة، لهذا قرر ألا ينهزم أمامها ويعمل على العودة بهذا الشعب بأي ثمن، ظل يفكر ويفند ويحلل ويقارن ويضع الحلول والحلول البديلة وما عليه قوله وما لا يجب قوله مع وضع بعض النقاط الخفية حيث ظروفها بوقتها، ظل على هذه الحالة حتى أذن الفجر، استغرب حيث فرنسا وما عليه لو سافر لهناك بدلاً من الهند، لكنه كان قد تعب من التفكير فقام لصلاة الفجر وعاد لينام بعد تعبه الشديد طوال اليوم.

فكرت فيروز في نفس الليلة بهذه الرحلة المثيرة التي لو نجح فيها صابر وضرب لها المثل في الرجولة كما ينبغي حتى يتم نقل الكتر بمفهومها وظفر بالعشب النادر سيتحول كل شيء للأفضل وتصبح هي الأقوى وصاحبة السر وصابر فقط. الرحلة مثيرة بالنسبة لها بدرجة القائد المنتظر للبطل وليس كرحلة البطل نفسه، وهو في هذه الرحلة ليس إلا صابر بالطبع، بكل ما كان عليه وصار عليه ويصير إليه طالما لم

يتركها، وهي مثله في هذا التطور طالما لم تتراجع عن هذه القضية النادرة طالما كان الكتر وذهبه قضية بمحتواها وأحداثها وتفصيلها وتنظر للحكم بمجمله من أجله ولإقامة العدل بمفهوم نتائجها بناء على تفاصيل مجرياتها، ظلت تفكر بدورها هذه الليلة حتى نامت وهي تفكر وتفكر، فقد كانت مرهقة بدرجة كافية تجعل الراحة المتمثلة في النوم لا إرادياً مهما كانت مغريات التفكير وما يترتب عليه وبعد تمامه من لذة عقلية كل درجة تلو الأخرى مثل لذة النوم بعد التعب ودرجاته مع التباين. في الصبح كانا في حجرة المكتب يتناقشان في هذه الرحلة تارة وفي الكتب القديمة للكنوز تارة أخرى إنهما قد اتفقا من حيث المبدأ على ما توجب فعله في هذه الرحلة، لكن معظم مناقشتها كانت قائمة على هذا العشب المستخدم في البخور وبعض النقاط المهمة التي تتحدث عنه في أحد هذه الكتب.

قال صابر: يظهر أن الجني جندار ومساعديه يعشقون هذا البخور وعطره.

قالت فيروز: بالفعل يا صابر!! لهذه البخور رائحة ذكية جداً.

قال صابر: إن رائحته ذات عبق أخاذ بالفعل، لكن ألهذه الدرجة التي تختالين بها على!!.

قالت فيروز: للنساء تذوق يتسع عن تذوق الرجال، فهذا معلوم يا صابر.

قال صابر: لعل تذوق الجمال يحتاج لشرائه في ظروف غير ملائمة.

قالت فيروز: يا أخ صابر، يا صابر الريفي، انظر حولك إلى الاخضرار والطيور والزهور والطبيعة الخلابة الجمال وتناول الأسباب ببساطة.

قال صابر: بدأت أميل إلى رأيك الشخصي في شاعريتك كأديبة منتظرة، أو لعلك تستنشقي دخان البخور كالجني جندار مثلاً.

قالت فيروز: تقصد أني جنية، مثلاً مثلاً.

ساد الصمت لما يقارب الساعة حيث استغرقت فيروز في أحد الكتب وكذلك صابر إلا أنه كان ينظر للهاتف من حين لآخر حتى قرر أن يحدث فيروز عما يجول بخاطره متسائلاً.

قال صابر: ألم يتصل بك ممدوح حتى الآن منذ البارحة؟

قالت فيروز: لقد اتصل بي بعد أن غادرت مباشرة البارحة، نعم

قال صابر: لماذا لم تخبريني منذ أتيت؟ وماذا قال لك بشأن الرحلة؟

قالت فيروز: سأجيبك حسب ترتيب سؤالك ، لم أخبرك حتى تأتي الفرصة لأخبرك ليس إلا، وقد جاءت بسؤالك أنت، وقد قال لي بشأن الرحلة أن أخبرك بالاستعداد للسفر...

(صمتت فيروز قليلاً قبل أن تنطق آخر كلمة بعدها تعبيراً عن السعادة بها).... غداً.

قالتها فيروز وهي ترفع يديها لأعلى رأسها وتشد انحنائه ظهراً عندما بدأت الكلام ومتهللة الوجه فرحة، فعلتها مع

بداية آخر كلمة وأنهتها مع نهايتها.

قال صابر: الغد يا فيروز، كيف سأستعد في هذه الفترة الوجيزة؟

قالت فيروز: ماذا بك يا صابر؟ هل ستوصى على سر الأسرار لجيش جرار فرد بفرد، ستجهز حقيبتك وسأوصلك إلى محطة القطار لتقابل ممدوح والوفد في المطار وستصل أنت قبلهم بأكثر من ساعة حيث ستكون في انتظارهم ليوفوك في كافتيريا المطار وتنضم إليهم وتسافروا جميعاً، ستكون أوراقك كلها ببياناتك الكاملة عليها أيضًا مع ممدوح، ما رأيك؟

قال صابر: مدهش بلا شك، متى ستقلع الطائرة هذه؟

قالت فيروز: السادسة مساء الغد.

تحدثا مجدداً ما يجب وما لا يجب في هذه الرحلة وما جال بخاطر كل منهما ليلة أمس حينما فكر كل في مكانه عن هذه الرحلة وما استجد على كل منهما من خواطر على صابر معرفة احتياطاتها والتعامل معها ومع مرادفاتها ومفاجئتها المحتملة ومراجعة الهواتف وطريقة الكلام عبرها.....إلخ

دق جرس الهاتف بإنذار لا تعرف فيروز كنهه بعد، رفعت سماعته لتجده خالها هاني يسلم ويسألها عن عدم سفر فردوس اليوم فقد كان ميعادها في السفر هذا الصباح في الخامسة منه فلماذا لم تصل حتى الآن، هناك من ينتظرها في المطار، كانت فيروز متوترة تحاول استشفاف أي شيء في لهجة خالها أو أي كلمة تضع يدها على حقيقة الأمر، لكنها فشلت.

قالت فيروز: أيها الخال إن فردوس مريضة للغاية حتى إنها لا تستطيع الحركة من على سريرها وإنها لحزينة لعدم قدرتها على السفر الذي تشوقت إليه كثيراً.

لم تكن فردوس على أي دراية بأي شيء حتى اللحظة التي أوقعت فيها عصير الطماطم الذي كانت تفضله فيروز من يده بمجرد سماعها لكلام فيروز في الهاتف وإدعائها لمرضها الوهمي، تشو شئت في خيوط السجادة وعقدها وتشابكت على قدمها، لكن قبل أن تسقط بجسدها على الأرض قفر صابر وأمسك بها وأخذ في حل الخيوط عن قدمها، وكانت فيروز تضع يدها على فمها وترفعها في حركات متتابعة حتى

لا تنطق فردوس بحرف قد يسمعها بها هاني خالها عبر الهاتف.

قال هاني: ماذا يحدث عندك يا فيروز؟

قالت فيروز: انظر يا خالي ها هي قد أتت بعصير الطماطم وهي تترنح حتى وقعت على الأرض من شدة الإعياء، إنها تريد إثبات صحتها لتسافر.

قال هاني: اعتني بها وسأتصل بك للاطمئنان عليها واتركي السماعة وانظري إليها يا فيروز فلعل حدث لها مكروه.

قالت فيروز: حاضر يا خالي، مع السلامة.

زفرت فيروز وهي تمد شفتيها بشدة حتى سمع لها ما يشبه الصفير قبل أن تتحدث لفردوس بما يجيش داخلها.

قالت فيروز: هل طلبت منك أي شيء؟

قالت فردوس: لكنك تحبين عصير الطماطم يا فيروز هانم بين الحين والحين.

ما أهت فردوس جملتها حتى دخلت في بكاء سرعان ما تحول لنشيج، أحست فيروز نحوها بحنين زائد فعانقتها وهي

تربت على ظهرها وتطمئنها وتحدثها وتوقرها بالأسف والاعتذار.

قالت فيروز: من واجبي حمايتك يا فردوس بأية طريقة.

قال صابر: لو تعلمي قدر المعاناة التي عانتها فيروز من أجلك هذه الأيام لقدرتي ما تقوله وصدقتيه بلا تردد أو مناقشة، وكذلك أنا.

قالت فردوس: من أبسط حقوقي معرفة ما يدور عني من حولي، هل حدث لولدي مكروه يا فيروز هانم؟

قالت فيروز: أقسم لك يا فردوس إنه بخير، إنما الموضوع يتعلق بك أنتي فقط، وإذا لم تسمعي لي وتنفذي ما أقوله فقد يمتد الخطر الذي أستشعره عليك لولدك.

قالت فردوس: وضحي أكثر إذا سمحتي يا فيروز هانم.

قالت فيروز: لا تظني أني من هؤلاء الناس من أي منظور، هذا ما أريدك التأكد منه قبل أي كلام مع كل هذا العمر معك والذي هو عمري كله، إني وجدت نفسي وليدة هذه الأجواء مثلما وجدتي نفسك تحييها ويحياها ولدك بدون

معرفته بها، لذلك توجب علي أن أعرف أين منجانا أولاً ثم أقرر ماذا علينا فعله بعد ذلك كصالح عام لنا جميعاً والفضل في إرشادي لهذا بعد متاهتي التي وجدت نفسي فيها لصابر أفندي، نعم يا فردوس إنها الحقيقة، علينا فعل ما يجب فعله أولاً ونعاني من أجله، إذا لم تسمعي لنا سوف تضعي ولدك في الخطر قبلك وقبلنا جميعا، ما رأيك لو قلت لخالي إن فردوس لا تريد السفر أو أنا لا أريد سفرها لخوفي عليها لطلبهم سفرها وحدها وتوصيلها لباب المطار فقط كحد أقصى بعلم خالي هاني أولاً.

قالت فردوس: هل طلبوا منك ذلك بالفعل؟

قالت فيروز: نعم، أسالي صابر ، ها هو أمامك.

قال صابر: نعم، طلبوا ذلك في ورقة منفردة عن أوراق سفرك مرسلة لفيروز بالخصوص وليس لك، لذلك تحتم على فيروز التصرف للأصلح.

قالت فيروز: حتى لو أرسلت هذه الورقة لفردوس خاصة و لم تفطن قد يكون فيها من خطر عليها لكان علي التصرف

مثلما تصرفت تماماً يا صابر.

أخذ صابر في شرح الحالة التي كانت تمر بها فيروز كما لم يرها من قبل في حالة مثلها أول ما قرأت هذه الورقة من شدة خوفها عليها وحبها لها، رغم أنه صاحب هذه الفكرة أيضًا، وهي ادعاء مرضها حتى يفوت على هؤلاء الناس الفرصة، رغم رجوع فيروز لها الآن بعد أن أطمأنت ولو مبدئياً وموافقتها عليها الآن، وشرح لفردوس أن فيروز كانت تريد حلاً ليس فيه ما ينفذ ذرة شك حتى نخرج كلنا لبر الأمان سوياً ونقف علي الأرض الثابتة.

قالت فردوس: والذهب ومصائبه ومصيره يا فيروز هانم وما أحاطتنا به لعنته، أليس هذا هو السلاح ذو الحدين المسلط على رقابنا شئنا أم أبينا.

قالت فيروز: نعم، كل هذا بسببه ولا ريب، لكن الأهم ما سيتسبب فيه بالخير أم الشر ولم وعلى من، هذه قضيتنا يا فردوس، الآن هذا مفهومها، أود أن تكوني قد توصلتي إلى الهدف المنشود بالتحديد بعد التجديد.

قال فردوس: أظنه تحديد المسار بهذا الذهب.

قالت فيروز: بالضبط، ما رأيك فيه؟

قالت فردوس: لنكمله سويا يا فيروز هانم، هكذا سيكون للمبادئ المنشودة بصيص من النور في نفوسنا المقهورة.

تناولوا تعليق فردوس جميعا وهو يتحدثون عن المبادئ والفضيلة والأخيار والأشرار وذوي المنفعة بينهما وهم المنافقون الأشد بخطرهم على الجميع وعلى أنفسهم، مع إدراك الجميع لهم في أغلب الأحيان وعدم إدراكهم لأنفسهم لفرط غرورهم وتوهمهم بأنهم آذى الجميع، كانت فردوس تتحول للهدوء حتى صارت هادئة تماما، استأذنت منها فقد وجب عليها تحضير طعام الغداء وتركتهما مازالا يتحدثان على نفس المنوال نسجاً حتى أتت تخبرهم بذلك فدعتها للجلوس معهما فما عاد ما يمنع ذلك بعد، همست فردوس بأذن فيروز تلفت نظرها إلى ما حدثتها عنه من قبل ألا تجلس معها إلا وحدهما، ذكرتها ثم تحدثت فيروز وهي تقصد أن يسمه صابر، دون هذا الهمس.

قالت فيروز: نحن اليوم ومنذ اللحظة سنجلس ثلاثتنا على الطعام طالما كان صابر معنا يا فردوس، هيا بنا فالآن بدأت أشعر بالجوع منذ عدة أيام.

قال صابر: صدقيني يا فردوس، إني أشعر بعد ما رأيتها بهذه الحالة من القلق عليك بأنها تحبك أكثر من نفسها، بل وتسربت إلى مشاعر من نحوك عن طريقها ما كنت أشعر بها من قبل.

قال فيروز: حتى أنا، ما رأيت صابر بهذه الحالة من القلق على- وعليك طبعاً- من رؤيته لي بهذه الحالة المذرية متفرقة الأفكار والتشتت والتي كنت أمر بها من هول المفاجأة التي قاربت الصدمة، كل هذا لمجرد شكلي في إلحاق الضرر بك يا فردوس.

أومأت فردوس برأسها وهي ترسم على وجهه ابتسامة هادئة، بعد أن طمعوا جميعاً وحينها كان صابر يحدث فردوس وهو يضاحكها تارة وفيروز تارة حتى لا تشعر بأي حدة أو قلق على ولدها والتي كانت على وشك رؤيته منذ سنوات

طويلة مرت عليها دون أن تحدثه ولو هاتفياً أو بخطاب، رفعا معها الطعام بعد ذلك وغسلوا الأطباق وشربوا الشاي جميعا في المطبخ أيضًا.

في الصباح التالي كانت فيروز عند صار تطمئن على الشيخ حامد وتسلم عليه وعلى أخت صابر وهي تحدثهم جميعا عن بساطة رحلة صابر إلى الهند ومدى النفع الذي سيعود على الجميع من ورائها وحتى لو لم يستطع صابر إحضار البذور كلها هذه المرة فقد يتفق على أشياء عديدة معهم ويتعرف على أشياء مختلفة فالسفر له سبعة فوائد كما يقال، كان صابر ممسكاً بيد والده يقبلها بين الحين والآخر كلما نظر إليه والده وهو يشعر بالإشفاق من هذا السفر المفاجئ والبعيد ولأول مرة في حياته، كم جاشت مشاعر الأخوة داخل هناء لنفس السبب، فهذا الأخ الأكبر والوحيد وها هو والدها المريض يحتاج لمن يرعاه معها ويرعاها.

قالت فيروز: ما رأيك يا شيخنا فيما أقوله؟

قال الشيخ حامد: الأمر لله من قبل ومن بعد.

قالت فيروز: هذه النباتات العطرية وذات الزيوت لها قيمتها الاقتصادية وعائدها المربح على المزارع والوطن كله عند تصديره.

قال صابر: يكفي يا والدي أن تغطي الاحتياج الوطني حتى لا تدفع فيها الدولة العملة الصعبة وتكلفة التوريد من بلادها التي عليها تغطية تكلفتها.

نظر صابر في إصرار قبل أن يستطرد مؤكداً كلامه لها قبلهما.

قال صابر: عندما نزرع هذه النباتات سيقلدن الكثير حتى نصل ما أقوله يا والدي إن شاء الله، سيكون هذا المشروع مشابه لمشروعك الذي أشرت ه قديماً على الحاج مندور الله يرحمه، مشروع الإنتاج الحيواني الذب بفضله أصبحت قريتنا الأولى فيه بالمنطقة والمناطق المحيطة كلها مما عاد على الناس هنا بالخير والبركة.

قالت هناء: تقصد أن مصر عندما تصدر هذه المنتجات ستكون مثل قريتنا ولا تشتريها من الخارج، مصر كلها،

أليس كذلك يا صابر.

قال صابر: نعم يا هناء.

قالت هناء: أرجوك يا والدي إنه مشروح وإن كان صغيرا في أوله إلا إنه سيكبر وسيعود بالخير على الجميع، دعني أقوم لأحضر حقيبة صابر.

قال الشيخ حامد: قد يقلد كل الناس وما يعود لزراعة المحاصيل الأساسية مساحة.

أرادت فيروز أن تثبت لصابر أنها ليست بالأقل وطنية منه بعد هذه النظرة.

قالت فيروز: حتى لو حدث ما تقوله يا شيخنا فالعائد الكبير سيغطي استيراد أي محاصيل أخرى وبأثمان أقل كثيرا، غير أن للدولة تنظيمها في شئون الزراعة، أليس كذلك يا صابر؟

قالتها فيروز وهي تنظر إليه وقد رفعت رأسها فجاءت نظرتها كأنها تنظر إلى أسفل منها لو أن رأسها مستوية وهي تعيد كلمة هناء لأخيها رغم أنها مازالت واقفة تنتظر موافقة

أبيها بالذهاب لتحضير حقيبته بعدما سمعته، ابتسم صابر ابتسامة خفيفة عندما لمحها قبل أن يعاود بالنظر إليه احتراما وتوقيرا قبل أن يتكلم.

قال صابر: سأعمل على هذا بقوة العزيمة والصبر والمثابرة إن شاء الله يا والدي (أكمل جملته وهو ينظر إلى فيروز) التوازي والمساواة في المصالح.

أشار الشيخ حامد لهناء بالذهاب لتحضير حقيبة صابر وهو يردد (لا حول ولا قوة إلا بالله وله الأمر من قبل ومن بعد).

قالت هناء: حال ما يحين ميعاد دوائك أكون قد أعددتها يا والدي.

حاولت فيروز لفت نظر صابر إلى زعلها منه حينما نظر إليها وهي تحاول إقناع الشيخ حامد بسفره للمصلحة العامة قبل الخاصة وأنها ليست أقل وطنية منه ولا من الشيخ حامد نفسه ولا من هناء التي سعدت بما سمعته من فائدة هذا السفر أيما سعادة.

قال صابر: قد فعلتها فلا تلوميني على ما أحسست به ولو كان غير صائب.

قالت فيروز: لم يكن صائب، احذر أن تسبق مشاعرك عقلك حتى تأتي بالسلامة.

قال صابر: قولي حتى ننهي نقل هذا الكتر الثقيل، حتى النطق باسمه، لكن بالصبر والمثابرة تهون الصعاب، إنه أصبح يجثم علي قلبي حتى أعرف ما بعد كلمتك التي تخدريني بها كل مرة هذه، سنرى.....

كانت أكملت فيروز الكلمة معه بالتوازي، سنرى.

الختام

أوقع صابر حقيبة أمام فيروز من يده اليمني وهو ينظر إليها وينظر إلى فيروز حتى تنظر إليها فتفهم إنه قد نجح في مهمته نجاحًا مزدوجًا، بل ثلاثيًا بعلاقته الجديدة مع هذا الشباب الرائع الواعد حين كانوا حوله وقتها وهم يخرجون جميعا من المطار حيث كانت فيروز تنتظر قدومه بعد إبلاغه إياها هاتفيًا من الهند.

تفهمت فيروز ما يقصده صابر على التوالي، وحتى بنظره لمن حوله وهو سعيد النظر إليها بعدهم الذي أسعده كأنها عاشت معه عمرًا بطوله رغم أنها أكثر من ثلاثين شهرًا بدأ يتعامل معها خلالها مباشرة وبالتدريج، لكنه موضوع الكتر يستأهل العمر في مغامرة شهر وأشياء أخرى لازمة وقد تكون ملزمة أيضًا، رأت فيروز ممدوح وسلمت عليه بعد أن رأته يغير بزته العسكرية فأشار إليها بالصمت وهو يبتسم في حرارة مقترباً.

أشار لهم صابر بالتزامن مع إشارة فيروز لممدوح وإشارته لها لكل الوفد بالوقوف ثم تلى الآية الكريمة ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ سبحان الصادق العظيم.

هلا أقول بعد ذلك في مصر قولاً، من الشرق إلى قلب الشرق كله، أما قولي عن الشرق وشرقنا بالذات أبلغ الشعر فيه قول بشارة الخوري حين وصف الشرق أبدع الوصف بغض النظر عن أنه وصف هذا جاء مقترناً برثاء أمير الشعراء- شوقي طبعاً- المصري العربي أحمد شوقي حين قال:

قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره فسدرة المنتهى أدنى منابره
وامسح جبينك بالركن الذي انبجلت أشعة الوحي شعرًا من منائره
إلهة الشعر قامت عن ميامنه وربة النثر قامت عن مياسره
والحور قصت شذوراً من غدائرها وأرسلتها بديلاً من ستائره

بكى صابر بعدها وقد كان بكاؤه لعودته للوطن دون أن يرى والده بعدها أبدا في هذا الوطن ولا بعد ما رآه آخر مرة عندما سافر ولا أي مكان أو زمان في هذا الدنيا بعد، فقد اتصلت به ذات مرات اتصالها به في الهند وقررت بعد تردد وإلحاح منه أن تبلغه بوفاة والده الشيخ حامد، التف حوله

الوفد يواسوه ويصبروه مرة ثانية لكنها بدت الآن أعمق لدى صابر وأصفى حيث كان عملهم الجاد في الرحلة يمنعهم من المواساة الرائقة في أوقات الفراغ، كانت هذه روحهم المتوقدة بالحماس هناك، شعر بهم هذه المرة وبعمقهم هذا فشعر بقدر ما في قلوبهم من حماس وأمل.

فقال وهو مازال يبكي: علينا بالعمل دون الركون لبهجة الأمل فقط، كلنا، فكم من أمل فعمل، وكم من أمل فأهمل، وأنشد قول شوقي في رثاء سعد زغلول مما حفظه من الشعر المنظوم سهل الحفظ والرقيق أيضًا كما هو منذ الأزل:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... والمنى الشرق عليها فبكاها
جلل الصبح سوادا يومها ... فكأن الأرض لم تخلع دجاها
ما درت مصر بدفن صبحت ... أم على البعث أفاقت من كراها
صرخت تحسبها بنت الشرى ... طلبت من مخلب الموت أباها

أخذته فيروز وهي تستأذنهم في المضي به حتى يرى أخته ويرتاح من عناء السفر ويزور قبر والده ويقرأ له الفاتحة/ فرأوا جميعهم الفاتحة ومنهم الذي قدس ثم ذهبا سوياً حيث مكانهما بقريتها الصغيرة كملكة صغيرة لكل منهما على حدة

ومعاً، لم يتحدثا طوال الطريق حتى وصلا لمترله وسلم على أخته وسط النسوة الجالسات في صحن البيت واحتضنها وهما يبكيان مما زاد من بكاء النسوة معهما وفيروز تهدئهما وتترحم على روح المرحوم ويردد وراءها النسوة داعيات بالرحمة للفقيد العزيز على كل القرية رجالها ونسائها وأطفالها، جلس صابر في البيت عدة أيام بعد ذلك يستقبل الرجال بعد أن علموا بقدومه من السفر ومنهم الكبير والصغير لكي يعزوه في والده فقيدهم بإجماعهم، جاءته فيروز ذات يوم تطلب منه الخروج معها لكنه رفض بشدة وقد بدا عليه الحزن الشديد وقد التحى وطال شاربه للغاية كأنه صر من أهل الكهف كما صورهم توفيق الحكيم وبغلافه عنهم. أصرت فيروز على خروجه، فسبب الخروج ليس لفسحة، وإنهما سيزوران الشيخ حامد في قبره ويقرأن له الفاتحة ولوالدها أيضًا يرحمهما الله.

قال صابر: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ صدق الله العظيم.

قالت فيروز: هيا أرجوك يا صابر.

قال صابر: كأني سأراه هناك من جديد من وراء القبر، سأقرأ الفاتحة من هنا حيث مكاني.

قالت فيروز: أليس زيارة المقابر جائزة شرعاً؟

قال صابر: جازت للموعظة وليس هناك موعظة مثل تلك التي أنا فيها.

قالت فيروز: أتوسل إليك يا صابر أن تقوم معي.

قال صابر: إلى هذه الدرجة يا فيروز هانم تبتغي قيامي لدرجة أنك تتوسلين، سأقوم ولا تحزني مني، آسف لا تغضبي مني.

قام صابر معها وألحت عليه حتى يخرج معها أيما إلحاح حتى هم بالخروج معها فاستوقفته وهي تعلق عليه.

قالت فيروز: بدل ملابسك أولاً يا صابر أم تراك ستخرج بهذه الهيئة، هيا احلق ذقنك وشاربك الذي قد يتسبب لك في المرض، ليس الحزن بهذه الطريقة يا صابر أتراني لم أحزن على

أبي مثلك أو أكثر منك.

قال صابر: مات والدك أمام عينك يا فيروز هائم.

قالت فيروز: مات بالحسرة وأنا أراه ولا أستطيع أن أفعل ولي شيئاً وما كان في استطاعتك إن كنت حاضر معه فعل أي شيء، لأنه قدر الله.

قال صابر: صدقيني، أعتذر لك يا فيروز.

قالت فيروز: متى زراعة بذور النباتات العطرية التي جلبتها معك، إني حرثت قدر ما قلت لي عبر الهاتف.

قال صابر: هذا الشهر على ما أذكر.

قالت فيروز: يتحتم عليك التذكر ومحو هذا النسيان المعطل، أنسيت وعدك لوالدك يرحمه الله بزراعة الأرض وتنمية الدخل والاقتصاد كله إن استطعت.

ذهب صابر للإصلاح من شأنه وجلست فيروز مع هناء تواسيها وتكلمها حتى فرغ صابر وقد رجع لأحسن صورة إلا لمسة الحزن التي تعتليه تلك منذ دخوله البيت ولم يجد فيه

والده أمام عينيه فعلاً.

قالت فيروز: انظر لهناء، إنه حزينة مثلما كنت أنا حزينة على أبي يرحمه الله.

قال صابر: ما لكما بارتداء ملابس رثة وعتق لحيتي.

قالت هناء: أريد آن أتي معكما.

قالت فيروز: هيا معنا يا هناء حتى إذا بكي الرجل الذي معنا زيادة عن اللزوم عملنا على تهدئته سوياً.

ابتسم صابر بلزمة الحزن التي مازالت بوجهه وأذن لهناء بالخروج معهما ومشوا حيث أطراف البلدة عند المقابر وقرأوا الفاتحة وترحموا على موتاهم جميعا ورجعوا بعد أن أوصلتهما فيروز لبيتهما على وعد بلقاء أخذته من صابر في القصر اليوم التالي ليريا ما عليهما فعله بعد كل هذه الأيام من زراعة الأرض والأشياء الأخرى التي كانت السبب في هذا كله بالأساس والتي يعلمها صابر جيداً. عكف صابر على الكتيبات التي وضع بها ترجمتها بالعربية عن طريق المترجم في أوقات الراحة وأخذ في مراجعتها لزراعة النبات غدا بطريقة

صحيحة في منطقة أوصي بها فيروز بإخلائها هاتفيا من الهند وكم كان يجب أن يراها والده قبل أن يموت مزروعة بهذه النباتات. توجه صابر في الصباح لمقابلة فيروز بعد أن ترك عمال الزراعة يجهزون الأرض فالبذور عندها منذ قدومه من السفر وقد أراد إحضارها لزراعتها قبل مرور الوقت المحدد للزراعة في هذه الأجواء لهذه البيئة، أما الأرض فليس أجود منها في أي مكان، قال صابر هذا السرد لفيروز وهو يحضر البذور من عندها.

قالت فيروز: إن أرضنا السمراء جواده فعلاً يا صابر، إنها كنز وحدها.

قال صابر: هذا ما خاف عليه علميا وعمليا وما تحتاج إلا الجهد والطرق الصحيحة في زراعتها والمحافظة عليها.

قالت فيروز: صحوت منذ الفجر أعد الطعام مع فردوس لهذا اليوم، سيعجب الزراع كثيرا هذه المرة.

قال صابر: أكنتي تعلمين بما سأفعله اليوم؟

قالت فيروز: عدت أعرفك كثيراً يا صابر فأنت رجل جاد

وصادق حقاً.

نزلت فيروز إلى الأرض تسقي الزراع وهم يعملون وتشجعهم وتداعبهم مما لفت انتباه صابر وأسعده بالانشراح وهو يضحك لفعلها ويضحك معه الزراع، لكنهم كانوا مستمتعين بالماء المثلج والعصائر الفاخرة التي تقدمها لهم بين الحين والآخر وهي تردي قفازا وحذاء يصل إلي قرابة ركبتيها وبنطال جيتر وقميص أبيض حريري ناصع يعكس ضوء الشمس وقد انسدل شعرها على ظهرها فغطاه وتحمل شمسية وعندما تقف تنشرها فوق رأسها ذات لون مبتهج يغلب لون زهورها الأحمر على الأصفر.

قال صابر: عليك بالذهاب لفردوس فقد تحتاجك بجوارها وسألاحظ الزراع حتى ينتهوا من عملهم فما عاد أمامهم إلا القليل منه.

قالت فيروز: أشكر لك شعورك نحوها في ظروفك هذه يا صابر.

قال صابر: لا تقلقي، سننجز كل شيء في القريب العاجل

إن شاء الله.

قالت فيروز: أخبر هناء بأن يوم دعوتها الذي وعدتها به سيكون غداً منذ الصباح، يمكنك أخذ مفاتيح السيارة آخر اليوم لتأتي بها صباحا.

قال صابر: بل سأوصلك الآن ثم أعود بالسيارة لتوصيل العمال بعد انتهائهم من العمل وبعد ذلك نرى ما علينا فعله.

كان صابر جالساً في جنينه القصر ضحى اليوم التالي بعد إحضاره هناء ورجوعه للاطمئنان على الزراعة ثم رجوعه للقصر مرة أخرى حيث وجد فيروز وهناء يتمشيان في الجنينة وهم يتحدثان فلم يشأ قطع خلوتهما الخلوية هذه فجلس وتركهما.

قالت فيروز: أتعرفين شعوري نحوك يا هناء منذ قدومك في الصباح، أراه أصبح مختلف ولا أدري لماذا!!.

قالت هناء: حتى أنا مثلك يا فيروز.

قالتها هناء وهى تنظر فيما حولها من أشجار وأزهار منسقة جميلة غير المألوف من أعمال الزراعة العادية والأشجار

العادية المتناثرة خارج هذا السور قبل استكمال كلامها مع فيروز معللة.

قاغلت هناء: هل يضفي المكان وسيرة صاحبه وتعايشه معه ومن خلاله مع الناس الأقل في المستوى الترفيهي وغيره شيئاً من الحب أيضًا يضاف إلى الحب العادي أو غير العادي يا فيروز؟

قالت فيروز: إنه لاحتمال لا يستهان به يا هناء!!.

حينما أجابتها فيروز كانت تعجب من السؤال والتفكير في إجابته بالفعل، ليس من ذات السؤال إنما بارتباطه لهناء على الأخص، لكن ليس بدرجة فارق بينهما كبيرة فقد فكرت فيروز في أشياء تشبه في غشاوتها ما على هناء الآن عندما زارهم لأول مرة، لكنها الفروق. كما لو أن هناء شعرت فيما يجول بخاطر فيروز وبدأت تفهمه وإن لم يكن موجود من قبل بعد أن زارها في هذا المكان بالفعل فتذكرت والدها وشعرت بالحنين إليه فبكت دون إرادتها حتى فأجات فيروز وجعلت مبرراتها تتضارب خوفا من أن تكون ذكرها

دون قصد منها بما يحزنها فوق حزنها على والدها الفقيد، فقد ظهرت لدى فيروز حساسية من مثل هذه الأمور اللاشعورية المحزنة والمقلقة بالممارسة على مر هذه الأيام التي بدأت بموت والدها ثم توالت متلاحقة بموت والدها، قد مر اليوم بعد ذلك غاية في الروعة والاستمتاع بعد تطرقهما لأحاديث وقصص أخرى وجديدة تنوعت من حيث الزمان والمكان وما فيهما من بشر وحيوان ونبات وحجر وماء وغيره أيضًا، ثم لبوا جميعا نداء فردوس التي تأخرت بإعداد الطعام حتى بعد العصر، وجدتها هناء أكثر منهم جميعا وليمة فاخرة وشهية لذيذة شكرت عليها فردوس كثيرا قبل شكرها لفيروز بطريقة غاية في البساطة والبراءة.

قالت فردوس: ماذا علي القول لها يا فيروز هانم باللغة العربية كما يجب.

قالت فيروز: قولي بالعربية ما تعرفيه ويخطر ببالك بمثل تلقائيتها وبساطتها هذه.

قالت فردوس: هذا ما جعلني أسالك عندما شكرتني أنا

وقبل أن تشكرك.

نظرت فردوس لهناء وهي تنحى قبل أن ترد عليها وتعتدل مرة أخرى.

قالت فردوس: بالهناء والشفاء يا هناء.

ضحكوا جميعاً على التوالي كان أولهم ضحكاً هو صابر لتشابه معنيين لنفس اسم هناء في رد فردوس حتى تبعه فهماً لها وضحكاً فيروز فهناء وعندما سألت عن سبب ضحكهم فردوس، أجابتها هناء بتشابه اسمها مع ردها عليها في هذا التعقيب الاستعفائي، سألتها فردوس عن معنى التعقيب الاستعفائي.

قالت هناء: التعقيب على ما قلته أنا وهو مثل كلمة شكرا، الاستعفائي هو ما قلتيه أنتي يا فردوس مثل كلمة العفو، كأني قلت: شكرًا، وكأنك قلتي: العفو

شكرتها فردوس على الأيضًاح وكذلك فيروز، قامت فيروز لترفع المائدة مع فردوس فلحقت بها هناء وفردوس تحثهما على الجلوس معًا.

كانوا يشربون الشاي في الجنينة مع الغروب وفردوس قد أجلسوها معهم حينما كان الجنايني ينظر إليهم وإلى فردوس على الأخص بين الحين والآخر فقام إليه صابر وأمره بإنهاء هذا اليوم ثم يكمل باقي العمل في الغد حتى ذهب مغادرا.

قالت هناء: أليس هذا شلبي على ما أذكر يا صابر.

قال صابر: نعم، هو هذا شلبي الذي كان يعمل هنا حتى تم تسليم الأراضي الزراعية.

قالت هناء: لكنه مازال يعمل هنا!!

قالت فيروز: يأتي كل عدة أيام يفعل ما يجب عليه فعله مقابل يومية أو أكثر ليس إلا لكنه ما عاد يعمل على الشهر لتعذر ذلك بعد توزيع الأرض مع الكثير مثله ممن تركوا العمل هن.

قالت هناء: الآتي حلي وأفضل إن شاء الله يا فيروز.

أجابتها فيروز بالمشيئة في إطار تعقيبها على كلامها الذي أخرجته مصاحب لتعبيرات وجهها المتأثرة والمؤثرة في نفس الوقت بما يشابه ذلك من قبل هناء وبدءها بالمشيئة من قبل

متأثرة الكلام وكأنها عاشت في نفس مستوى فيروز الترفيهي لكنها لم تنتاب بمثل نائبتها في أملاكها، وهذا ينم على نقاء هناء في مواساتها بذكر ما فات وليس العكس متفاعلة بالتراقي كعامل مساعد في التقارب وليس الترقي وليس الترقي الفعلي فيما يشبه المحاكاة إن لم تكن ذاتها لغويا بصرف ما يقصده المعنى عن ضمائر متابينة، فإن كان ضمير هناء غير سليم بمعنى طويتها لكان هذا التراقي استرقاء، مما قد يدخله في أشياء لمعانٍ أخرى، كانت فيروز تحدث صابر وقد استغرق في تنفيذه لكلام كل من هناء أخته وفيروز كشريكة في غير الزواج، مع تباعدهم الاجتماعي والثقافي واشتراكيتهم السياسية التي باتوا يحبوها معاً لم تغير شيء في النساء أبدا ولا حتى اشتراكها في الجلسة رغم حسن النوايا التي أثقل كتفها حتى لا يظن عكس ذلك في أقرب الناس إليه الآن،وأكثرهم احتياجا له وأحتياجاتهم.

قالت فيروز: هيه، فيما سرحت يا صابر وتركتنا

تنبه إليها صابر ونظر بعدها لهناء وابتسم في حنان

وتعجب.

قال صابر: وهل لي مكان أذهب فيه إلا معكما.

قالت فيروز: أرجوك مقاومة أية عوامل تقاعس هذه الأيام الحاسمة يا صابر، لا تجعلني من هذه العوامل ولا هناء على قدر الاستشفاف لما هو آت.

قال صابر: إذن هيا بنا يا هناء حتى أوصلك للبيت ثم أعود فقد غربت الشمس وعندي مع فيروز عمل علينا إنجازه سريعاً.

نظر إلى فيروز بعد أن كلم أخته وضرب بيديه على ركبتيه في حماس وقام واقفا أكثر حاسماً، ولكم سعدت به فيروز من أجل كل شيء.

قالت فيروز: دع هناء معي يا صابر.

قال صابر: بعد ذلك قد يكون، هيا يا هناء حتى لا نتأخر.

لم يغير كلام صابر ما انتابها من سعادة ولو مثقال ذرة، إنها ستحقق كل ما أرادته إلا بعض ما تركته لما سيتراءى لها فيما

بعد والغيبيات بمعناها الأوحد دون حسابات أو قراءات مستقبلية.

قال صابر: هل تأذني في السيارة حتى أعود سريعاً، وعلى العموم فمازال هناك بعض النسوة يأتين لتسليتها ومسامرتها وحتى البارحة.

أعطته فيروز مفاتيح السيارة وهي تخبره ين الرجوع أو الانتظار للصباح لو شعر بعض الرغبة في الراحة.

قال صابر: كفى لا نعلم ما يستجده علينا الوقت بجديده.

سلمت هناء على فيروز وقبلتها وانصرفت مع صابر بعد السلام وكلامه وبعد قيامه بتوصيلها رجع حيث سيبدأ العمل الذي كم انتظره ولكم كان يجثم على قلبه لمجرد إنه حجة فيروز في أي تصرف أراد القيام به بخصوص هذا الكنز، إنه النقل، نقل الكنز إلى حيث لا يعرفه إلا هو وفيروز فقط حتى يتحروا من أية قيود لعوامل خارجية أو مؤثرات داخلية قد تقود عملهما، رغم أنها نظرية فيروز في الأساس إلا أنه رآها الأقرب للخلاص من هذه القصة الخطرة ومعه فيروز إلى ما

هو أقل خطورة على الأقل، وصل صابر إلى فيروز فاستقبلته مجدداً وتوجها إلى حجرة المكتب وأمسكا بالكتب وقبل أن يبدأ ومعه فيروز حكى لها عما جال بخاطره وهو في طريقه إليها فانتبهت للجزء الخاص بالأقل خطورة إذا تم نقله في مكان سري.

قالت فيروز: لاحظ يا صابر أنه لو علم أحد بهذا الموضوع فسيكون كأنه علم بمكان الكتر بعد استكمال الضغط على أحدنا أو كلينا معا عن طريق أي أشخاص أو جهة لا نعلم عنها شيئاً أو نعلم عدم مشروعيها ومع أننا سنكون قد فعلنا ذلك رغماً عنا إلا أنه سيكون مبرر غير كافي المرة لحسن نوايانا.

قال صابر: صدقيني فرغم بي لأول مرة أفهم نظريتك إلى هذه الدرجة إلا أني لم أكن لأحدث أي إنسان تحت أي ضغط كمبدأ وبديهة أخلاقية.

قالت فيروز: هيا لنبدأ في مراجعة الخطوات الأساسية ثم ننقلها في أوراق حتى لا ننساها عند التنفيذ.

قال صابر: لا أرجوك، ستكون كارثة عندئذ.

بعد استمرارهما مراجعة هذه الخطوط وحفظ هذه النصوص الغريبة بألفاظها حتى ولو لم يعرفا بعض كلماتها أو معانيها ونقلها لها في أوراق ثبتتهم فيروز بدبوس ورقمتهم وحددت على الخطوات ورتبتها وبعد انتهائها من كل ما تأكدا من انتهائه سألها صابر عن المولد والاستعدادات الحياتية الأخرى التي كانت حدثته فيها منذ مدة فأكدت له وجود كل شيء كما جهزته خلال سفره.

قال صابر: من أين كان لك كل هذه الثقة في، وماذا كنتي ستفعلين لو جلبت معي عشب البخور؟

قالت فيروز: ما كنت سأفعل شيئاً، إلا أني كنت على ثقة بذلك، صدقني.

قال صابر: إني معتز بهذه الثقة جداً وأحمد الله على أنه لم يخذلني أمامك.

قالت فيروز: صحيح يا صابر، ماذا فعلت حتى تجد البخور؟

قال صابر: كان بتوفيق من الله وبعد أن يئست، وجدت حانوت للعطارة بعد زيارتي لأشهر ومعظم حوانيت العطارة في بومباي والأقاليم التي زرناها، وعن سؤالي لصاحبه وجدته ينظر إلى من رأسي لأصابع قدمي عدة مرات قبل أن يحدثني بلغة هندية عجيبة فأشرت إليه مرة أخرى بنفس إشارتي الأولى عن الدخان والبخور الذي يستخدم في إخراج الكنوز من باطن الأرض وأنا أشير للأرض والذهب في الحانوت المقابل وأنا أتلفت حولي حتى لا يراني أحد أفراد الوفد الشبابي أو ممدوح....

قالت فيروز: آسفة على المقاطعة، لماذا كان ممدوح يرتدي ملابس مدنية؟

قال صابر: إنه كان على هذه الحالة طوال الرحلة وقد أوصانا ألا نناديه بحضرة الضابط ولا تسأليني لأني لا اعرف حتى الآن، فقد يكون الأمر أبسط مما تتصورين أو أتصور.

قالت فيروز: لا عليك، أكمل كيف حصلت على البخور؟!.

قال صابر: آه، نعم أخرج الرجل من جيبه نقوداً وأشار إليها إلي بما فهمت ما يعنيه أني بكم أريد هذا البخور فقلت له بخمسة آلاف جنية مصري لكنه لم يعرف كم يساوي هذا المبلغ بالروبية أو العملة المحلية فعملت على حسابها له سريعا فأعطاني هذه الكمية التي عندك في الحقيبة بعد قيامه بوزنهم على ميزان صغير ودقيق للموازين والأثقال وكأنه تحفة، وما أن انتهيت من أخذ البخور وإعطاء النقود للرجل إلا قد وجدت ممدوح يقف إلى جواري، ويضع يده على كتفي وهو يسألني إلى أين أذهب وسط هذا الزحام وإني لو تأخرت قليلاً ما كنت سأعثر عليهم أو لو بعدت أكثر قليلاً.

قالت فيروز: هل لاحظ شيئاً؟

قال صابر: لم يلحظ أي شيء غير أني كنت أتعامل مع المواقف بجدية أكثر بعد اتصالك بي ذات مرة وإخباري بوفاة والدي إلا أني لم أدع هذه الواقعة تؤثر في عزيمتي رغم مقاساتي في مقاومة الإحساس بالحزن على والدي وأنا في هذه الظروف وعلى بعد هذه المسافة.

تطرقا إلي هذه المغامرات التي مر بها خلال رحلته في شتى أنحائها ومناحيها وكيف اشترى البذور بالألف جنيه التي تركها لهذا السبب بعد أن وعده بائع في إحدى المشاتل بالقرب من ضواحي نيودلهي بإحضارها له عندما يعود بعد إخباره بالعودة إليه بعد ثلاثة أيام وعلى قدر المبلغ حتى عاد مرة أخرى إلى نقطة الحديث عن الرجل الذي اشترى منه البخور المستخدم في فتح الكتر، عندما قاطعته فيروز.

قالت فيروز: ألا ترى أن هذه القبضة الصغيرة من هذا البخور باهظة الثمن!!.

قال صابر: أتعني بهذا الشك في ذمتي؟

ضحكت فيروز وهي تشير إليه بسبابتها بالنفي قبل أن تستطيع الكلام.

قالت فيروز: آسفة يا صابر لكن شر البلية ما يضحك كما يقال.

قال صابر: أي بلية تقصدين؟

قالت فيروز: البلية الكبرى عندي هي اتهامك بالغش أو

النصب ولو كان من يتهمك هو أنت نفسك فأنت فوق الشبهات وما كان هذا قصدي، على أي حال إنما ما قصدته هو شكي في أن تكون خدعت في هذه الكمية بهذا المبلغ.

قال صابر: هذه الأعشاب تستخدم في الكنوز، إنها الكنوز ولهذا فلن تكون أقل من هذا، ما زلت أقول بيني وبين نفسي وحتى اللحظة إن هذا العطار باعني هذا العشب بأقل الأثمان إن لم يكن بأبخسها.

قالت فيروز: لا عليك إنما كان مجرد استفسار.

قال صابر: إذن هيا لننهي هذا العمل اللعين بأقصى سرعة ودقة حتى نرى.

عملا على ترتيب الأشياء سويا وهما يتبادلان كلمة سنرى وهما يبتسمان حتى أنهيا كل شيء ووضعوه بركن بحجرة المكتب حتى تأتي الليلة القادمة التي كانت ستضيع عليهما من حيث توقيتها والتي كان صابر قد نسيها بسبب وفاة والده ولم تنسها فيروز حتى قرر هو البداية بعد إهماله الذي اعترف به لفيروز اليوم وقت الغداء مع هناء أخته التي جعلت لها

فيروز هذا اليوم، كان الوقت قد تأخر حتى قارب الفجر فاستأذنها صابر وهو يوصيها الراحة فالليلة القادمة ستكون حاسمة وقد لا تتكرر فرصة مثلها لهما بعدها، أرادت فيروز إعطاءه سيارتها حتى لا يمشى على قدميه ويأتي بها في الصباح لكنه لم يوافقها فعليهما الابتعاد عن بعضهما البعض حتى منتصف ليلة الغد فوجود السيارة معه تدل على وجود مصلحة غير الزراعة طالما أنهيناها ولن نعود للعمل فيها إلا بعد أسبوع كامل، وعلى الأخص في هذه الظروف فقد يتساءل أحدهم لماذا يترك بيته ومازال الناس يذهبون إليه حتى هذه اللحظة لمواساته وتسليته ويذهب لقصر فيروز هانم وليس هناك ما يدعو لذلك من الاحتياجات المعروفة لها أو المصالح لمشتركة المعلومة، اقتنعت فيروز برأيه فتركته بعد توديعه لعدة ساعات، بعدها خرج صابر من بيته بعد تأكده من نوم هناء وتسلل على الطريق المؤدية إلى قصر فيروز وقد غطت القرية في نوم عميق وعندما وصل للقصر وجد البوابة الخارجية بلا أقفال فطال المزلاج بيد وفتح البوابة وعندما دق جرس الباب

فتحت له فيروز وهى تستقبله بابتسامة تترجم بالإصرار والتفاؤل معا بداخلها.

نقلا ما سيتسخدماه إلى صندوق السيارة على عدة مراحل في صمت وحذر.

قالت فيروز: اسمع يا صابر، ما علينا فعله هو فتح الكتر واستخراج التمثال المرمري فقط وما بعد ذلك سيكون في القصر هنا في سرية وآمان أكثر احترازا عن القيل القال.

قال صابر: ليس هذا الأمر ليتحمل حرف جر واحد.

قالت فيروز: يظهر أن ممارسة الحروف زادت بهذه الكتب معك نضوجا.

قال صابر: عندك حق، أين زوج سعدية كما تحبي كنايته؟

قالت فيروز: جعلت سعدية تأخذه بنفسها هذه الليلة وحتى لا يبيت هنا الليلة وليس في مبيته رغبة، ويكون كالماضي بالعكس في طريقه مقابل بغبائه.

خرجا حيث الكتر بالفدان البور على أطراف الوسية

وأنزلت فيروز الأوراق المدونة والبخور وأخذتهم معها وهي تنتظر صابر حتى أنزل المولد الكهربائي الذي كان كبير الحجم نوعا ما في هذا الوقت وحمله على كتف وتوجها إلى داخل الفدان بين الحلفا والحجنا والبوص البري وشجيراته البرية وعندما وصلا إلى الجدار الصغير وضعا ما يحملاه وألمحت فيروز إلى الوقت ثم ذكرت صابر بالطعام والماء في صندوق السيارة حتى يأخذها معه بعد فتح الكتر مباشرة فالبخور لا يتحمل كل هذا الوقت بهذه الكمية الصغيرة التي أحضرها صابر معه بعد سفره، بعد هذه المحاورة صمم صابر وثبت على تصميمه بألا يحضر طعاما ولا شرابا ولو كلفه عناده هذا حياته، حتى تطور الأمر بينهما إلي إلغاء كل شيء والرجوع حتى بدون حنين، بل عندما أرادت فيروز تهدئة الأمور بالموافقة على أن يأخذ معه المولد الكهربائي فقط وألا يتولى هو فتح الكتر وتلاوة العزائم وتنزل هي للكتر لجلب التمثال بعد أن يساعدها في إنزال المولد الكهربائي، تراجع صابر عندما ذكرت له هذا الحل الأخير وهي ترجوه إلا يفت

في عضدها ولا يهدم بنفسه كل شيء قبل بنائه إنما تعينه هو سلامة العملية وأعاملها معاً.

قال صابر: كنتي تلمحين بالوقت وها هو الوقت يفلت من بين أيدينا.

قالت فيروز: ماذا تريد يا صابر؟

قال صابر: سأنزل أنا لأسفل وسأحمل معي المولد حتى لا تغضبي، هيا.

وقفت فيروز وهي تمتز في محاولات متلاحقة بين الإرادة واللاإرادة لكي تتزن أمام الموقف المقبل بعد لحظات فوضعت الورق على صخرة صغيرة مستوية في مشبك شبه البرواز المخصص لحفظ الصور الضوئية ثم جلست واضعة ركبتيها بعرقوبيها ومتوازيين علي الأرض كجلسة التشهد في الصلاة أو كجلسة شرب الشاي في اليابان وقد انحنت ناحية الأرض وبدأت في إشعال البخور وهي تتلو المتون المدونة أمامها في الأوراق المركزة التي أمامها، كان بجوارها صابر ينظر إليها في توتر واضح وهو يدير المولد الكهربائي الصغير حتى لا ينشغل

في معالجته بعد فتح الكتر فيتسرب الدخان ويفني البخور بلا فائدة وهو ما أوجد ولو حتى شعلة معدة كتلك التي أعطاها المغربي من قبل بسبب تصميم فيروز علي إنزال المولد للكتر معه ومعه الطعام والشراب والغطاء تحسباً لإغلاق الكتر لأي سبب أو لأي واعز، لكن بعض صدامها الهامس تقرر إنزال المولد الذي يتطلب إدارته وقتا ولو قصير.

قال صابر: ماذا كنتي ستفعلين لو نفد البخور؟ هل سيكفي الطعام والشراب حتى تسافري للهند وتعودي، هذا إن وجدتي البخور بسرعة وحتى إن وجدتيه أصلاً أيتها السيدة المغامرة.

أشارت إليه فيروز بالصمت والسكوت وهي تحاول التركيز بأقصى ما يمكنها، انفتح باب الكتر والبخور على وشك أن ينفذ فأخرجت بين أصابعها وضعتهم على النار وصابر يحمل المولد الكهربي بكشافه الكبير دون الالتفات إلى البخور ولا لشيء آخر ونزل مسرعاً في جو من الجد والجهد والترقب يحوطهما ويحوم حول المكان كله بلمحات

كالموجات المتباعدة تضربها في الأعلى تضربه وهو بالأسفل يجول داخل الكتر في طريقه للتمثال مرمري المنشود، وقع نظره عليه فامتدت يده إليه بحركة سريعة دفعته إليها انفعالاته المشحوذة إلا أن يده توقفت عند التمثال وعلى بعد ملليمتر منه كأنه يمسكه ولكن لا يلمسه ثم ابتسم ابتسامة ظفر وهو ينظر على التمثال حتى سمع صوت فيروز يرتفع عن صوت المولد عالي الصوت قليلاً فأخذه وخرج مسرعاً ليجد فيروز على منتصف الدرج تقريباً وهي تشير عليه بالخروج بسرعة والصعود وراءها دون توقف، ألقى بالكشاف وضرب زر التشغيل بقدمه فلم يتوقف المولد عدة مر فضرب السير الجلدي بقدمه بشدة فأنفصل عن دورانه بالأسطوانة الحديدية التي يلتفت عليها دائرياً وتعلق بالدائرة الأخرى فانطفأ الكشاف لكن الموتور ظل يعمل فخرج وتركه عندما نادت عليه فيروز وهي بالأعلى من جديد، وبمجرد خروجه انغلق الباب من خلفه.

قالت فيروز: ألم تسمع كل هذه النداءات يا صابر، إني

كنت أنزل وأصعد لأطمئن على هذا البخور ثم أنزل لأناجي عليك حتى أعياني ذلك كثيرا مع القلق والجهد النفسي وروحي المعنوية مذبذبة.

قال صابر: أراك الآن كهذا الزبرقان.

قالت فيروز: أمن أجل السجع هذا الزبرقان: ما معناه؟

قال صابر: كالبدر التام نوره.

عندما سألته فيروز عن الزبرقان كانت تحثه بالجذب من ساعده على المضي حتى يصلا للقصر سريعا حتى ركبا السيارة وانطلقا.

قال صابر: كيف تتزلين وتدعي تلاوة المتون لمجرد أني تأخرت قليلاً، أليس هذا من الخطر البين مثل احتمال نفوذ البخور؟

قالت فيروز: بالطبع كان البخور أهم لأني عندما أقف عن تلاوة المتون بعد انتهائها أعيد ترتيب الورق ولفه للخلف مرة أخرى قبل أن أبدأ من جديد فلم يحدث أي شيء علي الإطلاق، لكن البخور هو الأهم كما لاحظت، لمنك تأخرت

بالفعل وكاد البخور أن ينتهي قبل خروجك لولا أن قررت النزول إليك لاستعجالك الخروج.

قال صابر: قد وضعت في جدول كلمة "سنرى" عدة اختيارات بعد نقل الكتر في حجرة قصرك السفلية هذه عدة خطوات، أولها إبلاغ الضابط ممدوح بما يجب فعله وكيف يمكن الانتفاع بهذا الكتر أو تأميننا عليه بعد إقرار بيني وبينك الآن بأحقيتك في تملك جزء صغير منه، ما رأيك؟

قالت فيروز: ألم تفتح المذياع حتى اليوم بسبب وفاة الشيخ حامد؟

قال صابر: لا، لكن ما علاقة هذا بذاك فيما أقوله.

قالت فيروز: لن يكون الضابط ممدوح ولا غيره في وقت يسمح لهم بالالتفات لمثل هذه الأمور مهما كانت نافعة مما قد يجعل المناخ مهيأ لخفافيش الظلام بالظهور وإتلاف الأخضر واليابس ولن يتركوا اليابس أمناً ولا الحركة عليه حرة. وصلا إلى القصر ودخلا وتوجهت فيروز إلى بئر غطائه حديدي وطلبت من صابر رفعه معها وكأنه كان يعرف ماذا

يفعل فلم يسألها إلا عن مصير الكتر إذا انفجر فيه مولد الكهرباء، ثم عاد وأشار دون إجابة منه إلى أنه بمجرد نفاذ الوقود سيتوقف عمله، وعندما نزلا للبئر أزاحت فيروز بعض التراب بقعرة ورفعت غطاء آخر ونزلا أيضًا ليجدا ثلاثة أجولة من الذهب بهذه الحجرة العميقة ففهما إنه بفعل والدها، فأخذت منه التمثال ودفنته قبل أن تنفجر ضاحكة حتى أضحكته فوقعت على الأجولة من فرط ضحكتها وارتكن هو للحائط وعندما نفذت أعواد الثقاب التي معها خرجا يتحمس الطريق ومازالا يضحكان ويتدافعان حتى وصلا إلى حجرة المكتب وعنده سألها صابر عن سبب سؤالها له في الطريق عن سماعه المذياع وماذا قالوا من خلاله يمنع إبلاغ ممدوح لو كان استنباطه صحيحاً، سكتت فيروز دفعة واحدة وتغير وجهها للعبوس مختلطاً بالأسى قبل إجابته على سؤاله.

قالت فيروز: تعلم أنه قد تم تأميم قناة السويس.

قال صابر: نعم، حتى يتمكن الشعب من بناء السد العالي

بعد رفض البنك التجاري الدولي مساعدة مصر في هذا المشروع العظيم، إنها أحقاد الاستعمار مازالت تقبع خلف الأقنعة مع عدم استساغتهم لسياسة جمال عبد الناصر، وهناك شيء آخر وهو عدم انتهاء فترة الاستغلال كما أسميها للقناة.

قالت فيروز: بسبب هذا المشكل يحتمل قيام حرب قد تقع في أية لحظة .

قال صابر: ما لنا وهذا؟ إني كنت أريد استخدام الذهب في بناء السد العالي وهذه هي الصراحة بلا مواربة، فإني معجب بهذا المشروع جدا.

قالت فيروز: ومن سيتولى هذه الأمور الآن وكل أجهزة الدولة الدفاعية والمخابرتية التي ستحمينا بعد ذلك منشغلة في هذه المشكلة من حيث أعمالها وتصرفاتها خلال مثل هذه الظروف، علينا الصبر يا صار فمشكلتنا ليست بالهيئة كما تعلم وأعلم نبذة من خطرها علينا وعلى الذهب الذي لا نريده يخرج إلا لمنفعة هذه البلد قبلنا، إنها كلمتي وما قصدت بها.

قال صابر: آه إنها سنرى، أليس هي هذه الكلمة؟

قالت فيروز: نعم، وطالما معنا التمثال المرمري فإن معنا الكتر حتى وإن جاء المغربي في أي لحظة فلن يجد التمثال.

ضحك صابر وهو يجلس بعد أن تذكر المولد الكهربائي.

قال صابر: والمولد الكهربائي.

قالت فيروز: هل لو نقلنا الكتر في أي وقت سينتقل معه هذا المولد؟

زاد الضحك المختلط بالعجب والترقب وهو يقول لها إنه لا يعرف وهي تتعجب منه وقد عقدت حاجبيها مرددة لكلمتها سنرى، سنرى، سنرى.....

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه